

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صورة الحيوان في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد

إسراء مصطفى عسيبة

بإشراف

أ.د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2018

صورة الحيوان في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد الطالبة:

إسراء مصطفى عصيدة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2018/1/17، وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

.....

- أ.د. إحسان الديك / مشرفاً ورئيساً

.....

- د. محمد حمد / ممتحناً خارجياً

.....

- د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى روح عشقت العلم ولم تؤت أسبابه، وتمنت الأفضل لمن احتضنته أكفه وليدا لروحك الطاهرة
أبي الغالي
لمن حملتني وهنا على وهن، ودمعت عيناها لتراني هنا، وتراقصت دقات قلبها فرحا في إنجازي
أمي الحنونه
لمن كان سندي في مسيرتي وحافزا لي في خطواتي
زوجي الحبيب
لمن كانت لي خير أم في غربتي، وكنت طفلتها المدللة
حمماتي
لمن أمدني حنانهم وصدق دعائهم بالقوة والعزيمة
إخواني وأخواتي
لمن وقف إلى جانبي داعما ومشجعا
د.فادي عصيدة.
لكل من سار المثل على لسانه عفو خاطر
أهدي هذه الومضات المثلية

الشكر والتقدير

لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله أتقدم بأسمى باقات الشكر والعرفان لمن قدم وقته
رخيصة في سبيل الإشراف على هذا العمل ولم يضمن عليّ من بحر علمه، ولا
غزير جهده ليصبح الحلم واقعا تتقراه أناملنا
أ.د. إحسان الديك

والشكر موصول للجنة المناقشة التي كان لي شرف معرفة آرائهم في هذه الدراسة
د.نادر قاسم
د.محمد حمد

كما أشكر د.فادي عصيدة على كل مجهود بذله، فلم يتوان في تقديم أي مساعدة وتشجيع.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

صورة الحيوان في المثل الشعبي الفلسطيني

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالبة: إسراء مصطفى عصيدة

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: 2018/1/17

فهرس المحتويات

د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات.....
ط	الملخص.....
1	المقدمة.....
5	التمهيد: المثل.....
5	المثل لغة:.....
7	اصطلاحًا:
8	أولية المثل الشعبي و نشأته.....
10	خصائص المثل الشعبي.....
12	المثل الشعبي الفلسطيني.....
13	الحيوان والإنسان، منظومة لا تتفصل:.....
15	الفصل الأول.....
15	الصورة الايجابية والسلبية للحيوانات المستأنسة في المثل الشعبي الفلسطيني.....
16	المبحث الأول: صورة الجمل في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....
17	الصورة الإيجابية للجمل:.....
32	المبحث الثاني: صورة الفرس والبغل في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....
33	أولا: الصورة الايجابية للفرس في الامثال الفلسطينية :
44	ثانياً: الصورة السلبية للفرس.....
49	المبحث الثالث: صورة البقرة والثور في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....
57	المبحث الرابع: صورة الحمار والأتان في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....

المبحث الخامس: صورة القط، القطّة في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	66
المبحث السادس: صورة الكلب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	71
المبحث السابع: صورة الماعز الخراف في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	78
المبحث الثامن: صورة الغزال في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	82
المبحث التاسع: صورة الأرنب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	85
الفصل الثاني.....	86
صورة الحيوانات المفترسة في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	86
التمهيد:.....	87
المبحث الأول: صورة الحية والعقرب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	88
المبحث الثاني: صورة الأسد في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	95
المبحث الثالث: صورة القرد في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	99
المبحث الرابع: صورة الذئب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	103
المبحث الخامس: صورة ابن آوى (الواوي) والثعلب (الحصيني) في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	106
المبحث السادس: صورة الخنزير في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	109
المبحث السابع: صورة الضبع في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	111
المبحث الثامن: صورة الدّب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	113
المبحث التاسع: صورة بعض الضواري في الأمثال الشعبية الفلسطينية.....	115
أولاً: النمس:.....	115
ثانياً: النمر والفهد:.....	115
المبحث العاشر: صور بعض الزواحف.....	117
أولاً: الحرباء.....	117
ثانياً: الحرذون.....	117

117		ثالثاً: السحلية
118		رابعاً: التمساح
119		الفصل الثالث
120		التمهيد:
124		أولاً: الطيور الداجنة
124		الديك وزوجته الدجاجة
132		طائفة من الطيور الأليفة: العصفور
138		المبحث الثاني: صورة الطيور الجارحة في الأمثال الشعبية الفلسطينية
138		أولاً: الغراب
140		ثانياً: البوم
141		ثالثاً: الصقر، والنسر
143		المبحث الثاني: القوارض
143		الفأر (الجرد)
146		المبحث الثالث: الحشرات
146		أولاً : الحشرات الطائرة:
152		ثانياً: الحشرات الزاحفة
158		المبحث الخامس: صورة الحيوانات البحرية في أمثالنا الشعبية الفلسطينية
162		أهم النتائج
164		المصادر والمراجع
B		Abstract

صورة الحيوان في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد

إسراء مصطفى أحمد عسيبة

إشراف

أ.د. إحسان الديك

الملخص

تأتي هذه الدراسة في محاولة لتحليل ما استقر في الذهنية الشعبية الفلسطينية من أمثال جسدت صوراً لتلك المخلوقات التي استأنسها الفلسطيني، وتلك التي ظلت وحشية، فهي تحاول سبر موقف المثل الشعبي الفلسطيني من الحيوان بأنواعه المختلفة وفصائله المتنوعة، لبيان الموقف الإيجابي أو السلبي من هذا الحيوان في المثل الشعبي الفلسطيني، وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان صورة الحيوان في المثل الشعبي الفلسطيني، والوقوف على طبيعة صورته السلبية أو الإيجابية، إضافة إلى إعادة المثل الشعبي الفلسطيني إلى مكانته في ذهن الناس وحياتهم، وخاصة فيما يتعلق بجانب المقاومة اللغوية في وجه المحتل الذي يبذل جهداً لسرقة موروثنا وتراثنا وما يتعلق به. وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تسير وفق المنهج الاستقصائي لاستقصاء الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تتحدث عن الحيوان، ثم وصف هذه الأمثال ووصف صورة الحيوان فيها وذلك باستخدام المنهج الوصفي، إضافة للمنهج التحليلي لتحليل صورة هذه الحيوانات وبيان جوانبها الإيجابية أو السلبية وعلاقة الإنسان الفلسطيني بهذا الحيوان من خلال المثل الشعبي. وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن المثل الشعبي الفلسطيني قد وصف الحيوان الأليف المقرب من الإنسان وصفاً دقيقاً، في حين خلت هذه الأمثال من هذا الوصف حين تحدثت عن الحيوان المفترس وذلك لبعد الإنسان عنها وخوفه منها، كما أن المثل الشعبي الفلسطيني قد رسم صورة إيجابية للحيوان الذي يستفيد منه، وصورة سلبية للحيوان الذي يعده عدواً له، كذلك كانت صورة بعض الحيوانات مزدوجة من حيث السلبية والإيجابية وذلك تبعاً للموقف الذي يجسده المثل، إضافة إلى أن المثل الشعبي الفلسطيني انحاز لبعض الحيوانات لجنسها الذكوري، على حساب الجنس الأنثوي على الرغم من أن الأخيرة أكثر فائدة ونفعاً له، وذلك تبعاً لطبيعة المجتمع الذكوري.

المقدمة

يزخر الموروث الشعبي بأجناس أدبية عدة، تعد الأمثال أهمها بل أهم ما أنتجته المخيلة الشعبية على مرّ الأزمان، وما هي إلا نافذة مشرقة تُطل عبرها الفئات الشعبية على اختلافها على عالم جديد مختلف يترجم أحلامهم وما تتوق إليه أنفسهم، وما تصبوا إليه طموحاتهم، وبالتالي فهي المُتنفس الذي يُعبر عنهم، فيركبون أجنحته، ويصولون في أروقه الغريبة وتشبيهاته العجيبة، ويجولون عبر ما يُروى من فضاءات ساحرة جادت بها قريحتهم في كلمات موجزة، وعبارات مقتضبة لا تُفارقها الحكمة والعبرة.

وبذلك فالأمثال الشعبية وسيلة لتفريغ ضغوطات الحياة اليومية، التي فرضتها قسوة المعيشة، ووعورة المستوى المعيشي المتدني، وظهور بعض التصرفات أو بعض الأشخاص كان لا بدّ من التعامل معهم، لذا ابتكروا من الأمثال سوطا لردع كل من لا يستطيعون جلده بصورة مباشرة إما خشية من انهيار علاقة حتمية أو قطع مصلحة ضرورية.

والأمثال الشعبية تعبير عن تجربة شعبية طويلة، وحصيلة إرهاصات مديدة تنتهي بعبرة وحكمة، وهي مرآة الشعوب تصف أخلاقهم وعاداتهم وتعكس خبايا بيئاتهم، وتكوّن ملامحهم، لذا أصبحت جزءا من ملامح الشعب وقسماته ومعتقداته، كما أنها تلخيص لقصة عناء سابقة وخبرة غابرة، لذا فقد حظيت بثقة عمياء.

وتعد الحيوانات من أبرز مكونات الأمثال باعتبارها عنصرا مهما من عناصر تكوين الوجدان الشعبي في البيئة، فصاغت جزءا من مادتها الخام بناء على مشاهدات لسلوكيات تلك المخلوقات التي رافقته في مشوار حياته، فأصبح من

المألوف مقارنة أفعال الإنسان بأفعالها لتساعدهم في مواجهة ظروف البيئة المجذبة، ولاشباع رغبتهم في اكتشاف ما يكتنف تلك المخلوقات من غموض، فترجموا خبرتهم على شكل أمثال شعبية.

وقد رسمت الأمثال الشعبية الفلسطينية صورة واضحة للحيوان من حيث السلبية والإيجابية، فلم تترك حيوانا إلا وتحدّثت عنه، فما هي تلك الصورة؟ و ما ملامح تلك الصورة؟ وكيف تعاملت الأمثال مع تلك الحيوانات بمختلف فصائله؟

ولعل من الأسباب التي دفعت الباحثة إلى خوض غمار هذه التجربة، أن الحيوانات تشكل عمودا فقريا في حياة الفلاح الفلسطيني تعينه على أموره، ولكن أن يصوغ هذه التجربة والخبرة على شكل أمثال وحكم فهذا أمر لافت يدل على أهميتها في حياته، واللافت أيضا أن عدد الأمثال فيها كان كبيرا ومتنوعا، ولا توجد دراسة تضم كل تلك الأصناف من الحيوانات، ولأن الأمثال حلقة الوصل بين الأدب والمجتمع، وهي صوت الأجداد النابض بالحكمة .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تسير وفق مناهج مختلفة إلا انها متكاملة فيما بينها، فبدأت الباحثة بالمنهج الاستقصائي لاستقصاء الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تتحدث عن الحيوان، ثم الوصفي في وصف هذه الأمثال ووصف صورة الحيوان فيها، إضافة للمنهج التحليلي لتحليل صورة هذه الحيوانات وبيان جوانبها الإيجابية أو السلبية وعلاقة الانسان الفلسطيني بهذا الحيوان من خلال المثل الشعبي.

لقد شكل الأدب الشفاهي المحفوظ في صدور الناس ركيزة مهمة في بناء صرح الأدب الشعبي، فكان لا بد من حفظه وتدوينه؛ خوفا من ضياعه واندثاره، واستقصائه وتحليله؛ للوصول إلى أقصى درجات الفائدة، كما أنه وسيلة من وسائل المقاومة فالأمثال الشعبية هي جزء من العناصر الفلوكلورية التي تناقلتها الأجيال، وحفظت فيها مخزون معرفي ولغوي كبير جدا، وتزايد الاهتمام بها في هذه الأيام؛ نتيجة لمحاولات القرصنة التي يتعرض لها تراثنا عامة، فمن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة في كونها وسيلة لحفظ الجزء المتعلق بأمثال الحيوان، وما يعنيه هذا الحيوان للإنسان الفلسطيني، وباعتبارها محاولة أولى لعرض صور الحيوان من خلال المثل الشعبي الفلسطيني.

و مع ذلك لم تكن صورة الحيوان بمعزل عن تناول الباحثين والدارسين لها، وإن كان جهد بعضهم متركزا على جمع الأمثال عامة، إلا أن بعضها حُصص للحديث عن حيوان واحد أفردت الدراسة له، وجاء الجزء الأول منها على شكل معاجم وكتب جمعت الأمثال، و اكتفت بشروح غريب ألفاظها، ومنها:

– دراسة يوسف دانا: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال والتي اكتفت بجمع الأمثال، ولم تعط شروحا لغريبها، إلا أنها كانت تهتم بالجانب اللهجي للأمثال فتورد المثل الواحد بلهجاته المختلفة، وكأنها ارادت أن تنبهننا إلى الجانب الجغرافي في الأمثال.

– دراسة شكري عراف وآخرون: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، و دراسة عباس فؤاد وآخرون: معجم الامثال الشعبية الفلسطينية والتي لم تختلف عن سابقتها في ذكر الأمثال مع ايجاز في التفسير .

– أما دراسة حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، فقد احتوت على الأمثال مع بعض الشروحات القليلة

– كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري والذي تناول فيه الحيوانات أسمائها وصفاتها وألوانها ومتعلقاتها ويأتي القسم الثاني من الدراسات في تلك التي خُصصت للحديث عن حيوان بعينه، ومنها:

– لندا الشلة: صورة الفرس في الأدب الفلسطيني، وقد تناولت الباحثة في رسالتها الفرس ولم تتطرق للحديث عن سواه من حيوانات.

– و هناك صورة الحيوان والطير في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)ل أحلام صالح حيث أفدت من طريقة استعراضه و تناوله.

– كما أن هناك بحثا لعمر حمدان بعنوان الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني خصصه لجمع بعض الأمثال والأغاني الفلسطينية

لذا تمتاز هذه الدراسة في محاولتها لتحليل ما استقر في الذهنية الشعبية الفلسطينية من أمثال جسدت صوراً لتلك المخلوقات التي استأنسها الفلسطيني وتلك التي ظلت وحشية، فكانت الأمثال لا سواها من العناصر الفلوكلورية هي المقصودة والمخصوصة بالدراسة، وكانت صورة الحيوان في تلك الأمثال هي مجال البحث والتحليل.

وارتأت الباحثة أن يكون هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة :

تحدثت الباحثة في الفصل الأول، عن صورة الحيوانات التي استأنسها الإنسان الفلسطيني حيث حاولت الباحثة إظهار صورة الحيوانات الأليفة وأثرت ترتيبها حسب كمية الأمثال التي تصور الحيوانات، فكان نصيب الجمل منها نصيب الأسد فبدأت فيه ثم انتقلت للحديث عن الفرس، وما هو دونه في حين جمعت أولاد العم من الحيوانات في مبحث منفرد مثال ذلك:عندما تحدّثت الباحثة عن الفرس ولاحظت مدى القرابة بينه وبين البغل فذيلته بعد الحديث عن الفرس،وهكذا.

وقد سبق ذلك تمهيدا موجزا، وقفت فيه على معنى المثل وأوليته وخصائصه وتطرق في الحديث عن المثل الشعبي الفلسطيني ثم علاقة الحيوان بالإنسان.

أما الفصل الثاني، فقد خصص للحديث عن الحيوانات التي ظلت على سجيتها بعيدة عن الترويض، فجاء هذا الفصل بعنوان "صورة الحيوانات المفترسة في الأمثال الشعبية الفلسطينية" وقسمته الباحثة إلى أقسام بأصناف الحيوانات من أفعى وأسد... الخ، وجاء كسابقه حسب كمية الأمثال، وقد قدمت له الباحثة بتمهيد وجيز تحدثت فيه عن علاقة الحيوانات المفترسة بالإنسان وبالفلسطيني خاصة.

وفي الفصل الأخير، آثرت الباحثة جعله في أربعة مباحث، جاء الأول منه بعنوان "صورة الطيور في الأمثال الشعبية الفلسطينية" بينما وُسم الثاني منه بعنوان "صورة القوارض في الأمثال الشعبية الفلسطينية" حيث تحدثت فيه عن الفأر والجرذ نسبة إلى علم الأحياء الذي يفرد للقوارض بابا مستقلاً، أما المبحث الثالث من هذا الفصل فكان بعنوان "صورة الحشرات في الأمثال الشعبية الفلسطينية" سواء تلك الزاحفة منها أو الطائرة، وخصص المبحث الأخير للحديث عن الحيوانات البحرية وكان موسوماً "صورة الحيوانات البحرية في الأمثال الشعبية الفلسطينية" بالرغم من قلة تنوعها في الأمثال إلا أنها كانت جزءاً من ثقافة الفلسطيني وبيئته.

وختمت الدراسة، بخاتمة تم فيها عرض أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

وأخيراً، هذا ما استطاعت الباحثة انجازه، فإن أصابت فمن الله وإن أخطأت فمن الشيطان ونفسها.

التمهيد: المثل

المثل لغة:

المثل من أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية انتشارًا وشيوعًا، ولا تخلو منه ثقافة، إذ نجده يعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم، ويُجسد أفكارهم وتصوراتهم، وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، ومعظم مظاهر حياتهم، في صورة حية وفي دلالة إنسانية شاملة، فهو بذلك عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها.

ونظرًا للأهمية التي يكتسبها المثل في الثقافة العربية، فقد حظي بعناية خاصة، على مرّ العصور، فتزخر المعاجم والكتب بسرد معاني هذه اللفظة، ودلالاتها وتطورها، وعلاقتها مع غيرها من الألفاظ، على الرغم من أن الطابع العام لهذه المعجمات هو التكرار، فكلها تقريبًا تحوي الشروح عينها لمادة (مثل).

تتوزع معاني مادة (مثل) في معاجم اللغة بين هذه المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد: «التسوية والمماثلة، الشبه والنظير، الحديث، الصفة، الخبر، الحذو، الحجة، الند العبرة، الآية، المقدار، القالب، الانتصاب، نصب الهدف، الفضيلة، التصوير، الالتصاق بالأرض، الذهاب، الزوال، التنكيل، العقوبة، القصاص، الجهد، الفراش، النمط، الحجر المنقور، الوصف الإبانة¹.

جاء في لسان العرب المثل كلمة تسوية يقال: هذا مثله وشكله، كما يقال: شَبَّهه وشَبَّهه بمعنى، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين في المقدار؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، ... والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعله مثله².

¹ - ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، 223-321 هـ، **جمهرة اللغة**، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1926، مادة "مثل"، 50/2، أبو علي محمد توفيق: **الأمثال العربية والعصر الجاهلي**، دراسة تحليلية دار النفائس بيروت، (1988)، ص 32.

² - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، مادة "مثل" (د.ت).

وعرّفه صاحب تاج العروس بقوله: المِثْل بالكسر والتحريك، كأمر الشبه، يقال هذا مِثْلُه، ومِثْلُه كما يقال شَبّه وشَبّهه والمِثَال بالكسر: المقدار، وهو من الشبه والمِثْل جعل مِثْلاً أي مقداراً لغيره يحذى عليه، والجمع أمثلة ومِثْل¹.

وفي المعجم الوسيط جاء في مادة مِثْل: "والشيء ضربه مثلاً، يقال هذا البيت مثل نتمثله، ونتمثل به، والمِثْل ... جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلّة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة دون تغيير مثل: الرائد لا يكذب أهله، والجمع منه أمثال"².

وجاء في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري أن " أصل المِثْل التماثل بين الشيئين في الكلام؛ كقولهم: "كما تدين تدان" وهو من قولك: هذا مِثْل الشيء ومِثْلُه، كما تقول: شَبّهه وشَبّهه، ثم جُعِلَ كُلُّ حكمةٍ سائِرةٍ مثلاً، والمِثْل السائر معروف من الأمثال، وجمع مثل: أمثال وقالوا مثل يمثل مثولاً إذا انتصب قائماً فهو ماثِل، ومِثْل يمثل إذا زال عن موضعه"³.

والأصل الثلاثي للمثل يدل على معنى الشبه والنظير، يقول الزمخشري: "والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير"⁴.

أما المبرد فيقول: المِثْل مأخوذ من المِثَال، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه فقولهم: (مثل بين يديه) إذا انتصب - معناه أشبه الصورة المنتصب، و(فلان أمثل من فلان) أي أشبه بما له من الفضل.⁵

كما ربطوا بين الأصل اللغوي للمثل وبين مدلوله الاصطلاحي، فقال "سمي المثل مثلاً؛ لأنه ماثِل بخاطر الإنسان أبداً، أي: شاخص، فيتأسى به ويتعظ، ويخشى، ويرجو، والشاخص: المنتصب"⁶.

¹ - الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، مادة "مثل".

² - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، 1989 مادة "مثل".

³ - العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تحقيق إبراهيم وقطامش، 7/1، مادة "مثل".

⁴ - الزمخشري، جار الله أبو القاسم: المستقصى في أمثال العرب، ط2 بيروت، دار الكتب العلمية، المقدمة ص

⁵ - الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1959 311/2.

⁶ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطافش، دار الجليل، بيروت،

1972، ج1، ص487.

والمثل من المماثلة وهو الشيء المثل لشيء يشابهه، والشيء الذي يضرب لشيء مثلاً، فيجعل مثله والأصل فيه التشبيه ويقابله في العبرانية (mashal) وفي الإنجليزية (proverb) ومعناها المماثلة والمشابهة.¹

في هذه التعريفات توضيح لحقيقة المثل، فهو يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي، كما يظل مثلاً يضرب، وإن جهل أصله، وهو لا يتغير بل يجري كما ضرب له، ولا يستعمل فيه الإعراب.²

اصطلاحاً:

أما إذا انتقلنا للمحدثين الذين اهتموا بدراسة المثل فنجدهم توارثوا تعريفات القدماء ولم يضيفوا إليها الشيء الكثير، إلا بهرجة للألفاظ وتكراراً لما أنشده القدماء ومنها:

أن المثل هو عبارة موجزة بليغة شائعة الاستعمال يتوارثها الخلف عن السلف، تمتاز بالإيجاز وصحة المعنى وسهولة اللغة وجمال جرسها.³

ويقول طه حسين عنه: "والأمثال بطبيعتها أدب شعبي مضطرب متطور يصح أن يأخذ مقياساً لدرس اللغة كيف تتكون، ومقياساً بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني"⁴ والمثل يحمل في طياته بعدين: ظاهرياً مسجلاً للحدث، وباطنيّاً يشتمل على الموعظة، ويخلص إلى أن الأمثال مصابيح الأقوال.⁵

¹ - عابدين، عبد المجيد: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائر في الأدب السامية الأخرى، ط1، مكتبة مصر، الفجالة ، 1956، ص8.

² - جلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، 849-911هـ: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، بيروت، دار الفكر 486/1.

³ - أبو علي، محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص 41.

⁴ - حسين، طه: في الأدب الجاهلي، ط2، القاهرة، دار المعارف، ص331.

⁵ - أبو صوفه، محمد عبد اللطيف: الأمثال العربية ومصادرها في التراث، مكتبة الأقصى، 1982م، ص17.

أولية المثل الشعبي و نشأته

الأمثال الشعبية من أكثر الأنواع الأدبية الشعبية التي أولاها الدارسون اهتمامهم وربما يرجع ذلك؛ كونها وليدة إبداع الشعب بأسره، يختزل فيها عصارة فكره ومجهوده، ويختصر فيها معتقداته وهواجسه، كما أنها تكشف عن النواة الأولى التي شكلت الفكر الإنساني في صورته الخام، قبل أن تتعرض لآفة العصرنة والتقنية الحديثة، التي جعلت التعقيد شعاراً له وبذلك فقد شكّل المثل اللبنة الأولى للفكر الإنساني وعكس فلسفة الشعب للحياة والواقع.

"وقد شبّه أرسطو تراث الأجداد بمخلفات متراكمة أصابها جميعها البلى والتحلل والاندثار باستثناء الأمثال التي ظلت صامدة عاتية تقاوم لصلابتها وقوة ألفاظها وتداولها على ألسنة الشعب دون غيرها من عناصر التراث بذلك يصبح المثل الشعبي أشبه بحفريات حية ترفض الموت والزوال"¹ تلك الحفريات الصامدة على مرّ العصور والأزمان خرجت من قوقعتها، وانزلت على ألسنة أبنائها واستمرت في دورانها إلى اليوم، بلا تبديل ولا تغيير .

لقد نشأ المثل الشعبي نشأة غير واضحة المعالم، فليس هناك ما يجزم تاريخ ولادته ولا مكان نشأته، والأرجح أن تكون نشأته قد تراكمت مع ظهور المجتمعات، حيث يعرف الناس بعضهم بعضاً معرفة جيدة، كما ترافق مع ظهور المواقف المؤثرة في الناس فكان تكرار تلك المواقف تكراراً لبعض الكلمات بالضرورة، ثم صُقلت الكلمات فيما بعد لتصبح مثلاً مستقلاً يُعبر عن ذلك الموقف بشكل مختزل بليغ .

ولقد استخدم المثل الشعبي استخداماً واسع النطاق حتى في تلك المجتمعات غير المتعلمة، وأصبح استخدامه تقليداً شفهياً يخدمها في مواطن مختلفة، ولقد تنبه السومريون مبكراً إلى دور الأمثال في توجيه النشء وتعليمهم القواعد السليمة، فلم يجعلوها وقفاً على الرواية الشفهية بل نقشوها على ألواح تركوها للعالم، مؤكدين دورها في الأدب ودليل تداولها شفاهة وكتابة وهذا ما أكدته علماء الآثار حين قالوا: " إن مجموعات الأمثال السومرية هي الأقدم في تاريخ الحضارة الإنسانية "².

¹ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1990م ص17.

² ينظر، طه، جمانه: موسوعة الأمثال الشعبية العربية (الجمان في الأمثال دراسة تاريخية مقارنة)، ط1، الدار الوطنية الجديدة، السعودية، 1999م، ص 12

و استخدمها الأنبياء فكان صلى الله عليه وسلم - مهتمًا بها لذاتها من خلال ترديدها وإعجابها بناطقيها، خاصة حكم لقمان عليه السلام، وغيره، ولقد سار على نهجه واستن بسنته خلفاؤه، ومن جاء بعدهم فقد أشركوها في حياتهم اليومية

ومما لا شك فيه، أن للمثل أهمية كبيرة في إفهام الناس ما شكّل عليهم، فهو من أكثر ألوان الأدب تأثيرًا في المتلقين، لأنه يُبعث من تجاربهم، فيوجه سلوكهم وفي الغالب يُستشهد به كبرهان على صحة سلوك أو اتجاه فمن كان المثل إلى جانبه لا يضره شيء¹ كما تعد الأمثال الشعبية الوثيقة النفسية الأهم "لمعرفة نفسية الشعوب، وما يضطرم في نفوس أبنائهم من شوائب الماضي والحاضر وطموحات المستقبل، بل هي صورة تطوره الفكري والذهني، والحضاري والأخلاقي، كما هي خلاصة أحداثها في فترات متباعدة ومتضاربة من الزمن عبر الاجيال المتعاقبة " ².

وللأمثال قوة تؤثر في المتلقى لذا كانت لغة الكتب المقدسة لمخاطبة الناس في بعض المواقف حتى إنه يوجد في التوراة سفر يُسمى الأمثال ينسب إلى سليمان الحكيم³ ويُقال إنه جمع الأمثال والحكم في القرن العاشر قبل الميلاد في فلسطين⁴.

وبالرغم من اهتمام الصحابة بالأمثال إلا أن تدوينها كان راكداً، لانشغالهم بالفتوحات والتوسعات، أو لحرصهم على تدوين القرآن والحديث قبل أي شيء، ثم انشغالهم بالشعر إلا أنّ هناك محاولات جاهلية لتسجيل بعض الأمثال التي تسربت في أشعارهم ليس لذاتها؛ وإنما لإظهار قدراتهم البلاغية وإثبات شاعريتهم.

وظل حال التدوين على حاله إلى عصر ازدهار العلوم وتمازج الثقافات أي إلى العصر العباسي حيث تنبه العلماء إلى ضرورة تدوين التراث المثلي الذي هو الهوية القومية للأمة، ولعل أقدم كتاب

¹ - ينظر، الصياصنة، مصطفى عيد: ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب وأثارها في تربية الجيل المسلم، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، 1992م، ص46.

² - السناد، جلال غربول: المثل الشعبي ودلالاته الاجتماعية، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1992م، ص8.

³ - ينظر، المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2008، ص5.

⁴ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 17.

وصلنا فيها هو كتاب: الأمثال تأليف (المفضل بن محمد الضبي ت168 هـ) ثم توالى المؤلفات المثلية.¹

والى جانب اهتمام اللغة والأدب بالأمثال، شاطرهم علماء الدين والفقهاء دراستها في القرآن حيث وجدوا فيها مجالاً واسعاً، لإظهار الصورة الإعجازية البلاغية في أمثال القرآن فكانت غايات دينية بحتة ولقد سلكت بعض الآيات القرآنية مسلكاً مثلياً فأصبحت تجرى على السنة العامة مجرى المثل، ومنها:

(إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)² (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ)3 (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)4

خصائص المثل الشعبي

تمتاز الأمثال بطائفة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من فروع الأدب الشعبي، فقد قيل قديماً: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة"⁵ وهي:

1- ألفاظ موجزة:

تعبّر الأمثال الشعبية عن عبقرية الشعب في اقتناص الأمثال من التجربة الشخصية، وصياغتها صياغة مركزة موجزة، فتنبى الأمثال على الإيجاز والاختصار مع حفظها كامل معناها دون نقصان وهذا ما صرح به الزمخشري بقوله "أوجزت اللفظ فأشبع المعنى، وقصرت العبارة فأطلت المغزى، ولوّحت في التصريح وكنت فأغنت عن الإيضاح".⁶

ويقول القلقشندي: "وأما الأمثال الواردة نثرًا فإنها كلمات مختصرة تورد للدلالة على أمور كلية مبسطة، وليس في كلامهم أوجز منها، ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوح بها

¹ - ينظر، طه، جمانة: موسوعة الأمثال الشعبية العربية، ص13.

² - سورة البقرة، آية 156.

³ - سورة المائدة، آية 95.

⁴ - سورة الأحزاب، آية 25.

⁵ - الزمخشري، جار الله أبو القاسم: المستقصى في أمثال العرب، المقدمة، ص هـ .

⁶ - الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال 6/1.

على المعاني تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً¹ ولذا كان شعار المثل "خير الكلام ما قلّ ودلّ".

2- إصابة المعنى:

ولأن الأمثال نتاج فكر وتجارب حياتية، فهذا يُقربها من الواقع بشكل كبير؛ وبذلك فهي تقترب من صدق إصابة الموقف المعبر عنه بمفردات بسيطة سهلة، إما مباشرة وإما غير مباشرة، كما يقال: "الكلام إلك يا جارة واسمعيه يا كنه".

3- حسن التشبيه :

إن المعنى اللغوي للمثل يعني المشابهة والتشبيه، والتشبيه ما كان في شيء إلا ملأه بلاغة وجمالاً وأضاف عليه لمسة حسية، للأحداث الواقعية، فُعُرف ما أراد وما رمى إليه، ووصل السامع إلى ذروة الفهم وخرنه كذخيرة احتياطية يُعبر به في مواقف مشابهة لتسهيل تذكر المثل من خلال ربطه بصورة حيّة بالواقع مثل: "الخُنْفسا شافت بنتها عَ الحيط، قالت: حبة لولو بالخيط"².

4- الكناية والتعريض:

من السمات التي يتسم بها المثل الكناية والتعريض، لأن المتمثل لا يُصرح بالمعنى المراد به، فيُخفي المعنى ويكتفي بالتعبير بألفاظ المثل عن ذلك المعنى الذي يُضمّره، والكناية لغة هي "أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره كناية، أما التعريض لغة: فهي خلاف التصريح والمعاريض التورية بالشيء عن الشيء"³.

5- الذبوع والانتشار:

لعل السمات السابقة كانت خلف سيرورة المثل وانتشاره، فلا يُسمى القول مثلاً، إلا إذا شاع بين الناس وأصبح جزءاً أصيلاً من تراثهم، فلا عجب إذاً أن يوصف شيء سائر بالمثل، فنقول

¹ - انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، بيروت 1987، 1/295.

² - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012 ص50.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (كنى - عرض).

العرب: (أسير من مثل). ومن العوامل المساعدة في ذبوع المثل وانتشاره السجع الذي يمنح المثل إيقاعاً حسناً ويُسهل حفظه، وتداوله واستقراره في الذاكرة الشعبية.

6- الثبات :

المثل ثابت راسخ فهو بالرغم من انتشاره وسرعة ذبوعه إلا أنه ثابت في الواقع قد يتعرض لبعض التحوير والتغيير اللهجي إلا أن أصل معناه ومقصوده ثابت .

المثل الشعبي الفلسطيني

تختلف مسميات المثل الشعبي فقد يُسمى أحياناً المثل العامي أو المثل الدارج، إلا أنها تصب في البوتقة نفسها على اختلاف مسمياتها، ويمتاز المثل الشعبي الفلسطيني بخصوصية يتفرد بها، تتبع من خصوصية موقعه وظروفه ومناخه، ودروب المقاومة التي يسلكها على مرّ العصور، والمعاناة التي عاشها في ظل الاحتلال المتتالية، والنضال المستمر للدفاع عن الأرض والإنسان والهوية.

فكان إنسان هذه الأرض خير معبر عن طبيعتها حين امتلك ناصية التعبير بجلاء عما يدور حوله من طبيعة ومناخ، فوصف عالمه الحيواني والنباتي خير وصف وخير تمثيل¹ ؛ لذا فقد كان "المثل الفلسطيني جزءاً من عناصر الفولكلور الفلسطيني، التي تؤرخ لمسيرة الشعب، لأنه يكشف عن عدة حقائق يمر بها الشعب عبر أجيال متعاقبة، ولكل مثل قصة تربطه بعناصر فولكلورية أخرى، وإذا كانت قاعدة اختلاط العناصر الفولكلورية وترابطها وتداخلها والتفاعل فيما بينها تنطبق على جميع العناصر فإنما تنطبق على الأمثال الشعبية أول ما تنطبق، لأن الأمثال الشعبية هي نتيجة أصداء مترسبة في الوجدان الشعبي"².

¹ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص11.

² - فؤاد، عباس وآخرون: معجم الامثال الشعبية الفلسطينية ، دار الجليل للنشر ، عمان - الأردن، 1989، ص16.

الحيوان والإنسان، منظومة لا تنفصل:

الحيوان من أبرز موجودات الحياة التي يحتك بها الإنسان في بيئته، وقد جمعت به علاقة متميزة فريدة، فمنه ما استأنسه ومنه ما ظل وحشياً يخافه ويخشاه، وينسج القصص عنه، ويستمد منه تجاربه وتصورات، ويحيك معتقداته عليها وكل نوع منها يمثل جزءاً مهماً في الطبيعة الفريدة، يساعد على بناء الحياة، وهو الحامي للطبيعة، وجدارها الواقى الذي يحفظها .

والإنسان قد لا يستطيع العيش دون مساعدة الحيوان؛ لأن الدور الذي يؤديه غير تقليدي، فهو يمد الإنسان بعدد من الأغذية المختلفة، مثل اللحوم والألبان والبيض والعسل، وغيرها من المنتجات التي يحتاجها لتعينه في حياته مثل الصوف والفراء والحبر وفيها من الجمال ما يميزها ويقربها منه، وبذلك فهي تحقق له مصدراً اقتصادياً، ولها قيمة اجتماعية كبيرة فسلوكها الاجتماعي فيما بينها يزود الإنسان بمزيد من المعرفة للتعامل معها، وإسقاط أوصاف ذلك السلوك على المجتمع الإنساني، وكذلك فهي تكون شبكة اجتماعية عن طريق تعارف الناس على بعضهم في مواسم بيعها، وهي تقدم كضحايا وبذلك تزيد عمق علاقات الناس فيما بينهم، وهي أيضاً مهر العروس سابقاً، هي مصدر تعليمي حيث كان سبيل المتعلم لاستقاء العلوم وجمعها من مضانها، كما كانت وسيلة ناجحة للمراسلات .

و لقد تكرر ذكر الحيوان في القرآن مراراً وتكراراً، ولقد توالى ذكر فوائده في كثير من المواضع القرآنية ومنها ما جاء في سورة النحل حين أجمل رب العزة فيها أهم فوائد الحيوان وميزاته حين قال: { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) }¹ ولا تقتصر أهمية الحيوان على بني البشر، فالنباتات مثلها مثل البشر، تعتمد على الحيوانات؛ لتلبية احتياجاتها الأساسية من غذاء وذلك بالفضلات الحيوانية وللتكاثر فكثير من النباتات لا تستطيع ذلك إلا بمساعدتها .

¹ - سورة النحل، آية (8-5).

ولم تنحصر علاقة الإنسان بالحيوان على الدور المادي والنفسي الذي يقدمه الحيوان للإنسان، بل تخطته حين اقتحم الحيوان على الإنسان الأول أعماق أفكاره، ومعتقداته، فأخذ ينحت الصور والرموز الحيوانية على جدران المعابد والكهوف رغبة في رسم ذلك المجهول الذي يكتنف تلك المخلوقات الغريبة، ورهبة من تلك الروح الشريرة الكامنة تحتها وأكثر هذه المعتقدات كان يتجسد في شكل حيوانات وطيور، فالإله "زيوس" كان نسرا، والإلهة "أثينا" كانت بومة، و"هيرا" كانت بقرة".¹

إن العلاقة الرابطة بين الإنسان والحيوان لم تكن في يوم من الأيام هامشية، فبالرغم من سداجتها إلا أنها تُمثل الإنسان الأول في بدائيته، وميوله الفطري المُلح لتفسير عادات الحيوان وطبائعه، وألوانه، واستطاع بالمراس، والخبرة الطويلة امتلاكه قطع منه وتعرض لافتراسه فأخذ ينسج قصصا وحكايا مضمنا إياها خبرته، معللا أشكاله، مفسرا تكاثرها وفناءها.

وكثيرا ما يطالعنا أطفالنا وقد شغفهم حب، وميل انساني ذلك الارتباط بالحيوان؛ حتى نحن لا ننكر ميلنا الإنساني القديم الذي تناقل إلينا جينيا لا نعلم سببه، ولم نهتد سبله إلا أنه بقايا معتقدات ومقدسات بدائية تسربت إلينا وتلقفناها؛ ولذلك "فإن حكايات الحيوان تعتبر من أقدم ما نعرف من قصص، بدليل أن المجتمعات المتوحشة تستطيع أن تنشئ قصصا من هذا النوع، قدر ما تستطيعه الجماعات المتحضرة المعاصرة، بل لعل هذه الجماعات البدائية أشد قدرة وأوسع باعا في هذا الصدد".²

¹ - عبد الحكيم، شوقي: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 248.

² - رشدي، الأشهب: الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1983 ص 219.

الفصل الأول

الصورة الايجابية والسلبية للحيوانات المستأنسة في المثل الشعبي الفلسطيني.

المبحث الأول: صورة الجمل في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الثاني: صورة الفرس والبغل في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الثالث: صورة البقرة في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الرابع: صورة الحمار في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الخامس: صورة الماعز في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث السادس: صورة الكلب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث السابع: صورة القط في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الثامن: صورة الغزال في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث التاسع: صورة الأرنب في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الأول: صورة الجمل في الأمثال الشعبيّة الفلسطينية

للجمل في المنظور الإنساني مكانه متجذرة في وعي الإنسان وأعماقه، وهي متأصلة في عقله، حتى تغلغت في نسيجه الفكري والوجداني، فغدا لها تراثاً لا يستهان به استحوذ على اهتمام الدارسين، وأصبح اقتناؤه رغبة جامحة يتوق لها كل فرد.

أما أنثاه الناقة فهي الأم الرؤوم للبدوي، وسفينة صحرائه، ومركبه إلى الآمال الجسام في المراعي، وتصبر على الجذب والجفاف حتى تحمل صاحبها إلى الخصب والمرايع والمياه، وتمده في رحلاته الطويلة وسط القفار والبيد بطعامه إن جاع، وشرابه إن عطش، ومسكنه إن كان في حاجة إلى إيواء¹.

والإبل (بكسر الباء، وقد تسكن) الجمال: وهو اسم واحد يقع على الجميع ليس بجمع، ولا اسم جمع وإنما هو دال على الجنس، وينضوي تحت اسمها: "البعير والجمال والناقة"² وغيرها الكثير وقد تمّ تدجينها في أواسط آسيا في أواخر العصر الحجري، ودليل ذلك ما وجد من محفورات لجمال ذات سنام واحد في الأردن، ووجدت نقوش في العراق ومصر أيضاً.³

والطريف أن الأكاديين عرفوا الجمل واستخدموه في تنقلاتهم، وكان اسمه (جملو/ إيبيلو) ومقابلها العربي (جمل)، وكذلك عرف السومريون الإبل فأطلقوا عليها لقب (حمار أرض البحر) والتي تعني صحراء سواحل الخليج العربي.⁴

ولقد نشأت بين الجمل والبدوي صلة روحية، أنشأها الخيال الإنساني، والمعتقد المتجذر في المخيلة العربيّة، وأعانه على إنشائها الجمل نفسه بما يكتنفه من أسرار، ولما فيه من قوة تقذف الرعب منه في القلوب، ومن منفعة ترفعه إلى أسمى الدرجات، ومع ذلك تنازعا البقاء حيناً، وتعاونوا حيناً آخر.

¹ - ينظر: شلبي، سعد اسماعيل: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، العجالة، ص50.

² - شكر، شاكِر هادي: الحيوان في الادب العربي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ج1، بيروت، 1985، ص13.

³ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص15-16.

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص16.

الصورة الإيجابية للجمل:

لقد بالغ العربي الفلسطيني في الاهتمام بالجمل وعدّه من نعم الدنيا، ومساها ولا يخفى على أحد منافع الجمل للبدوي الفلسطيني الذي أشركه في همومه وصميم حياته وتلك العلاقة كانت مزدوجة فيها الإيجابي والسلبي، وأول ما يصادفنا في الجمل ضخامة جسده، فتارةً نراه عاملاً إيجابياً وأخرى تكون من مثالبه التي تؤخذ عليه، والذي سجل ذلك كله المثل الشعبي، فقال في إيجابيات حجمه: "ثلاث ما بتخبوش الحب والحبل والركوب على الجمل".¹

ولضخامة حجم الجمل كان من المستحيل إخفاؤه في مكان، بحيث لا يراه أحد وقد شبه المثل استحاله إخفائه باستحالة كتمان الحب أو الحمل حتى إنه في مثلٍ مشابه قرّن هذا بذاك فقال: "الحب والحبل مثل الركوب على الجمل".²

ولضخامة جسده أخذ الفلسطيني يُثمن الأشياء الغالية على قلبه بالجمل كبير الحجم حتى لو لم يصرح بهذه الضخامة فالحب من المشاعر التي لا تقدر بثمن، ولا تتمن بشيء من الأشياء؛ إلا أن الفلسطيني قرّن ذلك الحب بالجمل فهذا غالٍ وهذا أغلى فقال: "قال حبني وخودك جمل، قال له المحبة غالية وما لها ثمن".³

ولقد امتدت سلطة المثل الشعبي لتغوص في تفاصيل قيمة الجمل فتربطها بالعشق وصفات المعشوقة قائلين: "إن عِشقت اعشقت قمر، وإن سَرقت اسرق جمل".⁴ ويخرج المثل من دائرة المخصوص القلبي إلى العام عندما أصبحت قيمة الجمل رمزاً للنصيحة، ونتيجة انتشار العقوق وضياح الأخذ بالنصح أصبح الفلسطيني يقول: "كانت النصيحة بجمل صارت بعداوة".⁵

¹ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، دار الجندي للنشر والتوزيع، فلسطين ص200. (بتخبوش: لا يمكن إخفاؤها)

² - المرجع السابق، نفس الصفحة أو عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص107.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، مجمع القاسمي للغة العربية أكاديمية القاسمي، مكتبة كل شيء، حيفا 2014، ص 361. (خودك: خذ لك)

⁴ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص90 (وقد نجد المثل مقلوباً دالاً للوفرة والقلّة في بعض المصادر مثل (حسنه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص157).

⁵ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص91.

حتى لو ضاع التناصح في المجتمع يبقى الجمل رمزاً للقوة وضخامة الحجم ولا يستطيع أحد تحديه فيقولون للسخرية ممن لا يقدر على الجمل فيضرب من هو دونه يقولون له: "ما عنده كبير إلا الجمل" ¹ "اللي ما بقدر يعُض الجمل يعُض البردعة". ²

وكأن كل شيء دونه فهو المهيمن بضخامته على موازين القوى، وأيضاً على ميزان الارتفاع فمن ركب الجمل كان في مكان يسمح له برؤية من هم دونه فيشعر راكبه بالخيلاء فيقول: "اركب جمل وامشي وسط الغنم وقول ما حدا شايفني". ³

حتى إذا أراد البدوي السخرية من أحدهم لسوء حظه، وتعثّر حاله صاغها بصورة كاريكاتورية رائعة فقال: "فوق الجمل وعُضه الكلب". ⁴ فيقول حتى لو كان في مكان عالٍ جداً لا يقدر الكلب على بلوغه فلتعثّر حال صاحبه سيصله الكلب ويعضه بسوء طاعة.

وللدلالة على سوء الحظ وتعثّر الحال، يقولون: "التعيس إذا ركب على ظهر الجمل بيعضه الكلب" ⁵ فالشخص عندما يكون راكباً على جمل كبير الحجم لا يصله شيء إلا أن هذا الشخص العاثر لو ركب على ظهر ذلك الجمل لوصله الكلب وعضه.

وإن وجد الفلسطيني شخصاً متذبذباً لا إلى هذا ولا إلى ذاك، لا هو بصغير ولا كبير قالوا: "مثل النعامة لا طير ولا جمل" ⁶. وفي ذلك استخدم المثل الشعبي بنصه في شعر أحدهم للتعبير عن هذه الحال المتقلبة فقال:

إنني تحيرت في أمري وأمرها

كيف النعامة لا طير ولا جمل. ⁷

ولا تقف أفضلية الجمل وأهميته عند حجمه الكبير، فالمهم العقول وفحواها، وليس الجسوم وما علاها فحتى الهزيل الضعيف من الجمال سيكون مفيداً نافعاً على عكس بعض البشر فيطلق

¹ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 91.

² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 73.

³ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 92.

⁴ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁵ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 101.

⁶ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁷ - المرجع السابق، ص 93.

المثل الشعبي حكمته قائلاً: "تربى هزيل الجمال ينفعك وتربى هزيل الرجال يقلعك".¹

فهذه المفارقة بين صنيع الحيوان وحفظها للجميل، وصنيع ابن آدم المنكر له الجاحد به، وهذا ما حدث مع الإله (بوذا) حين وجد مجموعة من الحيوانات محبوسة في فرع شجرة فأنقذها، فكافأته تلك الحيوانات بأن منحته من قدراتها الخارقة ولكنه عندما أنقذ ابن أحد الملوك حقد عليه لإنقاذه الحيوانات قبله، وما إن استردّ ملكه حتى أمر بضرب الإله - الناسك بالسياط.²

ونجد الجمل في المجال الاقتصادي وحدة قياس في مختلف التعاملات فمن أراد الزواج كان الجمل مهرًا لعروسه، ومن أراد دفع دية لقتيل كان هو الفداء أيضاً ففي الفرح والترح نجد الجمل حاضراً في تركيبة الألقاب للأشخاص ففي الأوساط الفلسطينية نجد لقب الإنسان له أهمية كبيرة فكما الجمل لا يمشي بلا ركبة كذلك الشخص لا يسير بلا لقب، وفيها قالوا: "الزلمة بلا نُقبه مثل الجمل بلا ركبة".³ وللجمل في التراث الشعبي الفلسطيني مكانه طيبة عالية فقد تغلغل في نظام حياة الفلسطيني بصورة سلسلة أعانته في شؤونه فكان الرفيق والخليل، وزادت قيمته عنده لما فيه من مكونات ومميزات، فأضحى جزءاً من سلوك البدوي وعلامة فارقة في حياته لذلك ربطوا السعادة ومسار الدنيا بالجمل أو الناقة فقالوا: "اللي ما عنده عادته ولا ناقة ولّاده، منين يشوف السعادة"،⁴ وكان حقاً على الفلسطيني أن يجعل السعادة مقترنة به؛ لأنه إن سقط صاحبه عن ظهره كان من وفائه ورحمته به وللحب المتبادل بين الجمل وصاحبه أنه يستنجد بالله له.

ولصبر الجمل الشديد على مشاق الحياة، وضغط العمل زاد من حب البدوي له وجعله قيمة وميزة؛ فأسبغ عليه من صفاته الإنسانية وأخذ منه صفاته سواء الايجابية لتمثيل المواقف الطيبة أو السلبية للاستنكار والسخرية من كل ما هو خاطئ فنجد الإنسان أخذ منه صبره وتحمله ووصف نفسه فقال:

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص101.

² - عبد الحكيم، شوقي: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، ص359.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص360(الزلمة: الرجل/ نقبه: لقب)

⁴ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص93.

(جَمَلُ المَحَامِل).¹ وقد شبه الرجل بهذا؛ ليقول للمرأة أنه قادر على تحمل أعباء الحياة عنها، وفي

المعنى نفسه يقولون بصراحة أوضح: "مثل جمل المحامل لا بحكي

ولا بشكي".² ولم يقتصر هذا التشبيه على قريب المرأة، ومن يحمل أعباء الحياة عنها فكل من يتحمل مسؤوليته على أكمل وجه دون محاباة يصبح مضرباً للمثل الجيد، وفي ذلك يقولون: "فلان بغير".³ ودليل على أن هذا الرجل قادر أن ينوب عن غيره، وأنهما في مكانة واحدة ودليل على نجابة الحالي وقدرته على إدارة الأمور كما كان سابقه يقولون: "جَمَلُ مُطَرَحِ جَمَلِ بَرَك"،⁴ فالرجال بأفعالهم لا بأقوالهم وأجسادهم .

وإذا أرادت المرأة أن تشبه أباها أو أخاها أو زوجها فإنها تقول: يا جملي، وفي المقابل يقول الرجل لقريبته المكشومة بفقد زوجها أو أبيها: "أنا حَمَلُكَ وَجَمَلُكَ"⁵

وقد زادت قيمة هذا الحيوان؛ لكثرة وروده في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والأحداث الدينية المرتبطة به منها: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)⁶ (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)⁷ فهي معجزة بمكوناتها وما زال العلم يكتشف أسرار هذا المخلوق كل يوم .

ويقال إن الجمل هو الوحيد الذي يعلم الاسم المائة من أسماء الله الحسنى، كما أنه الوحيد الذي نطق بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - "محدثاً إياه عن ظلم اليهودي له"⁸ لذا فالأرواح الشريرة لا تتقمص هيئته، أما في الشريعة اليهودية فهو من النجاسات لأنه يجتر .

¹ - الباش، حسن، السهيلي محمد توفيق: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، د.م، 1980، ص280. (جمل

المحامل: هو الجمل الذي كانوا يحملونه كسوة الكعبة، والصدقات داخل (هودج) مزين بأجمل الحرائر المزركشة، والمرصعة بآيات قرآنية كريمة، ويتوسط حشد هائل من الإبل منها ما يحمل المؤن، وأخرى تحمل قرب الماء)

² - عودة، هشام: **الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة**، ص200.

³ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: **الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص153.

⁴ - حسونة، خليل ابراهيم: **عن المثل الشعبي العربي لفلسطيني**، ط1، دار خلدون-غزة، 2002، ص38.

⁵ - ينظر: سرحان نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج5، ص40 أو الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص280.

⁶ - سورة الغاشية، آية 17.

⁷ - سورة الأعراف، آية 40

⁸ - ينظر: سرحان، نمر : **موسوعة الفولكلور الفلسطيني** ، ج5، ص40.

ويعاضد الجانب المادي القيمة الاقتصادية والاجتماعية للإبل؛ فيزيد قيمته ويعلى من شغف البدوي به، والإبل كلها خير للبدوي في ساعات هدوئها، ووقارها فهي من أقدر الحيوانات على حمل الأثقال وأقدرها على تحمل أعباء السفر لمسافات طويلة، وفي وقت الجذب تروى حليبيها الظمآن حتى لا يفنى، وإذا دُبجت شبع الكل من لحمها فهذا الحجم يخفي تحته الكثير من اللحم، وعناصر الحياة، وقد قيل ما خلق الله شيئاً من الدواب خيراً من الإبل إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت وإن حلبت، أروت وإن نحرت أشبعت.¹

فهذه المقولة تلخص أهمية الإبل كونها وسيلة نقل وقيمة غذائية عالية وفي هذا المعنى نجد أمثالاً شعبية فلسطينية تعزز تلك المقولة مادحة للإبل في حجمها، وقيمتها ومنها: "الجَمَل إذا بار بِحِمْل ثَلثِينَ قِنْطَار" ² "اذْبَحْ جَمَلٌ تَشْبَعْ لَحْمٌ".³

وتتجلى في جسدها مظاهر الخصوبة الإنمائية المتمثلة في إدرار اللبن الوفير، الكفيل بسقاية أطفالها، والعباد المنتظرين حليبيها الطهور-حليب الأم الكبرى، وتتضح تلك المظاهر في جسدها المكتنز لحماً فهي هبة ونعمة من الأم الكبرى في حال الجذب أو عند تقديم الأضاحي لتلك الام ليشبع منها كل العباد الجوعى، ولدرء شر وعقاب مرتقب من عشتار⁴ وعندما يذكر الفلسطيني الناقة يصف ضخامتها وقوتها، واكتمال خلقها فيسبغ عليها مظاهر الكمال والمثالية؛ ليؤهلها للقيام بواجباتها الإخصابية.

كما نجد في هذه المقولة ما يدل على تميز الإبل على غيرها من الدواب، فعند مقارنتها بالخيول المعقود في نواصيها الخير كما ورد في الحديث الشريف نجد سفينة الصحراء الليلية تمتاز على نظيرها، بأنها لا تخشى الليل ولا وحشة الصحراء، وفيها يقول المثل: "الْخَيْلُ مَنْاصُ الْخَيْرِ وَالْإِبِلُ أَحْسَنُ وَأَخِيرٌ".⁵ وقد فضلها البدوي على الفرس لقدرتها على قطع الفيافي دون تعب أو نصب فهم يركنون إليها في أسفارهم فيقول قائلهم: "الْخَيْلُ بَتَجْرِي وَبَتَقْعِدُ وَالْبَلُّ لِلْمَشْيِ الْبَعِيدِ".⁶

¹ - الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ص 109

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 359. (بار: تكاسل ولم يجد من يشتره)

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص56.

⁴ - طه، طه: صورة المرأة المثال، دارفضاءات، ط1، عمان-الأردن، 2009، ص348 .

⁵ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص40.

⁶ - المرجع السابق، ص146.(البل:الإبل)

وقد عرف البدوي السفر عن طريق البحر، ولكنه ظل وفيًا لصحرائه التي جُبل عليها فهو ابن تلك البراري وقد فضّل السفر برًا فهم (أهل برّ) ويُقال عنهم (براوي) فيقولون في أمثالهم: "خراط النبل ولا تسبيح السمك"¹ وكان حقًا على ابن البر تفضيل الجمل في تنقله على غيره من الحيوانات.

ولم يقتصر دور الإبل على كونها وسيلة تنقل في حياة الإنسان؛ ولكن كانت وسيلته إلى الخروج من مستنقع الفقر المدقع، لكونها قيمة اقتصادية عالية القيمة، فهي تنشله وذريته من بعده، فيقول المثل: "الإبل عطايا الله يشلنك حي ميت".²

ومن شدة حبهم لإبلهم كانوا يتהלلون طربًا لرؤيتها؛ فهي عزّ لأصحابها فقال عليه السلام: "الإبل عزّ لأهلها، والغنم بركة، والخير في نواصي الخيل معقودة إلى يوم القيامة"³ وفي أقوالهم يقولون: "يا الله النبل والسعد المقبل"⁴ ولقيمتها في حياتهم نجدهم يهتمون بنسبها وخصالها فيطلقون النصائح للمحافظه على نسل الإبل؛ فكل شيء أصل ونسب فيقولون: "لا تشتري ثور من بدوي ولا جمل من فلاح".⁵

الناقة هي المقابل المادي الذي يُدفع في كثير من المناسبات فهي المهر الذي يُقدم للعروس، فيقال: "اللي بده يعمل جمّال يوسع باب داره"،⁶ فمن أراد اقتناء جمل عليه أن يصمم باب بيته كبيراً نظراً لضخامة حجم الجمل، وكذلك حال من أراد الزواج بفتاة عليه أن يكد ويتعب للحصول عليها، وبعد ذلك أصبح المثل يقال في مناسبة الأمر لصاحبه، وكانت الناقة أداة في حقن الدماء حين كانت الدية التي تقدم لأهل القتل، وكذلك دخلت في غيرها من المعاملات المادية.

وفي المثل الشعبي إشارات أخرى لعلاقة الناقة بالفتاة، فالمرأة هي المرأة وكذلك الناقة هي الناقة حتى لو أصدرت أصواتا أو تصرفت كالرجال فيقال: "الناقة ناقة ولو هدرت"،⁷ فلو أرغت كالرجال تظل

¹ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص146.

² - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص40. وينظر: دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 95 (يشلنك: يحملنك)

³ - ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الاشبيلي، أحكام القرآن، دار الفكر بيروت، دت، 3/119.

⁴ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص155.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص154.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص67.

⁷ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص1234.

أنثى، وترافق الناقة مثيلتها الأنثى في تكليل الزواج فتذهب المرأة إلى بيت زوجها بالهودج الذي يوضع على الناقة، ويقال أيضا: "ابن العم بطيح عن الجمل".¹

ومن منظر العروس المزدان المتربعة في هودجها ابتكر الأطفال لعبتهم "عروسة الجمل" فيجلس الطفل على رقبة والده ويدلي رجله من فوق أكتاف والده.²

وكما العروس التي تكون تحت المجهر وقت (النقّدة) توضع الناقة تحت المجهر نفسه؛ فلشغفهم بها أخذوا يرسمون صورها في أمثالهم فمن أراد مدح فتاة، لاتساع عينيها قال: "زَيَّ عَيْنِ الْجَمَل" أو "زَيَّ عَيْنِ الْحُور"³ حتى امتد التشبيه إلى المأكولات فتعارف أهل فلسطين على تسمية (الجوز الشامي) باسم (جوز عين الجمل) لتمام شبهه بعين الجمل لا تساعها.⁴

ولأن الإبل رمز الأصالة، وتعبير عن الفخر بقيمتها أخذ الفلسطيني يسمُ إبله برسوم معينة تعرفها القبيلة، وقد جعلوا موطن تلك الرسوم الرأس والصدر أو الخشم مدللين بذلك على علو شأنها فقالوا: "وُسُومَهَا عَلَى خُشُومِهَا"⁵ وزادت قيمة الإبل في عيون محبيها ومريديها حين كرمها عليه الصلاة والسلام بذكرها في حديثه القائل: "فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ"⁶ أي الهين اللين ذي الأنفة، ولشغف الفلسطيني بالإبل أخذ يُسجل تفاصيل حياتها فوثق تاريخ ميلادها بمثله الشعبي القائل: "الإبل تنوب على خمس وتدفن على خمس".⁷ وقد ربط بين دورة حياة الإبل وأصناف الرجال فقال: "الرجال خمس والإبل خمس".⁸

وها هو الفلسطيني يروي أبجدية الطقس لتلك المنطقة الجغرافية التي يقطنها، ولكنه يسردها بطريقة مستوحاة من تجربته مع ما يهمه ويخصه، فكان الجمل جزءاً من (روزنامة) السنة الخاصة بالفلاح

¹ - أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ج1، 1995، ص 11.

² - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 219.

³ - المرجع السابق، ص80. (الحور: ابن الجمل الصغير)

⁴ - ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص95. (وسومها: علاماتها/خشومها: أنوفها)

⁶ - ابن ماجه، محمد بن يزيد الربيعي القزويني، سنن ابن ماجه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: دار الكتب العلمية القاهرة، بيروت، 1987، ص937.

⁷ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص95

⁸ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وجاءت هذه التجارب وهذه الأبجدية مصاغة على شكل أمثال موجزة الكلمات كثيرة الأعمال ومنها: "الربيع يعدل عوج العراقيب"¹. والعرقوب هو أسفل الساق أعلى الخف مباشرة، عندما ينزل مطر الشتاء تنبت الأرض نباتاً تأكل الإبل منه، تقيم عرقوبها الذي أعوج من شدة الجوع في فصل الشتاء، وهذا المطر لا يقوم عوج القدم فقط، بل يعدل حال الفلاح بما ينتجه من زرع فالحصيدة تعدل حال الناس فيقول الفلاح مهلاً بهذا الشهر: "الربيع يعدل المعوجات والحصيدة شهر المرحبات"² ومن رحابة هذا الفصل أن الجمل يعود إلى نشاطه المسبوق: "أذار أبو الزلازل والامطار بحمض اللبن وبرطع الجمل وتفتح العنقة والبنقة وبيبيض الشنار"³.

وفي فصل الصيف يصبح الجو جميلاً إلا أنه يحمل في بعض أوقاته برداً قد يهلك أقوى الحيوانات، وأضخمها فيقول المثل: "سقعة الشّعير بترمي البعير"⁴ وفيه أيضاً يقول: "برد السبل بسطح الجمل"⁵. وإذا جادت السماء بأمتارها، وسقت البلاد فالبرد الشديد هو صاحب السطوة في تلك الفترة وخاصة في الكوانين (كانون الأول والثاني) فيلتزم الفلاح بيته، وكذلك أولاده وجماله التي تعد جزءاً من عائلته يعاملها معاملة الأولاد؛ فكما يحنّ على أولاده يحنّ عليها فلا يخرجها كي لا تتفق من شدة البرد فتأتي الحكمة المثلية بهذه النصيحة لذوي الأبواب من الفلاحين تقول لهم: "في كانون كنّ وعلى البعير حن"⁶.

ومخالف هذه القاعدة؛ سيجني على إبله وصغارها وفي شهر الخميس كما يطلق عليه الفلاحون شعبياً وهو شهر نيسان ففيه تتقلب الأجواء وتحمل الذاكرة المثلية لهذا الشهر حكم ووصايا منها: "مطرة الخميس بترد الإبل لمخايبها"⁷ وبذلك يُجمل الفلاح الفلسطيني البسيط بخبرته وتجربته، وعلاقته الوثيقة بحيواناته الكيفية التي يتعامل معها تماشياً مع الجو والجغرافيا .

¹ - ابن سيده - المخصص - السفر السابع - مجلد 2 - دار الفكر بيروت، ص150.

² - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص31.

³ - المرجع السابق، ص42.

⁴ - المرجع السابق، ص185.(سقعة: برد)

⁵ - أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص78.(بسطح: يقتل)

⁶ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص1136

⁷ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص206.

وكما كانت الإبل رفيقة الفلسطيني في أيام سعدة وسلمه، كانت مطيته في أيام حربه وذوده، فالنقب بالرغم من كونها صحراء إلا أنها خصبة بما تجود به على أهل البادية، لذا حقّ على أبنائها الدفاع عنها والدّود عن حماها ضد المعتدين موثقين بذلك جذورهم بهذه الصحراء، وعلاقتهم الوثيقة بسفينتها الإبل فكانت التمثيل الواقعي للرجولة على تلك الصحراء المحرقة، فقالوا في أمثالهم: "الحامي عند البيل".¹

فالرجولة تظهر على ظهور الإبل عند الحرب، وصد المعتدين وبالتالي تنعكس قدرة الإبل في المعارك بقدرة راكبها وجسارة قلبه فهي الدافع الأساسي لتلك الإبل، لتحمل الحروب الطاحنة فيقولون في ذلك "الإبل بتشيل بقوة قلوب أهلها"² وإن حدث وركبها خائف أو جبان انعكس أدائه عليها فلذعته كلمات المثل الشعبي القائل: "لا في العير ولا في النفير"³ وكذلك قالوا: "ما إلو فيها ناقة ولا جمل"⁴ للدلالة على أنه لا يصلح لشيء لا للتجارة ولا للحرب.

ولأن الناقة وليدة الصحراء، وسفينتها كانت مقدمة في حروبهم فها هو المثل الشعبي يقدمها على الخيل في القتال قائلاً: "الخيّل لما تفل بتفل بأهلها والإبل يوم تشرد تشرد ع صاحبها"⁵ وهذا يعني أن الخيل في الحروب إن سقط فارسها تهرب ويجري أهلها في إثرها، أما الإبل فإنها تشرد باتجاه أصحابها فلا يضطرون للبحث عنها.

وإذا أراد رائد القبيلة أن ينقل أخبار الغازين المعتدين عليهم فلا يجد تعبيراً أصدق من وصف قوتهم بأنّ قِطْهُم قد بلغ مبلغاً عظيماً وأصبح كالجمال في الفعل فيقول: "قِطْهُم جَمَلٌ"⁶ وإذا أراد وصف الحال بين المتخاصمين فإنه يقول: "جَمَلْكو عَقْر جَمَلنا"⁷ وكأن نصر القبيلة أو هزيمتها يُختصر في نصر هذه الدابة أو هزيمتها.

¹ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص170 (الحامي: أوقات القتال والخصومات)

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 95. (بتشيل: تكتسب)

³ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص171. (العير: أوقات السلم /النفير: أوقات الحرب)

⁴ - المرجع السابق، ص172

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص95. (تفل: تهرب/يومن: يوم أن)

⁶ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص15

⁷ - المرجع السابق، ص158. (جملكو: أي الجمل خاصتكم /عقر: قتل)

ولأن الله عز من قائل قال: **{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**¹ فقد جعل الله الأرزاق مقسمة كبيرها وصغيرها عزيزها وذليلها، جعل رزق الكبير على الصغير والصغير على الكبير، وفي ذلك قالت أمثالنا الشعبية: **"بِكْسِر جَمَل عَشَان عَشْوَة واوي"**² وبيعض التصحيف والتحريف يُقال: **"الله بِيكسر جَمَل عَشَان يَعْشِي واوي"**³ فقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد، فالله تعالى قد ينجي الواوي من الهلاك؛ بهلاك جمل ضخم الجثة فلا تستحقرن كبيرا ولا صغيرا فقد تكون الجسوم الضخمة خلقت لنجاة الأجسام الضعيفة، كما قد تكون أحقر الأشياء سبب هلاك أقوى المخلوقات فيقال: **"قَشَّة قَتَلَت بَعِير"**⁴ فالله قد يجعل سره وكهنه في أضعف خلقه، وعندها تصل الأمور إلى نهايتها وتغلق السبل. ولقد آمن الفلسطيني أن مصير أي شيء النهاية والزوال إلا أنه أرسل حكمته في تلك الأوقات الصعبة فلا تحزن على كل شيء فقط الأمور الكبيرة المهمة هي التي تستحق الحزن على ذهابها فقال: **"راح الجَمَل لا أَسَف على الرَسَن"**⁵ أي لا يجوز تحميل الأمور فوق طاقتها فإن ذهب الغالي لا أسف على الرخيص فليس من المعقول الحزن على الرسن وثمنه، وقد هلك جمل غالٍ عزيز.

الصورة السلبية للجمل:

بالرغم من كل حسنات الجمل، وأهميته للفلسطيني وغيره إلا أنه يبقى حيوانًا مزاجيًا قد نجده في إحدى اللحظات هادئًا ساكنًا منقادًا، وأحيانًا أخرى قد نجده نافرًا حادًا تلك الحالات القليلة التي يصاب بها الجمل بهيجان أخذها الفلسطيني وألقى بها على تصرفات كثير من الناس فكما كان كبر حجم الجمل من إيجابياته التي يُحمد عليها في أثناء العمل والقدرة على القيام بكثير من المهام الصعبة هي نفسها كانت من مثالبه إذا كان فساد الأمور ناتج عن كبر حجم، وسوء إدارة للأمور، وفي ذلك يقول المثل الشعبي: **"يا ما كَسَر الجَمَل بطِيخ"**⁶.

¹ - سورة الذاريات: آية 22 .

² - حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص158.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 194. (عشان: لأجل/يعشي: يأمن له وجبة العشاء)

⁴ - عباس، فؤاد وآخرون: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص63.

⁵ - عوض، سعود عوض: أمثال بدوية فلسطينية (مجلة) .

⁶ - أبو فردة، عايد محمود: لأمثال الشعبية الفلسطينية، ص206

ولقد ظلت قوته الجسمانية في بعض المواقف أسيرة سلبيته حين يتفاخر أحدهم في إحدى المجالس بكلام لا فعل فيه، يقولون في ذلك المتفاخر: "صَيِتَ الجَمَلُ قَتْلَهُ"¹ وإذا وجد أحد يكرر كلامه مرات، ومرات فلا وسيلة لإسكاته أفضل من مثل يلجمه، ومنه: "الجَمَلُ بيجتر من اللي في بطنه"² وكذلك وصفوا من يدور في كلامه كالجمال الذي يدور حول الساقية أو المعصرة طوال الوقت يتحرك في حلقة مفرغة، فقالوا: "زي جمل الساقية / زي جمل المعصرة"³ أما من يتكاسل عن أعماله ويحاول التعتذر بأعذار واهية نجدهم يقولون له: "زي الجمل اللي بعرج من شفته"⁴ فعلياً لا علاقة بعرج الجمل، وبين شفته ولكن من أراد التهرب من العمل يكون ألم الشفة سبباً كافياً لعرج الجمل .

أما الذي يصيبه الغرور والكبر عندها لن يرى عيوبه وسيظل يتصدى لأخطاء الآخرين وينتقدهم فكان نَصيب هؤلاء من الأمثال الآتية: "الجمل ما بيشفوف حردبته"⁵ وفي نفس المعنى: "الجمل بشوفش عوج رقبته"⁶ "الجمل عرقوبه وراه، بشوف عيب غيره، وعيبه ما براه"⁷.

ومن كانت تصرفاته تسيء له، ولمن حوله وكان وضعه في انحدار مستمر كانوا يضمون حال تلك الفئة بقولهم: "زَيِّ بَعَرِ الجَمالُ كُلِّ مالو لورا"⁸ وإن بالغ الشخص في السوء وأصبح عدوانياً سيئاً كانوا يصفونه بأنه مرض وآفه أصابت المجتمع كما الجرب الذي يصيب الجمل فيؤذيه، وتتحاشاه باقي الجمال، فيقولون: "فلان زَيِّ الجَمالِ الأَجْرِبُ كُلِّ الناس بتتحاشاه"⁹.

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية: قراءة معاصرة، ص200

² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص105. (بيجتر: يعيد مضغ الطعام، وهي عادة عند بعض الحيوانات).

³ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص192.

⁴ - حجازي، أحمد توفيق: موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص65. (اللي: الذي)

⁵ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص105. (بيشوف: يرى/حردبته: انحناء ظهره)

⁶ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص45. (بشوفش: لا يرى)

⁷ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص280. (العرقوب: عضو من أعضاء رجل الثوب بين الساق والوظيف/وراه: وراءه/ براه: يراه)

⁸ - المرجع السابق، ص128. (زي: مثل/ بعر: فضلات الجمل /مالو: ما له/لورا: للخلف)

⁹ - حجازي، أحمد توفيق: موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص74 .

حسن الإدارة في الأمور من صفات الرجل الجيد إذا فقدها كان كما قال المثل "عشرين جمل يسوقهم حمار" ¹ أي أن الشخص إذا سلم فكره لغيره، ولم يتصرف بعقلانية كان كمن يقوده حمار وإذا كان الشخص جيداً أو كبيرَ القدر والقيمة، وكانت ذريته ليست بمستواه أخذوا يسخرون منه بقولهم: "جمل وخلف بعة". ²

وإذا أراد الشخص تجاهل الأمور التي أمامه وتحويرها فإنه يجيب عن سؤال من يسأله عن موضوع ما بقوله: "لا شفت الجمل ولا الجمال" ³ والإبل من الحيوانات التي استأنسها البشر فأصبحت داجنة عندهم يستثمرونها لأبعد الحدود، فيأكلون لحمها ويشربون لبنها ويلبسون وبرها، ويُسمدون بوبرها، ويشتركون في كثير من المشاعر، ويخلعون عليها صفاتهم، ويجسدون بها أنفسهم، ولكن هذا الحيوان الذي يعطي ويصبر ويتحمل يأنف أن يُضرب، وإن ضُرب فلينتظر ضاربه الردّ الموجه من ذلك الضخم.

والجمال كما تؤكد الأمثال الشعبية لا تنسى ألمها، ولا تنسى ضاربها فهي من الحيوانات التي تحمل، وتحقد على المعتدي عليها، وفي ذلك يقول المثل الفلسطيني: "زَيّ الجمل بحط في قلبه" ⁴ وتقول العرب "أحقد من جمل" ⁵ للتأكيد على أن الجمل يتصف بالحدق وكل إنسان توجد فيه هذه الصفة يتوحد مع الجمل، ويُنعى بهذا المثل، ويقول أهل فلسطين في هذا المعنى: "الجمل ما ينسى هواته" ⁶ فيقولون لمن يُصاب بنوبة غضب، ولا يعلم ما يقول ولا يسيطر على انفعالاته، فيزيد ويرغي عندها يُشبهه بالجمال الصائم فيقولون: " زَيّ الجمل الصائم ، زَيّ الجمل السائق" ⁷ والجمال الصائم: هو الذي تسيطر عليه شهوته فترة التزاوج، ويصاب بنوبات غضب، وللدلالة على الغضب مع الصوت

¹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص361. (بسوقهم: يقودهم)

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص360.

³ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص200.

⁴ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص201. (بحط: يضع)

⁵ - شكر، شكر هادي: الحيوان في الادب العربي، ص47 .

⁶ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص280 (هواته:ضربته).

⁷ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص41

العالي يقولون: "زَيِّ الْجَمَلِ الْهَذَّارُ ، بِيَهْدِرِ زَيِّ الْجَمَلِ" ¹ ولشدة حقه أن اصفرّ نابيه فوصفه فقال: "نابيه أصفر مثل ناب البعير". ²

وفي تلك الفترة التي يكون حال الجمل هكذا يضعون له (كمامة) يطلقون عليها اسم (بلام) كي لا يعتدي على أحد، ويوصف من يحقد بالجمل الذي يُصنف على رأس كل حاقد، فيقولون: "ثَلَاثُهُ لَا أَمَانَ لَهُمْ: الْجَمَلُ وَالْبَحْرُ وَالْعَبْدُ" ³ فهذه الأشياء لا يجب الأمان لها ويجب الحذر في التعامل معها وكذلك الحال مع كل شخص يُوصف بصفات الجمل.

وبعيداً عن ساحات الحرب نجد حرب الطعام الدائرة في الصحراء حول الماء والكلأ والدواب، تهذب أخلاق الملتفين حولها فتندم من يتخلق بغير أخلاقها، ويتأدب بغير آدبها فيقولون ناصحين من أراد أن يكون محنكاً حربياً مهذباً أخلاقياً: "كُلْ أَكُلِ الْجَمَالَ وَقَوْمَ قَبْلِ الرِّجَالِ" ⁴ وفي نفس السياق يقولون: "عَبَّ غَبَّ الْجَمَالَ وَقَوْمَ قَبْلِ الرِّجَالِ" ⁵ أي يجب أن تأكل كثيراً بلقيمات كبيرة كالجمال، ولكن عند الأكل مع القوم عليك أن تكون صاحب أنفه وعزة نفس وتقوم قبلهم لكي لا يظن أنك (لا تجد اللقمة) ويطلق عليك بالشره، وتصبح مضرب مثلم فيقال: "ما بشبع الجمال إلا الخرفيش" ⁶.

وللأكل النهم الذي يأكل بشكل شره يصفونه بأنه يأكل الأشياء الكبيرة، ويعجز عن صغارها فيقولون فيه: "بَلَعَ الْجَمَلُ وَزَوَّرَ بِالرَّسَنِ" ⁷ "بَلَعَ الْجَمَلُ وَبِتَشَرْدَقَ بِالْبَرْغَشَةِ" ⁸ وللبخيل الذي يُقْتَرَّ على نفسه وعلى أسرته، ومن حوله لم يجدوا مثلاً أصدق من قولهم بأنه مثل الجمل الذي يحمل الماء على ظهره ويظل عطشاً، فقالوا: "زَيِّ جَمَلِ الْحَجِّ بِيَمُوتَ عَطَشٌ وَالْمَيَّةُ عَلَى ظَهْرِهِ" ⁹. أما من يتولى تقسيم شيء كبير ولا يحصل إلا على القليل القليل فإنهم يقولون: " طَلَعَ / طَلَعُهُ مِنَ الْجَمَلِ دَانَهُ" ¹⁰.

¹ - ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها . (الهدير: صوت أمواج البحر، أو الطائفة .

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 277.

³ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 42.

⁴ - حسونة، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 158.

⁵ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية: قراءة معاصرة، ص 200. (غب: أقبل على الطعام بلقم كبيرة)

⁶ - أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 185. (الخرفيش: نوع من النباتات الشائك)

⁷ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 94.

⁸ - المرجع السابق، ص 96. وينظر: أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 87.

⁹ - عباس ، فؤاد وآخرون : معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 129.

¹⁰ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 157. (دانه: أذنه)

وأما من يعمل من غير اتقان أو من لا يريد أن يعمل (فيعمل على قفى ايده) كما يقال بالعامية أو من يعمل بشيء لا خبرة له به، يصفونه بالجمل الذي يحرث لعلمهم باستحالة حدوث هذا الأمر لعدم توافر القدرة الجسدية لدى الجمل، فهو يمتلك خفين عريضين فيقول فيه: "مثل حراث الجَمال اللي يُحرثه بِدكه/ببركه"¹ وكذلك اتخذوا من هذا المثل وسيلة لنقد من يختم عمله بالتخريب، فيقولون في ذلك: "شُغْلَكَ مثل حراث الجَمال"²

ومن يهتم بفسافس الأمور ويهمل الأمور القيّمة ذات النفع، فإنهم يقولون قولهم السائر فيه: "بِيقص شعر الجَمَل بقرش وبيطهر إيديه بقرشين"³ وفي نفس المرمى يقول البدوي الفلسطيني: "مزوق ذيّ جمال عَقيل، لا بينفع في شيلة ولا في حطة"⁴ يريدون القول إن الذي يتقاعس عن أداء واجباته يكون كالجمل الذي يحمل على ظهره "الخُرج"⁵ لا يفيد في شيء عندها يكون كحامل القير، وكذلك الجمال التي تتقاعس في قطع المسافات الطويلة.

ومن محاسن الجمال أنها تذود عن الحمى، ومن قصّر في ذلك وقف له المثل الشعبي مُوبخًا قائلاً فيه: "كُلّ الجَمال بتعارِك إلا جَمَلنا بَارَك"⁶ ومنه أيضًا: "كُلّ الجَمال بهَدَرَن ما عدا جَمَلِي بهَدَرَش"⁷ ومن كَثُرَ همه وعظمة مصيبتة فإنه يقول: "يا إما بالجَمَل يا بالجمال يا بِصاحب الجَمَل"⁸ يريد القول بأن المصائب إذا حلت لا تبارح هكذا بل تأخذ معها شيئاً ثميناً، فإما أن تحلّ بالجمل، أو بصاحبها، أو من يقود الجمل وكلها.

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 221. (ببركه: أي يمشي فوقه فتزول علامات الحراثة)

² - المرجع السابق، ص 139

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 362.

⁴ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 146. (مزوق: الذي يضع الزينة عليها/عقيل: لافائدة ترجى من عمله)

⁵ - الخرج: وهو ما يوضع على الدابة لحمل الأغراض لا فائدة من تزيينه وتجميله وجعله تحفه فنية إذا كان الجمل خمول.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 250. (بارك: جالس)

⁷ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص 33.

⁸ - المبيض، سليم عرفات: الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 144.

لقد استطاع الفلسطيني أن يرسم لهذا الحيوان الضخم صورة مختلفة ممزوجة بتجربته الشخصية معه، فنراه يمدح ويُمدح تارة، ويزجر ويحذر تارة أخرى، فعند الحديث عن حجمه أسرف في مدحه وفي الوقت نفسه أنكر عليه ذلك الحجم حين كان سببا في فساد بعض الأمور.

ومن الصور المزدوجة التي رسمها الفلسطيني لهذا الحيوان مدحه صبره وتحمله ضغوط العمل، في حين أنكر عليه حقه ونزاقه خُلقة.

وبالرغم من هذه الصورة المتداخلة إلا إنه ظل يُكن له الحب والتقدير فاتخذة رفيقه في حله وترحاله، وأضاف إلى تلك العلاقة الكثير من الحذر.

المبحث الثاني: صورة الفرس والبغل في الأمثال الشعبية الفلسطينية

يعود موطن الخيول الأصلي إلى أمريكا حيث كانت وحشية كباقي الحيوانات إلى أن شقت طريقها إلى آسيا في العصور الحجرية القديمة التي كانت فيها آسيا وأمريكا قارة واحدة، وما لبثت أن دخلت فلسطين في حالتها الوحشية في العصر الميسوليثي (2000 - 7000 ق.م)، ويقال إنها دُجنت منذ عهد قديم في مكان ما شرقي بحر قزوين من قبل القبائل الهندوأوروبية الرُّحل وما لبثت أن دخلت الأراضي العربية وأصبحت جزءاً أصيلاً منها، فحفظتها وحفظت سلالاتها وأنسابها، وبذلك أصبحت البادية العربية الحافظة الأهم لأنساب الخيول.¹

وكان نصيب الحيوانات التي ألفها الفلسطيني، وأخذ يصور حركاتها وسكناتها ودقائقها الداخلية والخارجية أكثر حظاً من تلك التي بقيت وحشية يخافها ويخشها وهو أمر طبيعي ومنطقي فيلتفت الإنسان إلى ما هو لصيق به قريب منه ثم يتدرج إلى سواه.

وعلى قدر عناية الفلسطيني بالخيول على قدر التزامه بالنهج النبوي الشريف فشاهد عليه السلام "يلوى ناحية فرسه بإصبعه وهو يقول: الخيل معقودة في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها مُعانون عليها، لهم الأجر والغنيمة".²

ولقد دعا الإسلام إلى إكرام الحصان العربي، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم "من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله، وإن أهانه، أهانه الله"³ وبذلك ساوى الإسلام بين الخيل والإنسان، فإكرام الخيل من إكرام الإنسان، وإهانته من إهانته.

والأمثال الشعبية الفلسطينية محملة بطائفة من الأمثلة التي تدل على مكانة الخيل في حياة الفلسطيني اليومية، ونظراً للعلاقة الوثيقة واللصيقة بين الفرس والفلسطيني فقد أسبغ عليه صفات آدمية وبذلك أصبحت العلاقة تبادلية بين الفلسطيني والفرس فنرى الأمثال تصف الفلسطيني بصفات الفرس حيث اقترن ذكر الرجل الفهم بعيد النظر الذكي الوقاد، الوفي لعائلته ومجتمعه بالفرس المتصفة بهذه الصفات؛ وبسبب هذه العلاقة أصبح الفرس قادراً على تقليد الأفعال التي يقوم بها الفلسطيني، فيقول

¹ - ينظر: الباش، حسن والسهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 263.

² - مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1972، ص 987.

³ - الباش، حسن والسهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 264.

فيه: "الخيل لو علمتها الصلاة لصلت"¹ وفي المقابل نجد الرجل القوي الجريء المقدم يوصف بأنه كالحصان فيقال: "فلان حصان".

أما الصفات السلبية المكروهة فتلتصق دائماً بالكديش الذي يُعد أقل منزلة من الفرس فلا يتصف بالأصالة ولا الذكاء ولا الوفاء، ويستخدم في الأعمال الحقيرة كجر العربات الثقيلة وإدارة الطواحين والمعاصر وأعمال الفلاحة، ومن الأمثال: "عيش يا كديش ليططلع الحشيش"² ويضرب لاستحالة هذا الأمر ويمكن تقسيم الأمثال المتعلقة بالفرس إلى قسمين: الأول يتناول الأمثال الإيجابية التي تجسد القيمة الاجتماعية للفرس من خلال علاقتها بالمرأة، وعلاقتها بالفارس، وعلاقتها بالمحيط الحيواني، وهي في معظمها صور إيجابية والقسم الآخر يُظهر الوجه الآخر للفرس من خلال علاقته بالحرب والأمور التي تشاءموا فيها منه وهي الصورة السلبية له .

أولاً: الصورة الإيجابية للفرس في الامثال الفلسطينية :

ترتبط المرأة بالفرس بوشائج وعلاقات وثيقة ولعل الملمح الأبرز الذي يميز المرأة والفرس هو (الجمال والطاعة والأصالة، فالفلسطيني يشبه فرسه بالعروس قائلاً: "فلان عنده فرس مثل العروس"³ فكما العروس يوم زفافها تكون في أوج جمالها وبالغ زينتها كذلك الفرس ولا تخلو مراسم الزواج والزفاف من وجود الفرس فالعريس يأتي على فرس بيضاء مزينة مزركشة بألوان بالغة الجمال، حاملاً مظلة مزينة استعداداً لإشهار عرسه حيث يطوف أرجاء البلدة للوصول إلى بيت العروس لينقلها إلى بيته، ولا يقل جمال الفرس المزركشة بالألوان عن جمال تلك العروس الفتانة حيث تجعل كل من يراها يقول: "مبرشمة مثل الفرس الأصلية"⁴.

ونرى الفرس في مشهد العرس الفلسطيني مزينة بأجمل الزينة مجدولة الشعر معطرة بالطيب، وكأنها تجسيد لعشتار في لحظات تجليها وجمالها، فنرى صورة هذا الحيوان المستأنس تأتي على شكل أقرب إلى الوعي الواقعي بحكم معاشتها للإنسان ومشاركتها له، كيف لا؟ وقد جعلت لهذا العاشق الحق

¹ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 139.

² - عباس، فؤاد إبراهيم: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 160.

³ - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع3، م1، 1974، ص5

⁴ - مبرشمة: مزينة.

فيما ليس له، فالشريعة السمحة حرّمت خطبة الخاطب على خطبة أخيه، إلا أن للعادات سطوتها ويأتي هذا الحيوان ليساند العادات في أن يجعل ابن عمّ الفتاة أحق بها من خاطبها فنرى المثل يقول: "وَلَدَ الْعَمَّ يَنْزِلُ الْعَرُوسَ عَنِ الْفَرَسِ"¹، فتقف الفتاة حائرة مستسلمة لسطوة التقاليد، وتنزل عند رغبة والدها، ويكون لهذا الحيوان دور في تكريس مأساة المرأة الفلسطينية التي حُرمت حق اختيار زوجها المستقبلي في حين تجبر المرأة على الزواج، يحق للرجل اختيار زوجته ويكون له مطلق الحرية في اختيارها، فيقال: "الرجل حصان بيهد على كل رسن"².

ومرة أخرى ينتصر العنصر الذكوري الذي هو عماد المجتمع الفلسطيني في حين تظل المرأة مكبلة بعادات وتقاليد القبيلة التي ترفض زواجها من خارج قبيلتها حفظاً للنسل: "النِسوان سَلَايل زِي سَلَايل الخيل"³ إذا أراد الفلسطيني اقتناء فرس فإن عليه السؤال عن أصلها وفصلها تماماً كالمرأة المقبلة على الزواج لأن الأصلية تلد نسلاً طيباً.

ومن معالم جمال المرأة الشعر خاصة إذا بدا ناعماً وغزيراً وطويلاً، عندها يشبه بشعر ذيل الفرس "وقد انتشرت بين النساء في الوسط الفلسطيني، طريقة لتسريح الشعر عُرفت باسم " ذيل الحصان".⁴ ولقد اجتهد مربو الخيل في إطالة شعر ذنب الخيل فكانت من الأمور المحبوبة المرغوبة عندهم فوصفوها في أمثالهم قائلين: "الفرس الأصيلة محبوبة الذيل"⁵ وهنا تصريح واضح بين الأصالة وإطالة الشعر، ولكن إن وصل الأمر إلى حدّ الغرور والزهو فلا خير في ذلك الشعر ولعل من أسباب غرور الفرس وزهوها وفي هذا قال المثل الشعبي ليحدّ من ذلك الزهو فيقال لكل متباه بشعره: "الشعر لو فيه خير، ما طلع على ذناب الخيل"⁶ عندها تتكسر سلالمتها المتباهي، ويجلس منحسراً.

¹ - زيادنه، صالح: من الأمثال البدوية، ط1، د. م، 1997، ص23 (ابن العم بينزل عن الفرس).

² - ينظر: الشلة، لندا مصطفى علي: صورة الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني، إشراف احسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2016 ص102.

³ - زيادنه، صالح: من الأمثال البدوية، ص29. (سلايل: جمع سلاله وهي الأنساب)

⁴ - ينظر: الشلة، لندا مصطفى علي: صورة الفرس في الأدب الفلسطيني، إشراف احسان الديك، 2016، جامعة النجاح، ص95.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص862

⁶ - جبر، كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص62

فالله تعالى خالق الجمال ولكنه لم ينزل الكمال وإنما جعل الكمال له وحده سبحانه فلا يكتمل جمال المرأة ولا جمال الفرس على حد سواء حتى لو كانت الفرس عربية أصيلة فإن جمالها لا يكتمل فيفسده: (ابو ملعون) وفيه يقول المثل: " كل كحيلة ومباريها أبو ملعون " ¹

والسعادة من الأمور التي ينشدها ويبغيها كل انسان في حياته العملية والاجتماعية، فلا عجب أن تكون الفرس من أركان السعادة نظرًا لمكانتها في حياة الفلسطيني وفيه يقولون: "السعادة بثلاثة الدار الوسيعة والمرأة المطيعة والفرس السريعة" ² ولقد ذهب المثل إلى أكثر من السعادة عندما بيّن أسباب طول العمر، وحصرها في قوله: "طول عُمرِكَ ثلاث: أخذك البنات ورُكبك الفرسان ومشيكَ على النَّبات". ³

وفي المعنى نفسه: "اللي بطول عُمرِكَ: أخذك البنات ورُكبك الصافنات ومشيكَ على ثبات" ⁴ وقد جعل طول العمر والبعد عن كدر العيش، و الزواج من فتاة غير محنكة بأمر الدين؛ ليسهل على الزوج تطبيعها كما يريد، هي مسرات الدنيا، وكذلك الحال بالنسبة للفرس إن كانت أصيلة يُطبعها الفارس كما يريد، والخيّل عند راحتها تكون صافنة واقفة بلا حراك؛ مما يضفي عليها هالة الصمت والوقار، ولشدة وقارها نجدها ترفع أحد قوائمها لتسريحها، وإذا ضمن مثل تلك الفرس سيضمن الثبات على الطريق، وعدم التعثر، وبذلك يضمن الراحة داخل البيت وخارجه، وهذه أسباب طول العمر والسعادة. الأصالة من الصفات المهمة التي يجب أن تتوافر في المرأة والفرس على حد سواء، فلا خير في جمال لا يكمله ويزينه أصل وأخلاق؛ ولأن الأصالة تحدد وترسم علاقة الفرس بالفارس، وعلاقة المرأة بالرجل؛ لذلك يضربون الأمثال بالفرس الأصيلة ويشبهون بها المرأة المخلصة، حسنة الأخلاق: "فلانة أصيلة زي الفرس الأصيلة" ⁵

¹ - كحيلة: الفرس المكحلة /أبو ملعون: وهو مرض يصيب الخيل والبقر فيفسد جمالها.

² - حجازي، أحمد: موسوعة الأمثال الشعبية مع باقة من الشعر والأغاني التراثية، ط1، دار أسامة - عمان، 2002، ص20.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص151.

⁴ - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص20.

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

والمرأة الأصلية كالفرس إذا حاولت الزلل والخطأ، فإن أصلها يردّها عن الإقدام بالخطأ فتحتفظ ببيتها وزوجها وكذلك الفرس تحفظ فارسها فيقال: "الأصلية يردّها أصلها"¹ والمرأة الأصلية كالفرس الأصلية التي تأتي الوقوف في غير مكانها وموضعها المخصص لها فلا تتخذ لنفسها مربطاً غير مربطها، وكذلك المرأة الأصلية إذا خرجت من بيتها تعود إليه فيقول المثل: "كحيلة وعادوت ع رباطها"² وهنا يظهر جمال المثل الشعبي في تجسيد هذه الصورة فإن أخطأت المرأة أو الفرس فسرعان ما تعود لأصلها عندها يصف المثل الشعبي المرأة والفرس بأجمل الأوصاف فهي كحيلة .

حتى وإن جار الزمان على المرأة الأصلية فلا تهتم لمنزّر ولا ثوب وإنما لأفعالها وأخلاقها ، وكذلك الفرس الأصلية لا يعيبها جلالها فيقول المثل: "الفرس الأصلية ما يعيبها جلالها"³ .

والفرس الأصلية لا تنتظر إلى ما مضى، فهي مقدامة سبّاقة في الميادين، وكذلك المرأة الأصلية لا تنتظر إلى سفاسف الأمور الماضية، ودائمة التطلع إلى الحاضر "الخيّل الأصلية بتطلع لقدام"⁴ "الخيّل الأصايل بتجود في الأخرأو بتشد في الآخر".⁵

ولا تقتصر العلاقة بين المرأة والفرس على الأصالة والجمال، في مشهد الزفاف كوسيلة للترف و التنقل والبهجة؛ وإنما أيضاً، تجتمعان في إضافة القرابة وتشكيل نسب بين العائلات، فكما أن المرأة بحاجة إلى مهر من العريس كذلك الحال عند بيع الفرس حيث تتشكل بين عائلة البائع والمشتري ما يُعرف بنسب الخيل: وهو مصطلح متعارف عليه عند من يملكون الخيول الأصلية، فإذا باع رجل فرسه لآخر صار بينهما نوع من النسب؛ وذلك لأن للبائع الحق في الحصول على مهر أو أكثر من نتاج الفرس التي باعها، وهكذا تتوطد العلاقة بين البائع والمشتري وقد يتناسبان⁶، وفيه يقول المثل: "كحيلة ولك فيها مئاني"⁷ أي الفرس الأصلية البائع له منها مهر تلك .

¹ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص 38. (بردها: يعيدها)

² - أبو فردة، عايدة محمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 157. (عاودت: عادت)

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 166.

⁴ - حجازي، أحمد: موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 21.

⁵ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، د.ط، الاسكندرية: منشأة المعارف، 2008، ص 313.

⁶ - سرحان، نمر: موسوعة الفلوكلور الفلسطيني، ج 2، ص 292 .

⁷ - المرجع السابق، ص 231.

ومن العلاقات المميزة أيضًا التي تربط بين المرأة والفرس الطاعة والانقياد للفارس وقد قَدِمَ المثل الشعبي طائفة من الأمثال التي تجسد تلك العلاقة فقال: "الفرس من الفارس"¹، ويقال: "المهرة من خيالها"²، وهناك طائفة من الأمثال التي تشترك في الحديث عن دور الفارس في قيادة البيت والفرس ومنها: "الفرس تبَع الفارس"³ أي أن الفرس تتبع فارسها كما المرأة الأصلية التي تتطبع بطباع زوجها، ومنها أيضًا: "الخيَل من خيالها والمرأة من رجالها".⁴

وفي المعنى نفسه: "الفرس بتزور خيالها والمرأ بتزور رجالها"⁵ فالطاعة واجبة من الفرس والمرأة على حد سواء لتستقيم الحياة وقالوا أيضًا "الفرس بخيالها مش بلوانها"⁶ حتى اللون لا دخل له في تحديد استقامة الفرس والمرأة على حد سواء فلا فرق بين أبيض وأسود فالتقييم الوحيد هو الأصالة والطاعة.

ولم تقف علاقة الفرس بالمرأة عند الجمال والأصالة والطاعة للفارس وإنما تتعداها إلى علاقة مفاضلة، وتمايز حين تقف المرأة عاجزة عن إنجاب الذرية فتتوجه إليها أعين المجتمع وكأنها مذنبه ويساند المثل الشعبي المرأة فيقول: "المرأ بتخيب والفرس بتجيب"⁷ ويزداد الأمر سوءًا في هذه الممايزة حين يُطلب من المرأة الشرب من بقية الماء الذي شربت منه الفرس بدعوى أنها ستحمل أولادًا يحملون من صفات تلك الفرس الأصيلة "والمعروف أن الفرس لا يشرب الماء إلا كدرًا حتى لو كان صافيًا كدره"⁸ ومع ذلك تشرب المرأة بقية ذلك الماء كي تتخلص من نظرات المجتمع التي تنتقص منها . ولقد أخذ الحصان فلسطينيًا منحي جديدًا حين أصبح انبعاث الحياة الجديدة الكامنة في أعماق هذا الحيوان فهو كالفينيق في استعادته الحياة من العدم، ودليل ذلك ما نسجته الأنامل النازفة المعذبة،

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 200. وينظر: خيال، فير: معجم دار الكلام في أمثال أهل الشام، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1993، 1، ص 37.

² - حجازي، احمد: موسوعة الامثال الشعبية الفلسطينية، ص 21

³ - زيادنه، صالح: من الامثال البدوية، ص 29 .

⁴ - سرحان، نمر: موسوعة الفولكلور الفلسطيني، ج 1، ص 231.

⁵ - حمدان عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 21.

⁶ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 201.

⁷ - المرجع السابق، ص 139. (بتخيب: تُخطئ / بتجيب: تلد)

⁸ - خادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص 23 وينظر: الناصري، أدبية: حياة الحيوان بين التوحيدي الدميري والجاحظ، مجلة التراث الشعبي، ع 3، 1980، 154.

عندما خاطت صورته في ثوبها الفلسطيني فوجدت وحدة زخرفية على شكل حصانين توضع على صدر الثوب الذي سترتيده النساء في الأفراح، وكأنه بارقة أمل جديد، تكون الناقوس النابض في صدر الأمة على أمل إيجاد جيل ثوري جديد يكون أدواته التحريرية، حين أعلنتها تلك الفنانة صراحة عندما وضعت القانون الصارم لاستخدام تلك الأيقونة الحيوانية فقالت: "أن كل فتاة تطرز على ثوبها زخرفة الحصان يجب أن يكون ابنها أو زوجها أو أخوها أو والدها، ملتحقاً بثورة البراق"¹، هذه القيود والشروط التي وضعتها نساء الثورة لاستخدام هذه الأيقونة ماهي إلا نوع من المقاومة القولية التي تبين مدى فهم المرأة الفلسطينية للمرحلة التي تعيشها ولمتطلباتها، فإن كانت لا تستطيع حمل السلاح إلا إنها قادرة على استخدام مفردات الثورة وتوظيفها في معركتها.

ولتفضيل لون على آخر نجدهم يمتدحون فرساً معينة لعلاقتها بفارسها وطاعتها له، فالفرس الكحيلة أو الزرقا كثيراً ما تعرف بالطاعة، حتى أصبح من أسباب تفضيلها على غيرها طاعتها العمياء لفارسها، وكأن الطاعة التصقت بلون الفرس الكحيلة فيقولون: "الفرس الزرقا (أو الكحيلة) بتعرف خيالها".²

فالفرس هي الأعم بمن يسوسها ويقودها؛ وذلك لأن "الخيل أعلم بفارسانها"³ وإن حاول أحد غير فارسها قيادتها وركوبها فلا طاعة له عليها، وستوقعه وفيه يقول المثل: "اللي مش فرسك توقعك"⁴ فهناك مرويّات شعبية عن وفاء الفرس الأصيلة، وفهمها واستيعابها لأمر فوق قدرة الحيوان على الاستيعاب، ويقال إن للفرس العربية ذاكرة قوية⁵ وكثيراً ما سمعنا عن خيل سقط فارسها فتسمّرت إلى جواره كما أنها تعرف خيالها فتسرع في العدو معه دون غيره.

¹ - المزين، عبد الرحمن: الفكر الأسطوري الكنعاني وأثره في التراث الفلسطيني المعاصر، فضاءات للنشر والتوزيع، ص 122

² - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني، ص 37.

³ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 138.

⁴ - المرجع السابق، ص 160.

⁵ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 265 .

ولأن العلاقة تبادلية بين الفرس والفارس، كذلك الحال بين المرأة وزوجها استوجب هذا من الفارس والزوج عناية خاصة، واهتماماً كبيراً لدوام طاعة الأنثى وفي ذلك يقول المثل: "اللي ما يقدر على الحمرا وعليقها، يجنب عن طريقها"¹

حتى أصلب الخيول وهي (الحمرا) تحتاج إلى اهتمام وعناية كي تجود على الفارس بالطاعة وبما يريد منها في ميادين القتال، فلونها الأحمر يدل على لون الدم الذي سُفك في المعركة وكثيراً ما تتميز هذه الفرس بقوتها ولونها الدامي الذي يحمل بعداً أسطورياً يجعلها رمزاً للحرب، فعشتار التي تتجلى في حصان كان لها وجه قاتم دامٍ يرمز للحرب وكذلك تلك الحمرا.

ولم تكن علاقة الفرس بالفارس مرهونة بهما؛ وإنما عُدَّ إكرام تلك الفرس من إكرام الفارس نفسه، فعندما يفدُ خيَال إلى الديوان يتهاافت أبناء القبيلة لربط فرسه، وأخذ مخلاته² يضعون فيها الطعام، ويعرضون المخلاة على الفارس للتأكد من كمية الطعام ونوعية وفي ذلك يقولون: "إكرام الفرس قبل الضيف"³ ويقولون أيضاً: "حَضَرُوا المِدْوَد قبل ما يجيبوا الفرس"⁴ وهذا التكريم لم يأت جزافاً وإنما لأهمية الفرس في حياة الفلسطيني التي عدها من دعائم البيت وأساساته، بل أكثر من ذلك حين جعل الفرس عائلة من لا عائلة له فيقال: "اللي ماله عليه يقناله كحيله"⁵ ومنه "الخيول مراس البيت"⁶.

ولم تقف بهجة وجود الفرس في حياة الفلسطيني على شخصه وأسرته بل تعداه إلى محيطه فكان الناس يتهافتون على بيت من تلد فرسه مهراً ليباركوا له به، وقد عبّر المثل عن ذلك بقوله: "مالك بتمشي وبيدك جرس، قال انسيب انسيبنا اشترى فرس"⁷ فهذا الإعلان لفرحته اقتناء فرس عند أحد أفراد العائلة.

¹ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني، ص37.

² - مخلاته. ما يوضع الطعام فيه للحيوان.

³ - حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص139.

⁴ - عباس، فؤاد: معجم الامثال الشعبية الفلسطينية، ص109. (المدود: المكان المخصص لوضع طعام الحيوانات)

⁵ - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص21. (يقناله: يقتني)

⁶ - المرجع السابق، ص22. (مراس: ذو الشدة العظيمة)

⁷ - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص21

وتظهر قيمة الفرس وتميزه عن غيره من الحيوانات في تلك المقارنات التي يعقدها المثل الشعبي في الحديث عن الفرس ومحيطه الحيواني، فأصل الفرس ونسبه معلومان لا يحتاجان إلى خجل ولا محاباة فيهن، فهو ذو أصل كريم تسعى كل الحيوانات للوصول إليه؛ لذا نجد الأمثال الشعبية أثنت على ذلك النسب، في المقابل انتقدت انتساب الشخص إلى غير موطنه وأهله الأصليين فقالوا: "سألوا البغل مين أبوك، قال: الحصان خالي" ¹ "كُل واحد يقول خالي حصان ومحدث بقول خالي حمار" ² فرى أنه يعلي من قيمته نسب الحصان ويستتكر على الحمار خجله من نسبه .

كما يُنكر على البغل الهجين تعدد أنسابه، فالبغل للذكر والأنثى بغلة وكنية البغل: أبو الأشجج، أبو الحرون، أبو الصقر، أبو فضاة، وأبو معلون وهو نتاج فرس مع حمار فينتج البغل الهجين وأصبح مثلاً للرجل يفخر بشيء لغيره خير منه، ومنه "البغل بغل ولو ربيته بين الخيول" ³ لأنه سيحافظ على صفاته ولن يكتسب أصالة من الفرس ولذلك فهو للأعمال الشاقة ومنه "بغل شغل" ⁴ ولأن الأصالة لا توهب وإنما تولد مع ذلك الفرس، كذلك الإنسان فهناك الأصل الذي يزن نفسه وكلامه، وتصرفاته التي تتم عن أصالته وأخلاقه وهناك من لا أمل يرجى منه حتى لو حاول البعض تغييره فإن أصله الرذيل سيرده ولن يرتقي إلى الأفضل، فلو حاول أحد تربية حمار بين الخيول ليكتسب منها صفات الأصالة فإن ذلك لا ينفع؛ لأن "الحمار حمار لو بين الخيول ربي" ⁵ وفي هذا المثل بطلان لتلك المحاولات الفاشلة وفي هذا المعنى يقول المثل: "اللي بيحرب المجرب بيكون عقله مخرب" فلا داعي من الاستمرار في محاولة وضع أي حيوان عند الخيول لتربي فلن تصبح أو يتصرف كالفرس، وهذا ما عبر عنه المثل القائل: "بحطك بين الخيل بلباك بين القَراد" ⁶ وهذا المثل يسخر ممن يجد في نفسه القدرة على التغيير ولكنه يرفض ويَصِرّ على وضعه الحالي، حتى لو بين الحشرات.

¹ - زيادنه، صالح: من الأمثال البدوية، ص161 .

² - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني ص195.(محدث: لا أحد)

³ - المرجع السابق، ص161.

⁴ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁵ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني، ص49.

⁶ - حجازي، أحمد: موسوعة الأمثال الشعبية، ص21(بلاك: أجدك/القراد: نوع من الحشرات المتطفلة التي تتعاش على دم المضيف فيُسبب له الأمراض فيُضعفه)

وفي مثل آخر نرى أن تلك الحشرات، ومنها الدبور ضئيل الحجم قادر على مجازاة ضخام الجسوم في الميادين، فلا عبرة بالأجسام والأعمار، ولكن المعيار في الأفعال فقد يكون: "قده قد الدبور، بلاعب الخيل في البور"¹ وهنا نرى أن المثل لم يحتقر الحشرات لصغرها ولم يفضل الخيول لأجسامها وإنما مايز بين الأفعال لا الأجسام.

أما إذا أُنيط عمل لمن لا يستحقه ولم يكن أهلاً له يكن الأمر كمن وضع للكلب سرجاً، لا السرج يناسب الكلب ولا الكلب قادر على حمله، وفيه يقولون: "من قلة الخيل شدّوا عاكلاب سروج"² هذا إذا غاب من هو كفؤ لذلك المنصب.

في عُرف الفلسطيني تسلسل طبقي في الديوان أو المجلس على الكل التزام قواعده وترتيباته، فللكبير مكانة رفيعة في ذلك المجلس إذا تحدث سكت الجميع، أما إذا تحدلق أحد الأرذلين في أحد تلك المجالس، ولم يراع تلك (البروتوكولات) الطبقية جاءته صفة مبطنة على لسان المثل الشعبي تقول له: "أجوا يحذوا الخيل مد الفار رجله"³ عندها سيكون هذا المتطفل كالفأر الذي يتدخل في عظام الأمور التي لا تعنيه.

تلك كانت علاقة الفرس بمن حوله من العالم الحيواني التي افترضها المثل الفلسطيني لمن هم أقل مرتبة منه، حتى من يتساوى معهم فإن الفرس الأصيل يرفض أن يناظره أحد حتى لو كان من أبناء جلدته فيقال: "حصانين على مدود ما برتبطنش"⁴ والمثل يقال لإذكاء روح المنافسة بين النظراء المتساويين في القوة.

ولأن الخيل انعكاس لصورة عشتار ربة الحب والحرب كانت الوسيلة الأساسية في محافل القتال وكانت أداة لشحن الهمم، وتشجيع أبناء القبيلة على رد المعتدين، وقد واكب المثل الشعبي الفرس في نخوة الفرسان وتحفيزهم حين قال: "الخيّل يا أهل الخيل"⁵ وقال: "الخيّل يا دواسة الليل، يا مدورين

¹ - حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 186.

² - المصري، محمد العبد: الامثال الشعبية الفلسطينية، ص 313 .

³ - المرجع السابق، الصفحة نفسها. (يحذوا: أي أن يضع قطعة من الحديد عاى حافر الحيوان لحمايته في المشي)

⁴ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 190. (برتبطنش: لا تُربط)

⁵ - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص 22.

النفايل¹ "الخيّل يا ركابها والعِدّا يا طُلابها"² "ظهورها يا خيالة"³ ولعلهم استخدموا لفظ الخيل هنا دون غيره من مرادفاتها لما تحتويه من خصائص صوتية فهي تحتوي على حرف المدّ الياء المناسب لاستنفار الفرسان، وكذلك لأنه يشمل كلا الجنسين الحصان وأنثاه.

والخيّل مقياس القوة في الميادين، كما أنها وسيلة إعلان التحدي الصارخ بين المتنافسين وبين المعتدين، وفيه يقول المثل الشعبي: "إن كان الخيل قد الخيل تولد وتجبب خيل"⁴ ومنه أيضًا: "خيلنا تطرُد خليلكم"⁵ لإثارة العداوة ولإعلان أن الغلبة والقوة للقبيلة التي تظل خيولها ثابتة مقدامة في حين تتدحر خيول الضعفاء المعتدين.

ولم يكن إقراض الفرس من ضمن خيارات الفلسطيني فهي كالمرأة عرضة وكالبارود شرفه، وموطنه، وفيه يقول: "المرّة والفرس والبارود ما يتشخدوا"⁶ وربما للعلاقة الحميمة التي تربط الفرس بالفارس فكلاهما متعلق بالآخر، فمنها ما يعرف صاحبه ولا يُمكن غيره من الركوب عليه، والفرس الأصيلة تطوف حول فارسها بعناية بالغة إذا ما سقط عنها.

حتى عند مقارنتها بنظائرها من الأسلحة الحربية نجد أنها مقدمة على السلاح (البارود)، وذلك لأن السلاح يستخدم وقت المعركة فقط أما الفرس فهي للمعارك وغيرها تستمر على الدوام، وفيه قال: "البارودة يوم والخياله دوم"⁷ من هنا حقّ للفلسطيني الاهتمام بها من خلال الحفاظ على حذوتها وفيه يقول: "احذيتها وعَيّر"⁸ وكذلك الحال بالنسبة لتقديم الطعام لها والمحافظة على صحتها فمن أراد خيله قوية سيعتني بها وبطعامها لتظل مستعدة للحروب، ولا ينفع تقديم الطعام لها فقط وقت الحاجة لعملها فيقول المثل: "العليق وقت الطراد ما بينفّش"⁹.

¹ - ينظر: جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني، ص25. النفايل: احترام الامور من خلال المواجهة وعدم الرضوخ.

² - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص22.

³ - المرجع السابق، ص22.

⁴ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني، ص127.

⁵ - حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، ص22.

⁶ - زيادنه، صالح: من الأمثال البدوية طائفة من أمثالنا الشعبية، ط1، د.م، 1997، ص199.

⁷ - سرحان، نمر: موسوعة الفولكلور الفلسطيني، ج1، ص232.

⁸ - أبو فردة، عايذة: الامثال الشعبية الفلسطينية، ج1، ص15.

⁹ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني، ص69.

وقد ظهرت القيمة الحربية للخيول عدا كونها وسيلة حربية في كونها أحد الرموز الطوطمية التي تشكلت منها أعلام الدول، فقد شكّل الحصان مع الأسد لأهالي العراق في العصر المملوكي شعارًا لتلك الدولة المندثرة، وكان اختياريهم لهذين الحيوانين دون سواهما إضافة إلى الصفات الخاصة التي يمتازان بها أن الحصان يمثل تاريخيًا الجانب العربي الأصيل، والأسد يمثل الجانب البابلي¹.

ومن هنا نرى أن الحصان كان شعار تلك الدول العربية ودليل أصالتها وعروبيتها، ولذلك فقد أسبغ العربي بعض خصاله وفضائله الأخلاقية على الحصان، ومدح من تخلق بتلك الفضائل، وحفظ اللسان عن الرذائل، والترفع عن الخوض في أعراض الناس، من أهم الفضائل التي امتدح الفلسطيني فقد شبه اللسان بالحصان إن قدته إلى الخير سار، وإن ذهبته به إلى الشر انقاد، فقال المثل: "لسانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك"² ومنه أيضًا: "لسانك فرسك إن صنته حرسك وإن هنته رفسك"³ "اسكت يا لساني بتظلك حصاني"⁴

ولتأثير الكلام في السامع وفي المتكلم على حد سواء فقد قال المثل: "إذا كانت الكلمة بمحلها بتسوى حصان"⁵ فهو يدعو إلى أن يكون لكل إنسان ميزان يزن به كلامه، وهل يتناسب مع الموقف والوقت لطرحه.

وإذا أراد الشخص أن يتحدث، ويخفي ما بجعبته يُقال له: "مش هون مربط الفرس"⁶ أي أن هذا ليس السبب الحقيقي خلف ما تقول، ومن فضائل الفلسطيني أنه يعطي الصدقات ويجود بما تجود عليه نفسه حتى وإن كان المعطي صاحب مال، فإن الفلسطيني يعطي الفقير أولًا ثم يجود حتى على الأغنياء من يستطيعون اقتناء الخيل فقال: "الصدقة بتجوز حتى على ركب الخيل"⁷.

¹ - ينظر: القيسي، زهير: الحيوانات والأشعر، مجلة التراث الشعبي، ع43، 1981، ص64.

² - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص264.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص191.

⁴ - المبيض، سليم: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص216.

⁵ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص211.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص862.

⁷ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص171.

ومن الفضائل التي أسقطها الفلسطيني على من يَشُنُّ في الديوان أي الذي يتفقد الحاضرين قبل البدء بالكلام رفعًا للحرج حتى لا يذكر أحدًا من الحاضرين بالفرس وقد جعلوا قيمة هذه العملية من قيمة الحصان الأصيل فيقول المثل: "الشَّنْه في الديوان بتسوى حصان"¹

وكل هذه الفضائل التي يمتاز بها الفرس والتي جعلته محبوبًا مفضلًا عند الفلسطيني لا بد أن تزل قدمه ساحات السباق أو حتى في الطرقات فيتعثر وهنا قرنوا عثرة الفرس بزلة العالم أو الحكيم والعكس صحيح فيقول المثل: "لكل حصان كبوة ولكل عالم هفوة" فيظهر المثل أن لا أحد معصوم عن الخطأ والزلل.

ثانيًا: الصورة السلبية للفرس.

كان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يتشاءمون من بعض تصرفات الخيل فهم يعتقدون أنها تستطيع رؤية ملك الموت من خلال ضرب إحدى قائمته الأماميتين فيتشاءمون من هذه الحركة التي تعني الموت لأحدهم، ويُعزى هذا المعتقد إلى الظن بأن الحيوانات تستطيع رؤية الملائكة والأشباح، إذا ظهر الشبح "تتوقف الجياد عن سيرها عندما تقابله في الطريق"².

ولم يكن الشؤم من الفرس محصورًا في ارتباطه برؤية ملك الموت وإنما ارتبط الفرس بالموت، وذلك لشقار فيه؛ لذا فالعرب تتطير من الفرس الأشقر فقد رفض سعد القرقرة طلب الملك النعمان ركوب حصان أشقر ليطرد به حمار الوحش، قائلًا: "إني إذن أصرع عن الفرس، ومالي ولهذا؟"³ ولقد واكب المثل الشعبي المعتقد بشؤم الفرس حين عده من بين الأمور التي يتشاءم منها الفلسطيني فيقول: "المرأة والبيت والخيل يا خير يا شر"⁴ ويقولون أيضًا بهذا المعنى: "نواصي وعتاب وحوافر وكعاب"⁵.

¹ - زيادنه، صالح: من الأمثال البدوية طائفة من امثالنا الشعبية، ص132.

² - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص266.

³ - محمد، زكريا : ذات النحيين: الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ، 2011 ص176.

⁴ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص266 .

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.(نواصي: الناصية هي مقدمة الرأس / عتاب: جمع عتبه وهي أول البيت)

وليس هذا المعتقد حديثاً، وإنما تضرب جذوره في الجاهلية الجاهلاء، فكان العرب في جاهليتهم يتشائمون من تلك الأشياء، وبذلك اتخذت الأمثال الشعبية من عادات الفرس انتقاداً لسلوكيات بعض الناس بصورة مبطنّة، فإذا قام أحدهم بالعمل لغيره بصورة متقنه، ولكنه عن عمله يتكاسل، وخاصة المرأة إذا أنجزت أعمال غيرها بلا تعب، ولا كلل وعن أعمال بيتها جلست حاسرة ضعيفة يقول فيها المثل الشعبي معنفاً: "عند السخرة زي المهرة وفي شغيلي بارد حيلي"¹

كما تشترك المرأة والفرس في كثير من الصفات الإيجابية المحبوبة، تشتركان أيضاً في بعض الصور السلبية، فعشتار المرأة التي تتجلى بصورة فرس، تُطل علينا في هذا المثل بصورة مُناقضة للصورة السابقة، فالمثل يدعو إلى عدم الوثوق بهما بعدما كانتا حاميتي الدار والديار قُلبت الصورة هنا فهذا المثل يقول "لا تأمن للمرأة إذا صلت ولا للخيل إذا طلت"² فالمرأة والفرس تظهران بصورتين متناقضتين هنا على منوال الأساطير التي جعلت عشتار أمّاً لهذا العالم لما تحمله من صفات الأمومة فهي ربة الخصب والنماء، وفي وجهها الآخر، نراها تثب الدمار والحرب حيث كانت، وفي كلتا الصورتين يرافقها الفرس، وبذلك أصبحت عشتار ربة الحب والحرب، ويمكننا هنا القول إن المرأة يمكن أن توصف بصفات عشتار الأم فإن أرادت جعلت البيت جنّة، وإن غضبت أصبحت بركاناً مستعراً، وعلى هذه الحال فلا يؤمن جانبها لمزاجيتها التي تجعلها وسيلة حب و حرب .

ولمن يستطيع إنجاز الأمور الصعبة العظيمة ويعجز عن حلّ فسيفساء الأمور يقدم له المثل نقداً لاذعاً حين يقول: "يا مداوي الخيل من عند روسها داوي حصانك من عند زره زاغ"³ فهذا المثل يسخر ممن يداوي خيل غيره ويعجز عن مداواة خيله.

الخجل والخوف من الصفات المكروهة المنتقدة إن وجدت في المرأة وتزداد سوءاً إن كانت من خصال الرجل، ويُشبه من كانت فيه بالحصان الذي لم يعتد احتشاد الناس حوله، فيجفل عند سماع أقل الأصوات فيقول المثل: "بيجفل مثل الخيل"⁴ والفرس دائمة الدوران حول مربطها، لتأكل قدر ما

¹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص250. (السخرة: السهرة وقت الراحة / شغيلة: العمل)

² - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص82.

³ - أبو فردة، عايدة: الامثال الشعبية الفلسطينية، ص208 .

⁴ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص181. (بيجفل: يتحرك بصورة مفاجئة نتيجة خوفه)

يسمح لها طول الرسن الذي تربط به، فيظهر حولها دائرة بفعل هذه العملية، وهذه العادة عند الفرس لم يغفلها المثل الشعبي لانتقاد الشخص الذي يكرر كلامه مرات ومرات فيقول المثل: "زي رعاية الفرس"¹ وعلى منواله يقول المثل: "مثل خيل الدباكه طول نهارها بتمشي وبتظل مطرحها"² ويقول أيضاً: "زي خيل الدواسة بتمشي وهي مطرحها"³

كما انتقد الشخص الذي يحاول أن يتحذلق ويضع نفسه في مكانة ومنزلة لا يرقى إليها، ولم يصل إليها فمن دسّ أنفه فيما لا يعنيه كان كالأعرج الذي يحاول أن يسبق الخيل فيقول المثل: "أعرج وبسابق الخيل"⁴.

وإذا تولى الأمر التافه الوضع انتفض المثل الشعبي صارخاً لتبدل الحال وتغير الزمان فيقول: "صارت الخيل تنقاد من ذيولها"⁵ أما من تجرأ وباع الثمين والنفيس المفيد ليشترى ما لا يفيده، ولا يحتاجه كان كمن: "باع الفرس واشترى الجرس"⁶ وهذا المثل يضرب لمن باع ما يفيده وهو الفرس القيمّ الأصيل واشترى جرساً لا يُسمن ولا يغني من جوع.

ولم يغفل المثل الشخص الذي يظهر ما لا يُبطن، فمن أظهر التقوى والورع وأبطن في أعماقه الغدر عتقه المثل بقوله: "يذكر مع الفقرا وعنيه للفرس"⁷ فالفرس من الأمور القيمة فهو يظهر الفقر ليحصل على أهداف أخرى وفي نفس المعنى يقول المثل: "ركبناه عالفرس مدّ يداه عالخرج"⁸ فمثل هذا الشخص لا يؤتمن جانبه.

ومن هنا تظهر لنا صورة الفرس بشقيها السلبي والإيجابي، في مجملها إيجابية تتم عن وعي المثل الشعبي بالدور المنوط بالفرس سواء قديماً أو حديثاً وما يعنيه من وجاهة وكرامة للأمة، وإن كانت

¹ - زيادته، صالح: من الأمثال البدوية طائفة من أمثالنا الشعبية، ص161.

² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص200 خيل الدباكة: هي الخيل التي تستخدم للرقص في الأعراس فتظل ترقص وتتحرك ولكن في مكانها /مطرحها: مكانها)

³ - المرجع السابق، ص128 (خيل الدواسة: هي الخيل التي تستخدم لدرس القمح والشعير) .

⁴ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص61.

⁵ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص170 .

⁶ - المرجع السابق، ص73.

⁷ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص346.

⁸ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص124.

هناك بعض الهفوات إلا أنها لا تذكر مقارنة مع إيجابياته، وهذا هو الحال فلكل شيء إذا ما تم نقصان.

البغل:

ويأتي في مرتبة أدنى من الحصان البغل الذي ينتج عن تزاوج نوعين مختلفين من الحيوانات الفرس أمه، والحمار أبوه. وهو عاجز عن التنازل بين أفراد مجموعته، يعود هذا حسب ما يعتقد في الأوساط الشعبية إلى دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كان عليه السلام يحب مداعبة صغار الحيوانات وكانت الناقة والحمارة والفُرّة تشعر بالسعادة لذلك، لكن البغلة رفضت هذه المداعبة وحاولت إيذاءه فدعا عليها، وقال: "الله يقطعك من الذرية"¹ ويقال إن سبب منعها من الإنجاب يعود إلى عقوبة نزلت بها "لأنها تطوعت لجلب الوقود للنار التي ألقى النمرود فيها إبراهيم الخليل، وحملت الجنود الذين تعقبوه"²؛ ولكن السبب الحقيقي علمي؛ لأنه هجين من نوعين مختلفين.

لذا نجد التهكم في المثل الشعبي على نسب البغل فيقال: "قالوا للبغل مين أبوك؟ قال: خالي الحصان"³ ويوصف البغل بتحملة، وصبره على الأعمال الشاقة فجسمه قوي صلب فيوصف ب (أبوالعيال)⁴ وهو محبوب لقوته في الحراثة، وحمل الأثقال إلا أنه مغبون في الأمثال الشعبية لدونية نسبه فيقال فيه: "جسم بغل وعقل عصفور"⁵. ويظل مهضوم الحقوق في نظرة الناس له، واحتقارهم فيقال: "بغال الخزين بتحمل ذهب وتوكل نخالة"⁶ وكذلك في الأوساط الشعبية الفلسطينية يقابل البغل (القديش) فلان مثل البرسيم ما برعاه إلا القديش"⁷ و"موت يا قديش تايجيك الحشيش"⁸.

¹ - الباش، حسن: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص268

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها .وينظر سرحان، نمر: موسوعة الفلوكلور الفلسطيني، ص 38.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص174.

⁴ - الباش، حسن: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص268.

⁵ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص105.

⁶ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص198 . (نخالة: بقايا القمح بعد تنخيلها)

⁷ - المرجع السابق ، الصفحة نفسها(برعاه: يأكله من المرعى)

⁸ - المرجع السابق، الصفحة نفسها .

ومن مظاهر الاستخفاف بهذا الحيوان، والتهمك عليه يقول المثل: "الدنيا مع الواقف ولو بغل"¹ ولهذا المثل قصة يتناقلها الناس على لسان الحيوان، لا نعلم من الأسبق المثل أم القصة؟، وأيهما أنتج الآخر؟ وتتلخص القصة في: أن ملك الغابة (الأسد)، ومساعدته النمر اتفقا على أن لا يتعرضا لأي حيوان ورد ذكره في القرآن، فجلسا بالقرب من مورد ماء فإذا بكبش مكتنز، فأمسكا به فطلبا منه أن يبين في ما إذا نزل له ذكر في القرآن، فقال لهما: أنه كبش سيدنا إبراهيم، فتركاه ثم مرّت بهما ناقة، فقالت أنا ناقة سيدنا صالح، فأمسكا بكلب فقال: أنا كلب أهل الكهف، فمرّت بقرة فقالت: هناك سورة كاملة باسمي، فمرّ بهما بغل، فقال لهما أنا لا أعرف ولكن أبي أخبرني أنه مكتوب على حافري مايبين ذلك، فنهض النمر ينظر، وقد أضمر البغل الغدر فعاجله برفسة أطاحت به، فأخذ يتلوى، وطلب مساعدة الأسد الذي أخذته المفاجأة فقال: "أنا مع الصف الواقف لئنه بغل"².

وعلى الرغم من كل هذا التهمك وهذه السخرية على هذا الحيوان؛ إلا أنه غالي الثمن في الأسواق وعند الفلاحين، فسعره مرتفع في شبابه أما إذا أصابه الوهن قل سعره فيقال: "مثل البغال كل ما كبر بقل سعرها"³

وإن كان هذا البغل صابراً محتملاً للسخرية عليه وعلى نسبه، مستسلماً لمصيره إلا أننا نراه في بعض الأحيان يعبر عن رفضه، ويمزق صمته -جوز- قوي يوجهه إلى كل معتد أو إلى صاحبه كدليل على عدم الوفاء ولم يتوان المثل الشعبي في تسجيل مثل هذه الأحداث فيقول: "مثل البغل بتناوله المخلاة بناولك الجوز"⁴. فلم تشفع الخؤولة للبغل فقد أغرقه المثل الشعبي بهالة من المواطن السلبية ولم يمدحه في شيء فقد تناسى صبره وشغله، وانشغل في عد مثالبه. فهو عاش بلا نسل ومات بلا ذكر.

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 120.

² - أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ج1، ص42. (لئنه: لو أنه)

³ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص 198.

⁴ - المرجع السابق، الصفحة نفسها. (المخللة: قطعة من القماش بداخلها طعام توضع في رأس الحيوان. / الجوز: الركلة القوية بقدميه الخلفيتين).

المبحث الثالث: صورة البقرة والثور في الأمثال الشعبية الفلسطينية

ومن بين الحيوانات التي استأنسها الإنسان البقرة حيث عاشت معه في بيئته بل دخلت بيته أيضاً، لأهميتها المادية والدينية فقد أخذ يسبغ عليها من القداسة ما جعله يتخذها صورة للآلهة السماوية.

والبقرة: اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، والجمع بقرات، وبقر، وأبقر، وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة وفيه فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الصدقة لأهل اليمن "في ثلاثين باقورة بقرة" ويسمى ذكر البقر ثوراً، ومن أسماء البقر: "الخبزونة، الخنساء، المهابة....". ومن صفاتها وألوانها: "الأبلق، الأعرض، البكر، العون، العين" ¹.

وارتبط ذكر البقرة في المعتقدات الشعبية بهالة من القداسة، فقد كانت محبوبة معبودة على مرّ الأزمان، فالآلهة (هاتور) تتمثل في شكل بقرة عند المصريين القدماء ² وعندهم أيضاً مثلت البقرة الآلهة (حتحور) الدمثة، حيث قامت أرجل البقرة مقام أعمدة السماء الأربعة التي تمثل الجهات الأصلية الأربع، وأطلق عليها اسم البقرة السماوية إضافة إلى الإله (منف) الذي هو عجل أنوبيس ³ ولم تخلُ المعتقدات الكنعانية من عبادة للبقرة والعجل.

وارتبطت البقرة في أساطير الشعوب القديمة بالقبة السماوية والآلهة التي تعيش فيها، فنظر المصريون القدماء إلى السماء كبقرة ضخمة أنجبت الشمس في شكل عجل، وفي المعتقد الشعبي الإسلامي نجد "أن ملائكة السماء الدنيا هم على صورة البقر" ⁴.

وفي القرآن الكريم ورد ذكر للبقرة حتى تسمت سورة من الطوال باسمها، وتعددت القصص الدينية المرتبطة بها وليس أشهر من قصة سيدنا موسى مع بني إسرائيل حين أمروا بذبح بقرة، وقد أخذتها العرب مثلاً سار إلى يومنا، فتقول العرب: "بقرة بني إسرائيل" ⁵ وقصته عليه السلام مع السامري الذي اتخذ إلهاً عجلاً له خوار.

¹ - شكر، عبد الهادي شاكر: الحيوان في الأدب العربي، ص 179-180.

² - ينظر: الباش، حسن والسهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 277.

³ - رودلف، آنتس: أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1974 ص 16

⁴ - الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص 206 أو ينظر: الباش، حسن والسهيلي، محمد توفيق:

المعتقدات الشعبية في اتراث العربي، ص 277 .

⁵ - العسكري، أبو هلال: جمهرة الأمثال، ج2، ص 201.

وفي رؤيا عزيز مصر كانت البقرة التمثيل الاقتصادي الحيواني، والمدلول المادي للحياة وكان العجل الحنيذ ما جادت به نفس سيدنا إبراهيم لزاثيره من الملائكة فكان هو أيضًا تمثيلًا للأضحية والكرم والجود.

أما في أسفار بني اسرائيل فنجد في التلمود بابًا كاملاً يحمل اسم (بارا) البقرة ويتحدث عن طقوس الطهارة وتقديم وحرق القرابين البقرية، وهناك اعتقادات أسطورية خاصة بخلق البقرة فيقال إنها خلقت في السماء ثم وقعت على الأرض فتكسرت أسنانها، فلما رآها الكلب أغرق في الضحك حتى انفق شدقاء وبلغا أذنيه فظل على هذه الحال إلى اليوم¹.

أما عن خلق أسنانها وقرنيها فيقال إنه: "عندما خلق الله الدنيا، جعل للحصان قرنين، ولم يمنحه أسنانًا، وأما البقرة فلم توهب قرونًا، وإن كانت قد وهبت صفتين من الأسنان عندها تضرعت البقرة إلى الله أن يهبها قرني الحصان شرط أن تعطيه أسنان فكها العلوي، فاستجاب لها الله، هكذا حصلت البقرة على قرنين وأخذ الحصان أسنانًا يتباهى بها"² وبذلك أصبحت قرون البقرة رمزًا للآلهة الأنثوية مثل السيدة البيضاء التي تحمل فوق رأسها قرنين كبيرين وتعدّ بمثابة ربة الخصب والنماء³.

وكانت البقرة مطية بعض الآلهة فقد ألفت الآلهة المقدسة (نون) تعويذة سحرية على نفسها لتتحول بموجبها إلى بقرة سرت إلى عنان السماء⁴.

ويعتقد أن وضع قرون البقرة وجماعها فوق أبواب المنازل يعمل على درء الشر عن أصحابها وهذه المعتقدات ليست مجرد أفكار، وإنما كانت ممارسات منها ما ظل إلى اليوم، فنجد أن الهند هي إحدى أكبر بلدان العالم غنى بالأبقار وذلك لقدسيته فهي معبودة عندهم، وما زالت الأبقار في بلادنا تُشاطر سكان الريف البلاد والمساكن، وهذا تجسيد عملي لتلك العلاقة النفعية المتبادلة غير أنها لا تصل

¹ - ينظر: عبد الحكيم، شوفي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، ص 249.

² - ينظر: الباش، حسن ومحمد توفيق السهيلي: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 277.

³ - العربي، مصطفى بوخال: الحيوان في التفكير الأسطوري، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، ع3،

2014 تشرين الأول، ص 207 .

⁴ - ينظر: عبد الحكيم، شوفي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، ص 319.

إلى العبادة فقد قضى الإسلام على كل مظاهر الجاهلية، فالبقرة عند العرب رمز للعيل فتقول العرب: (جاء يجر بقرة) أي جاء ومعه عيال كثر¹.

وهي عند الفلسطيني (المنوحة) كما يطلق عليها لكثرة ما تمنحه من لبن ولحم وحرث وأعمال كثيرة وبها توصف المرأة الحنونة المعطاءة وكدليل على أصالة البقرة في الحاضر والماضي أن هناك عين ماء في فلسطين تسمى بها، لها قيمة عند المسلمين والمسيحيين واليهود وذلك لإعتقادهم بأن أول بقرة خرجت لسيدنا آدم حرث عليها كانت من هذه العين (عين البقر) بالقرب من عكا، وأطلق الفرنسيون على هذه العين اسم "عين العذراء مريم"².

ولا تخلو الحكايات الفلسطينية من المعتقدات الأسطورية التي لا تمس الدين في المقام الأول، فيعتقد أن البقرة تقوم بدورها السحري وتقوم بتحويلات غريبة فتارة تتحول إلى إلهة ثم إلى جنبة خير وقد تتقلب بين هذه التحويلات في منظومة تناسبها³.

وهناك علاقة وثيقة وخفية بين البقرة السماوية والماء تجلت في اقتران البقرة بزهرة اللوتس المقدسة التي توجد عند الماء، وكأنهما تقتربان في نعمة هبة الحياة⁴ وتبدو الصورة الميثولوجية (للمرأة البقرة) في أبعادها المتعددة، تكريساً لواجبات عشتار الإخصابية وترسيخاً لقيمتي: "الطهر والعفاف الأموميتين"⁵.

أما زوجها الثور فقد عُبد قبل كل شيء في أثناء استخدام الحيوانات في الأعمال الزراعية الشاقة فهو المسؤول عن حرث الأرض، لذلك فهو رمز الخصوبة وتجسيد للطبيعة⁶ وتتعدد الألوهة التي كانت تتمثل بأشكال حيوانية، وكان الثور حيوانها المقدس، ومن أشهر تلك الألوهة (أبيس) المصري (وزيوس) و(ديوونيسوس) الأغريقين، و(إندرا) الهندي وغيرها.

¹ - العسكري، أبو هلال: جمهرة الامثال، ج2، ص312.

² - ينظر: عبد الحكيم، شوفي: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ص 64 .

³ - الاشبهي، رشدي: الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، جمعية الدراسات العربية، ص220.

⁴ - ينظر: راك، ي، ف: أساطير مصر القديمة، محمد العلامي، مراجعة نادر قاسم، ص43.

⁵ - ينظر: طه، غالب طه: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات، ص277.

⁶ - المرجع السابق، ص182.

وكان الثور الأبيض يُقدم أضحية للآلهة يشبه لبياضه الكتاب المقدس في قدسيته وهو بذلك ترسيخ للطهرين الأول طهر الثور المقدس، والآخر طهر اللون النوري ذاته وكان هذا الدم الناتج عن هذين الطهرين كفيل بتطير المربع من خطايا البشرية¹.

ومن هنا فقد اتحدت صورة البقرة وشكلت مع الثور رموزاً إخصابية للثنائية الزوجية تمثلت في (عشتار - تموز) التي أفرزت خصب الكون وولدت الحياة الكريمة للعالم البشري ورفدت الحياة النباتية بالماء والخضرة، كما أمدت العالم الحيواني بالنماء والبركة².

ولقد حظيت البقرة بصورة نمطية نموذجية في الأمثال الشعبية في ازدواجية ملحوظة في كل الأمثال التي تخصّ الحيوانات، فالمثل كان كالسيف ذي الحدين على كل الحيوانات، فتارة يمدح ويمدح ويأخذ العبر، وأخرى يشتم ويزجر ويضرب بلسان سليت، وارتبط ذكر البقر في الأمثال الشعبية الفلسطينية بكثير من الظواهر الاجتماعية والسلوكية الحياتية فنجدته يحث على التفكير والعمل الباكر لما فيه من خير وبركة ثم يلقي بحكمته لمن أراد اقتناء بقرة فلا بدّ له أن يأخذها بكراً حتى تلد وتدرّ عليه الحليب الوافر، فقال حكمته المثلية: "اربط بكير وحلّ كير وخوذ بقر مثل البكاكير"³.

ولأهمية البقرة للفلسطيني اهتم بالأحوال الجوية المؤثرة على هذا الحيوان المعطاء؛ لأن أي تغير في الجو سيؤثر عليها وعلى إنتاجها، فقالوا: "في آذار طلّع بقراتك للدار"⁴ وذلك لتقلب الأحوال الجوية وخوفاً من الزوابع وتغير الجو، الذي يهلك الأبقار.

وفي دعوة جهرية يعلن الفلسطيني حكمته القائلة "ما بحرث الأرض إلا عجولها"⁵ وفيه إعلان عدم الركون والاعتماد على الآخرين للقيام بالأعمال الملقاة على عاتق الشخص فهو أولى وأحرص على عمله وعلى رزقه وقد يوصف الرجل القوي بالعجل الذي يحرث الأرض وينطوي تحته كثير من الأشياء ليس فقط حراثة الأرض، فلا أحد يحصد زرعك إلا أنت ولا أحد يحرر وطنك إلا سواعذك

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 249.

² - ينظر: المرجع السابق، ص 247.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 56. (خوذ: خذ)

⁴ - المرجع السابق، ص 169.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 142.

ولا أحد يحك جلدك إلا ظفرك، وفي البوتقة نفسها يوضع المثل التالي: "بقر الدير بزرع الدير"¹ وكسابقه صاحب الشيء أوفى لعمله وأحرص.

ويقول المثل قولاً فاصلاً للفصل بين من أطلق حكماً موحداً على جماعة معينة فيقول: "هو كل عجل قيقب بدو ربط؟"² أي ليس الجميع سواسية فليس كل العجول بحاجة إلى زجر للعمل فمنها ما يعرف واجبه ومنها ما يحتاج إلى ربط وإلى شدّ الحبل في أنفه وكذلك بنو البشر ليسوا سواسية في العمل؛ فمنهم النشيط ومنهم الكسول الخامل، ولهذا نجد المثل يجلد تلك الطائفة بقوله: "مثل الثور اللي ميكل حندقوق"³ فالثور عندما يأكل هذا النبات يشعر بالدوخة ويميل، وكذلك الكسالى الذين يترنحون في أثناء أعمالهم، المتراخين عن أداء واجباتهم.

وهذه فاتحة الأمثال الزاجرة المعنفة في مجملها لبعض السلوكيات والممارسات الاجتماعية المنفرة، فبالرغم من فائدة البقرة إلا أنهم أخذوها مثلاً للمرأة البدينة، فحتى لو كانت البدينة فيها من الجمال ما في البقر من جمال كالعيون والفائدة إلا أن ضخامة الحجم كانت عاملاً سلباً في المرأة فإذا اجتمعت امرأة بدينة وأخرى نحيفة يقولون "تاموسة هدّت على جاموسة"⁴.

والبخل من العادات المنفرة وهو من مناقص الرجال والنساء فإن وجد في أحدهما يقولون مثلهم المشهور "مات والبقرة بتجعر عليه"⁵ لقلة الطعام عندها، وكذلك الأمر بالنسبة للعين الحاسدة التي هي مصدر ازعاج وأفة اجتماعية لا بد أن يتخلص منها المرء، وإذا أراد أن يردّ عين الحاسد يقول له: "عينك حمرا يا جاموسة"⁶.

التناصح أمر صحي وصحيح في المجتمع، ولكن قد تصاب بعض المجتمعات بشحه وندرته ويفقد المجتمع حسّ الإخاء ومن قصة العجل الواردة في القرآن مع سيدنا موسى عليه السلام استشفّ المثل قوله السائر إلى الآن "إن جيت على ناس يعبدوا العجل حش وأطعموا"⁷ وهذا المثل يريد نشر الروح

¹ - حسونة، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 159.

² - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص 199 (قيقب:

³ - المرجع السابق.. الصفحة نفسها. (ميكل: يأكل / حندقوق: نوع من النبات الذي يسبب الدوخة)

⁴ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 199. (هدّت: وقفت)

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁶ - المرجع السابق.. الصفحة نفسها.

⁷ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 747

الانهزامية الهدامة في المجتمع والتسليم لما هو سائد والانقياد حوله دون تفكير ولا تغيير، ومنه أيضاً يُقال: "عبدنا العجل"¹.

أما حظ الثور من الأمثال الشعبية فكان زهيداً فيما هو إيجابيّ إذ اتخذته مطية لما هو سلبي مُكرّفي معظمها، وما هو إيجابي نراه ينحصر في إظهار معاني القوة الجسدية، والقدرة على العمل، وذلك في قولهم: "رجال مثل الثيران بحرثوا فدان"².

وبعد هذا يبدأ الحديث والسخرية والتهكم وكأنه خلق لهذا فيقال لمن يعمل دون تفكير أو لا يستوعب الظرف الموجود يُقال فيه: "زي ثور الدراسة" فالثور عند دراسة الحبوب في البيدر تُعصب عيناه لكي يظل يعمل أطول مدة ممكنة³ وفي المعنى نفسه يُقال: "ثور الله في برسميه"⁴ أي أنه خلق لهذا فقط خلق للعمل بلا تفكير كما الثور الذي يظل يأكل عندما يرى الطعام.

القوة من سمات الثور البارزة، وهي سبب في خشية كثير من الناس له، ولا أحد يستطيع الاقتراب منه، والتعرض له، أما إذا وقع فإن كثيرا من الجزارين يستعدون لذبحه، وكذلك حال المرء إذا كان عزيزاً قوياً وحدث أن أصيب بنكسه أو فعل زله فإن الشامتين الحاسدين سيحاولون النيل منه، وفيه يقول المثل الشعبي "إذا وقع الثور بيكثرُوا سلاخينه أو سكاكينه"⁵ وقد اختار المثل الشعبي الثور دون سواه لقوته وصلابته قبل السقوط، وكذلك شمل المثل في هذا المعنى البقرة المنوحة فقال: "البقرة لما تقع بتكثر سكاكينها"⁶ فيتناسى الجميع فوائدها ويظل زللها حاضرا لا يغيب وكذلك حال ابن آدم. وإذا استحال الفهم على البعض نجد المثل الشعبي يصدر الأحكام الساخرة على تلك الفئة ولكن وقع ضحيتها الثور فيقول: "بنقول ثور بيقول احلبوه"⁷ وفي هذا المثل الذي يتجنى على الثور وكأنه الذكر الوحيد الذي لا يُحلب ولكن تذهب الاحتمالات إلى أن هذا الذكر المسكين كان متواجداً في

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص154.

² - الباش، حسن، والسهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص278.

³ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص159.

⁴ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص264.

⁵ - الباش، حسن، والسهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص55.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص279.

⁷ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص199 والمصدر السابق، ص88.

تلك الواقعة التي صدر فيها المثل، وشهد غباء أو تغابي أحدهم ولم يجد القائل مجالاً للتفيس عن غضبه إلا بشتن هذا الثور كناية عن الإنسان.

الظلم من الأمور التي لا يتحملها أحد ومن يصبر عليها ويسكت ويستكين لن يسلم من طائلة لسان المثل الشعبي القائل: "اللي بيصبر على الجور هو الثور"¹ وبعبارة أخرى: "ما يصبر على الجور إلا الثور"² ولأن الثور يتحمل الكثير من الأعباء والأحمال ولا يعترض كذلك من يقع عليه الظلم ولا يحاول الاعتراض عليه، وتغييره كأنه ثور وجاءت هنا هذه العبارة شتيمة، وإذا حدث خطأ أو زلل من الكبير يقال: "التلم الأعوج من الثور الكبير"³ حتى لو لم يصنع ذلك الكبير الخطأ بنفسه لكنه شارك فيه بعدم زجر فاعله والسكوت عنه.

وقد يستخدم الثوروسيلة للتهكم على أحدهم، وكأنه يمتاز بالغباء وعدم القدرة على الاستيعاب وكأنها سمة وميزة فيه وكذلك حال الثور فيقال: "مثل الثور الأبرق"⁴ وكذلك يُستخدم هذا المثل للدلالة على الشهرة، وكثرة الانتشار، ولأمر الغريب المستهجن خاصة في المقابلات والمفارقات بين أمرين مختلفين جداً ولاستحاله تطابقهما يُقال: "ايش جاب الثور للطحين"⁵.

ولأن من أفسد شيئاً عليه إصلاحه، وهو مسؤول عنه لذا جُعِلت رعاية الأولاد من مسؤوليات الأب فليس لأحد أن يتحمل أخطاء الأبناء إلا آبائهم، وفيه يقول المثل الشعبي: "جحا أولى بلحم ثوره"⁶. ولأن بعض الأعمال منوطه بأصحابها فلا بد من إعطاء الخبر لخبازه ففي مسألة التدريب لا بد من وجود متمرّس متمكن من العمل ليعلم غيره، وكذلك الحراثة لا تستطيع المرأة تعليم الثور الجديد الحراثة لأن المرأة لا تتقن الحراثة أصلاً، ولأن الثور في بداية حياته العملية في الحراثة بحاجة إلى ترويض وقوة لذلك يُقال: "عُمر النسوان ما ربين ثور يحرت"⁷ وبعد ذلك انتقل استخدام هذا المثل من تعليم

¹ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 67 .

² - المرجع السابق، ص 195.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 168.

⁴ - المرجع السابق، ص 94. وينظر: عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 199. (الأبرق: المميز بلونه)

⁵ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 195.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 119.

⁷ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 198.

الثور الحراثة إلى تربية الأبناء وفي نفس المعنى نجدهم يقولون: "ثوره ابن بقرته، وحراثته ابن مرته، فلاحته كلها ريح"¹.

ومن المعتقدات الشائعة في كثير من الأوساط أن اللون الأحمر يُثير الثور، ويصيبه بحالة من الهيجان لذلك يُقال في الأوساط الفلسطينية مثلهم المشهور "إن كان حبيبك ثور لبس له أحمر"² فإذا كانت الفتاة تحاول لفت الانتباه إليها تعتمد إلى لبس الأحمر، ولكن ما لا يعلمه هؤلاء أن الثدييات ومن بينها الثور مصابة بعمى الألوان فلا تستطيع التمييز بين الألوان، وإذا سأل سائل لماذا يُهاجم الثور حامل قطعة القماش في الحلبات؟ تكمن الإجابة في أن هذا الثور يهاجم قطعة القماش التي تتحرك بطريقة معينة وليس لونها ولكن تعارفوا على أن تكون حمراء.

¹ - المرجع السابق، ص 199 .

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 121

المبحث الرابع: صورة الحمار والأتان في الأمثال الشعبية الفلسطينية

لعل الغباء والبلادة من أهم الصفات الموسومة والمشخصة لكل من يعرف الحمار، وهو رمز للحقارة والوضاعة، ومصَّب الشتائم، ومن أسمائه الجحش للذكر، والكر للصغير، و الحمارة للأتان وهي أنثى الحمار.

أما أنواعه فيطلق على كبير الحجم بالقبرصي، أما نصف البغل فيوصف بالكديش، ومنها أيضًا المشاكس والأخدر ويطلق على الصغير منها بالجحش¹.

وقد مُنح الحمار درجة الغباء والبلادة بكل تقدير في جنة عدن عندما سأله رب العزة عن اسمه ولم يتذكر،² ومن هذا القبيل فقد نال اسمه الشهير عندما أراد سيدنا آدم أن يُسمي الحيوانات فقد ورد في التراث الشعبي الفلسطيني أن الحمار نسي اسمه مرارًا وتكرارًا، وظلَّ يعود إلى سيدنا آدم مطالبًا بتسميته فصاح فيه آدم عليه السلام: حمار وإلهُ ذنين طوال³.

ولقد ارتبط ذكر الحمار بإبليس فيُروى أنه "عندما أراد الدخول إلى سفينة نوح، اختبأ تحت ذيل الحمار على شكل ذبابة، ولكن الحمار كره أن يكون واسطة لنقل ذلك الشرير"⁴ وتروي بعض الروايات أنه هو من أدخله بعدما عجزت رجلاه على حمله فقال له نوح "ادخل وإن كان الشيطان معك"⁵.

ومن تفسيرات سبب نهيق الحمار وصوته الكريه في الأوساط الشعبية الفلسطينية أنه يرى الشيطان فيهمس في أذن الحمار، فيقول: متن النثايا⁶، فينهق الحمار حزناً فيقول الشيطان: "بقيت واحدة" فيقول الحمار: "هاتها"⁷.

¹ - ينظر: حسونة، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص161.

² - وارنغ، فليبييا: معجم المعتقدات والخرافات، ص46.

³ - ينظر ك الباش، حسن، وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص267 .

⁴ - سرحان، نمر: موسوعة الفلوكلور الفلسطيني، مركز الأبحاث، 1974، ص111 .

⁵ - الباش، حسن، وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص266 .

⁶ - متن النثايا: ماتت كل إناث الحمير .

⁷ - المرجع السابق، ص267 .

بالرغم من تلك الصورة البشعة التي وصف بها الحمار إلا أنه دخل الجنة عندما دخلها جحش العُزير بعدما أماته الله ألف عام وهناك سنة عند العرب تُدعى ب (سنة الحمار) وهي السنة التي تأتي في نهاية كل قرن، وكل الظن أن هذه التسمية جاءت من حمار العُزير¹.

وكانت العرب تُطلق اسم الحمار على أبنائها، يقول الجاحظ أن العربي إذا ولد له ذكر فخرج يتعرض الزجر الطير والفأل فإن سمع إنساناً يقول حماراً تأول فيه طول العُمر والوقاحة والقوة والجلد.² وهناك طائفة من المعتقدات الشعبية والسحرية المرتبطة بهذا الحيوان فيقال إن الحمار يقول إذا سقط صاحبه عن ظهره: قطم³ وتعتقد العرب أن الحمار لا يدفأ إلا يوماً من أيام تموز وباقي أيام السنة يظل يشعر بالبرد⁴.

ويقال إن هناك علامة صليب على ظهره ظهرت نتيجة ركوب المسيح عليه السلام، ويعتقد أن الطفل المصاب بالسعال الديكي إن ركب على العلامة سيشفى بعدما يدور تسع مرات⁵ أما إذا اتخذ المصروع خاتماً من حافر الحمار ولبسه لم يصرع، وإذا عُلق جلد جبهة الحمار على الصبيان أبعد عنهم الفزع، أما من لدغه عقرب فإذا ركب حماراً وجعل وجهه إلى ذنبه انتقل الوضع إلى الحمار وبرئ الراكب وإذا تقدم الملسوع إلى أذن حمار وصاح بعبارات خاصة زال وجعه.⁶ ويُعد الحمار راصداً جويّاً بل ووسيلة تنبؤ مثلى فعندما ينهق بشكل متواصل، ويرفع أذنيه إلى أعلى فهذا يعني المطر بغض النظر عن صفاء السماء.⁷

تلك الخرافات والمعتقدات التي ارتبطت بالحمار لا بدّ من أنها ضاربة جذورها في ذلك الزمن الذي كان فيه الحمار رمزاً إلهياً، وإلا لماذا يُربط الشفاء بهذا الحيوان الذي كُتب عليه الشفاء؟ ولماذا كان هو الحيوان الذي اختاره الله ليكون مضرباً للتدليل على حقيقة وجود الله في قصة حمار العُزير؟ هناك

¹ - ينظر: محمد، زكريا: ذات النحيين الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة، ص 177.

² - عبد الحكيم، شوقي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، ص 160.

³ - قطم: قتلقطع إلى نصفين .

⁴ - الباش، حسن، وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 267 .

⁵ - ينظر: وارنغ، فليبييا: معجم المعتقدات والخرافات، ص 46 .

⁶ - ينظر: الخادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات الأسطورية، ص 20 .

⁷ - ينظر: وارنغ، فليبييا: معجم المعتقدات والخرافات، ص 46 .

بعض الإجابات طويت عنا لكنه وسر لا يعلمه إلا الله، فما الحكمة من ذكر البقرة هنا والحمار هناك والكلب في آية أخرى أو ليس لحكمة ربانية.

إلا أن صورته في الأمثال الشعبية الفلسطينية تأتي قاتمة فهو رمز الغباء والبلادة والحقارة والدونية، كما أنه رمز العبودية من خلال العمل الشاق وعدم الشكوى، إضافة إلى أنه لا يؤمن جانبه بالرغم من فوائده الجمة، فهو رفيق الفلاح في أعماله فيحترث الأرض ويستخدم مطية للوصول إلى أماكن بعيدة، ويتحمل ويصبر على التعب، وهو وسيلة لتسلق المناطق الوعرة كما انه يفعل ما تعجز عنه بعض الآلات، ففي مدينة نابلس استخدمه العمال لرفع مواد البناء عندما عجزت الرافعات عن ذلك. الأمثال الشعبية التي انتقدت هذا الحيوان حتى تلك التي تتحدث عن صبره وتحمله كانت تقدمه بأنه (حمار) على سبيل الشتم والسب، ومن هنا يمكن تقسيم تلك الأمثال التي تناولته إلى مجموعات:

أولاً: هو رمز الدونية والحقارة بالرغم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها فهذه طائفة من تلك الأمثال التي تعبر عن هذا الاستصغار، فيقول المثل الشعبي الفلسطيني: "الحمار حمار ولو ربي بين الخيول"¹ حتى لو كان مكان نشأة هذا الحمار بين الخيول الأصيلة فهذا لا يعني شيئاً لأنه يحمل في جيناته صفات الحمير وخصالها، من غباء وحقارة وغيرها، حتى الصغير يأخذ صفات أهله فيقال: "الجحش لمن يكبر بيصير حمار"².

وللتعبير عن فقدان الشيء الثمين واستبداله بالرخيص لم يجد المثل الشعبي بداً من زج الحمار في هذا المثل، ليس للتعبير عن الشيء الثمين، بل لما هو رخيص دوني فيقول: "باع العمارة واشترى الحمارة"³.

حتى في مجال الأكل الذي لا يحتاج إلى كثير من المعرفة والفراسة نجد الحمار هو الحمار لا يعرف التفريق بين أصناف الطعام وأنواعه، وهذا المثل يُضرب لمن لا يفرق بين الجيد والرديء في جميع المجالات فيقول: "شو عرّف الحمير بأكل الزنجيل"⁴.

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص111.

² - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص161.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص88.

⁴ - المرجع السابق، ص141.

وبمقاييس الجمال هو مثال لكل ما هو بشع وقبيح فيقال: "وجهه زي وجه الحمار"¹ حتى صوته الذي يُزعج كل من يسمعه فيستعيز منه ومما يرى، فيقال إنه يرى الشيطان كما ورد سابقاً فيقول المثل: "زي صوت الحمار"²

ومن حقارة هذا الحيوان أنه يسبب الأذى والحقاقة لأقرب الناس حوله فيقال: "الكر أول ما يجرب سمه يامه"³ أما من يريد التعلم والتجريب ليس له خيار أفضل من حمار سائب للنّور لتكون له حقل تجارب فهذه الأشياء -حمير النّور- لا وزن لها اجتماعيًا، وكأنها خلقت لتكون مشاعًا، فيقول المثل الشعبي: "زي اللي بتعلم البيطرة في حمير النّور"⁴.

وإذا حدثت مشكلة وتعددت الأمور بسبب خطأ حمار بشري هو وحده المسؤول عن حل تلك المشكلة فيقال: "الي بيطلع الحمار على الميذنه بينزله"⁵ فمن المستحيل أن يصعد الحمار على المئذنة، كما من المستحيل أن يصبح الملح نباتًا يُزهر أيضًا، فيقولون: "حتى ينور الملح، ويطلع الجحش ع الميذنه"⁶ ومن يرى نفسه فوق الناس وفوق وظيفته ويرفض القيام بما يطلب منه بحجة أن العمل لا يناسبه ولا يناسب مقامة يتصدى له المثل الشعبي معنًا دأماً: "أنت أمير وأنا أمير مين يرعى الحمير"⁷.

ولمن لا يرى أبعد من أنفه لقصر نظره، وعدم قدرته على تقدير الأمور كما يجب، ولا يحسب تصرفاته يُشبه بالحمار الذي لا يرى أبعد من قدميه فيقال: "الحمار بيطلع بين رجليه"⁸ حتى خيال ذلك الحمار سيكون مطعونًا في فروسيته، فالفرس من الفارس فإذا كانت الحمارة كبيرة في العمر لا تقدر على العمل، كذلك سائقها أو راكبها فلا عزّ في ركب الحمير.

¹ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 161.

² - المرجع السابق، ص 161.

³ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 196.

⁴ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 194 ويوجد في صيغة أخرى (بيتعلم البيطرة في حمير النور

(عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 97.

⁵ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 75.

⁶ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 202.

⁷ - المرجع السابق، ص 191.

⁸ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وإذا وصلت الأمور منتهاها يقال: "ماتت الحمارة وانقطعت الزيارة"¹ أما إن أراد أحد حثّ غيره على المنافسة الشريفة فيقال له: "اللي ما بغار بكون حمار"² وكالعادة لم يجد شتيمة تليق بغباء وبلادة من لا يحمل روح المنافسة إلا ذلك الحمار المسكين.

ولأن الحمار من الحيوانات اللصيقة بالإنسان كانت الأمثال التي تقدم نصيحة معينة تقال عنه لا عن غيره فيقال: "لا تقص ذنب حمارك قدام اثنين واحد يقول طويلة والثاني قصيرة"³

ثانياً: هو رمز للغباء والبلادة والتعجل وقد التصقت هذه الصفات به حتى أصبح القاصي والداني ينعت من يتّصف بصفاته بقوله: (يا حمار) أو يسميه بالمثل القائل: "هذا حمار ما بفهم"⁴ ولكثرة استخدامه على الألسن أصبح هذا المثل يُعامل معاملة الكلام الدارج، ولشدة غباء الحمار أنه لا يتذكر مسار طريقه حتى لو مشى فيه مرات ومرات فيقال: "التكرار بيعلم الحمار"⁵ وقد يوقع نفسه في المشاكل بسبب جهله وبلاهته فيقال: "ما بقع في المزبلة إلا الحمار الأعمى"⁶ ولشدة غبائه قد يسيء إلى غبي آخر فيقول المثل الشعبي ساخراً من تلك الطائفة: "زي الحمار اللي وقع العسكري"⁷، فالكلام يكون موجهاً بإشارات لشخص معين ليفهم ما يُقال ويدفع عن نفسه وغيره الحرج إلا أنه لا يفهم فيقال عنه: "الكلام إلك يا جارة، بس انت حمارة"⁸ أي لا تفهمين

أما من يتصرف بما يمليه عليه غيره بلا فهم ولا تدقيق للصحيح والمخطيء، وينساق للتنفيذ بلا نقاش يكون كالحمار الذي قال فيه المثل الشعبي: "قالوا للحمار ليش ذنيك طوال؟ قال: من كثر ما بسمع الكلام"⁹ وفي نفس المعنى يقال: "في راس الحمار صوت غير يغنيه"¹⁰.

¹ - المرجع السابق ، ص 185.

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، 425.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 188.

⁴ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 267.

⁵ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 180.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 196.

⁷ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 196.

⁸ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 267.

⁹ - المرجع السابق، ص 425

¹⁰ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 169.

ويقال إن الحمار أراد أن يهرب من الشقاء الملقق ببني جنسه، بأن يحصل على قرنيّ وعل، ليكونا له سلاحًا يُعينه على أعدائه إلا أن الحارس انتزع أذنيه¹ وفي الأوساط الفلسطينية يقول المثل الشعبي: "راح الحمار تا يجيب قرنين رجع مقطوش الذنين"² ولا ندري أيهما أسبق المثل أم القصة وأيهما الذي أنتج الآخر.

ولاستحالة الشيء يقال: "عمر العدو ما بصير حبيب إلا لما يصير الحمار طبيب"³ فمن غير الممكن أن يصبح العدو بين ليلة وضحاها أعز الأصدقاء أو الأحباب، وكذلك الحمار مهما تعلم فإنه سيظل غبيا، ولن يصبح أي شيء آخر.

وعندما يُراد زجر من يتعجل في أموره وتصرفاته وأقواله يوصف بأنه حمار، وهذا ليس غريبًا لأمرين: الأول أن تكون كلمة الحمار هنا للشتيم، والآخر أن هذه الصفة من صفات هذا الحيوان فيقال: "زي حمار جحا دائما سابق النقط"⁴.

والحمار معروف بشغفه المولع بالطعام كبقية الحيوانات، إلا أن هناك من يصدّ هذا الحمار عن طعامه بسلس حديثه، وهذه الصورة هي التي عبّر عنها المثل الشعبي للشخص الداهية الذي يكسب الناس بكلامه المعسول فيقول: "بيلهي الحمار عن عليقو"⁵.

وللصداقة تأثيرها المعروف فهي علاقة تبادلية تأثّرًا وتأثيرًا، يأخذ الرفيق من رفيقه عاداته وسلوكياته، وهذه القاعدة متبعة في عالم الحمير، فيقال في أمثالنا الشعبية: "اربط الحمار جنب رفيقه بيتعلم شهيقه ونهيقه"⁶ ولصحة هذه القاعدة نظريًا وعمليًا وجدت كثيرًا من الأقاويل في مختلف الأماكن تحمل المعنى نفسه بعبارات مختلفة، ففي المثل العربي يُقال إن الطبع من الطبع ينسل وفي الإيطالية يقال: "قل لي من صديقك أقل لك من أنت"⁷.

¹ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 149.

² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 122.

³ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص 195.

⁴ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 172.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 424. (بيلهي: يلفت انتباهه /عليقوا:

طعامه الذي يعلق في رأسه ليأكل)

⁶ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 20.

⁷ - ينظر: المصدر السابق، ص 20.

والغريب أن نجد لهذا المخلوق الغبي البليد تأثيراً سحرياً، فقد ساد في الأوساط الفلسطينية أن لعظم الحمار خاصة الساق منها ذلك التأثير السحري، لذا استخدم ليحول دون وفاة الأطفال عند ولادتهم¹ ودليل ما أورده المثل الشعبي القائل: "الغزالة الشاطرة بتغزل بإجرحمار"².

ويتساوى الغبي والمستغبي وكذلك الحمار ومن يقلده فمن ارتضى الذل لن يستطيع العيش بعز وهذا ما قصده المثل بقوله: "اللي بعمل حاله حمار الكل يركب عليه"³ فكل شخص مسؤول عن تصرفاته وعن وجهة نظر الآخرين فيه.

ثالثاً: بالرغم من صبر الحمار وتحمله وعدم شكواه، إلا أنه ظل مثلاً دونياً فمن يتحمل الظلم والجور أو من يصبر بلا نقاش هو الذي يُمدح بصبره كالحمار فيقال: "اربط الحمار محل ما بدو صاحبه"⁴ فهذا الشخص في سلبيته حق أن يُشبه بالحمار، وكل من يفعل ذلك فهو كالحمار ولم يسلم الدؤوب في عمله من سطوة المثل الشعبي فأخذ يتهم عليه قائلاً: (حمار شغل)⁵ أي أن العمل أصبح جزءاً من حياته بالرغم من شقائه، ولمن تكبر على غيره ورأى نفسه فوق الجميع كان له المثل الشعبي بالمرصاد ليعيده إلى حظيرة المجموعة الواحدة بقوله: "دخلنا داركم وشفنا فشارككم وعرفنا عشاكم من عشا حماركم"⁶ فبقايا الطعام توضع لهذا الحمار فلا داعي للتكبر بعدما ظهرت الحقيقة . حتى وقت الراحة كان الحمار يمارس ما يجيد، وهو العمل الشاق فمن كثر جلوسه أو من تذر من وضعه كان يُقال له: "آكل شارب على الحمار راكب"⁷ وكذلك يُقال: "جحش تركبه ولا غزال يعنفص فيك"⁸ ومنها أيضاً: "جحش الوداعة لا تطيح عنه ولا ساعة"⁹.

¹ - المبيض، سليم: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص200.

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص424(إجر: رجل)

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص67.

⁴ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص195.

⁵ - الباش، حسن، الهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص267 .

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص424

⁷ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص49.

⁸ - المرجع السابق، ص105.(يعنفص: لا يمتثل للأوامر)

⁹ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص202.

رابعًا: ويضاف إلى طائفة الشتائم والأمور الدونية الملازمة له وعدم الوثوق به فلا يمكن الاعتماد عليه في شيء، فهو نزق قد يغدر في أي وقت، فيقال للتدليل على ذلك: "الزقاق ضيق والحمار رفاص"¹ "الحمار رفاص والعتب على الناس"² "تأخذش رأي المرة ولا تتبع الحمار من وره"³ "كُرّ وفارق أمه"⁴

ويقال إن الحمار عندما يقع عنه صاحبه يقول قطم أي فلتنقطع إلى نصفين⁵ من حقه وفيه يقول المثل الشعبي: "حسبتك يا حماري بتبكي على بكاي قال: لا والله ببكي على كراي"⁶ أي على شقائي "ترميش ورا حمارتك كُرّ"⁷ لأن الحمارة تظل تتابع صغيرها، وتصبح عدائية شرسة لا أمان لها. خامسًا: وسيلة للحصول على مآرب أخرى ومنها للتطبيب فيقال: "اللي يبشرب حليب الحمارة بيندق"⁸ أي لا يصاب بداء الحصبة⁹ وقد يكون اقتناء هذا المخلوق رمزًا للغنى فيقال: "بعد الجوع والقله صارله حمار وبغلة"¹⁰.

وليس من العجيب أن ترتبط قلة الذوق والوقاحة بهذا المسكين فكل من يريد أن يحصل على منافع خارجية كان يزج به للحصول عليها فيقول: "ركبناه على الحمار مدّ إيدو على الخرج"¹¹ "اضحكنا له دخل هو وحماره"¹² "اللي بيلمه السعدان بياكله الجحش"¹³ "لولا ركبت جحشي ما دريت شو بخرجي"¹⁴.

¹ - المرجع السابق، ص 161. (رفاص: كثير الرفص، أي الضرب بإحدى قوائمه أو الإثنتان معا)

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 100.

⁴ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 195. (كُرّ: صغير الحمارة)

⁵ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 267.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 424. (كراي: شقائي)

⁷ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص 195.

⁸ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 76.

⁹ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 267.

¹⁰ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 93.

¹¹ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص 195.

¹² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 59.

¹³ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

¹⁴ - عودة، أحمد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، ص 195.

حتى ضِعاف الحمير التي لا نرجو نفعاً منها تغنينا عن سؤال اللئام ،وفيه يقول المثل الشعبي: "حمارتك العرجا تغنيك عن سؤال اللئيم " ¹

وفي نهاية المطاف وبعد كل الأعمال والأشغال التي تقوم بها هذه الدابة إلا أن مصيرها سيؤول إلى الكلاب، وتغني المثل الشعبي بمصير الحمار قائلاً: "مثل الحمار عيشته عذاب وآخرته للكلاب"² وأيضاً: "موت الحمير فرج للكلاب"³. حتى موتها اعتبر من جالبات الحظ الحسن في بريطانيا وأوروبا فمن رأى حماراً ميتاً فرح، وذلك لأن الحمار يعرف متى سيموت فيخفي نفسه عن الأعين كي لا يراه أحد ⁴.

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص111.

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص425

³ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص267

⁴ - وارنغ، فليليبيا: معجم المعتقدات والخرافات، ص46.

المبحث الخامس: صورة القط، القطعة في الأمثال الشعبية الفلسطينية

ارتبط ذكر القطعة في العصور القديمة ب (باست، باستت) وهي إله الخير والحب والفرح والموسيقى، جسدت قوى الخصوبة المستمدة من (رع)¹ وتتمثل بصورة امرأة برأس قطّة وترفع بيدها اليمنى قيثارة الصلاصل أو الدرع ايجيس، وكانت القطعة حيوانها المقدس، وكانت رفيقتها، وانتشرت عبادتها في جميع أنحاء مصر بشكل عام، إلا أنها تركزت في دلتا النيل، حيث عبدت باعتبارها (إيزيس)². وقد عُبد القط باعتبارها الشمس، والقطعة تُمثل القمر لذا فهي حيوان محبوب يتعاطف معه الناس ويداعبونه، وكان يُنظر إلى بعض الأفراد أنهم يولدون على هيئة مزدوجة فتظهر أرواحهم على شكل إنساني في النهار، وإذا ما خيم الليل فيتمصون شكل القطعة، ويظل هؤلاء على هذه الحال المزدوجة، حتى فترة المراهقة بعدها يثبتون في مظهرهم الإنساني³، ولقد أصبحت القطعة محاطة بهالة من القداسة، فقد عُبدت ورسمت وتجسدها البشر لقد أصبحت طوطماً تحميه الآلهة وتقده البشر. كما أن التحلي ببعض متعلقات القطعة كالسّ مثلاً أو التزين به كان سُنّة شعبية قديمة خاصة ما كان منها ذو شكل هلالى نسبة إلى (الهلال) الإلهة القمرية الأم، والتزين به يذهب النحس ويجلب الحظ لئله⁴.

وهي في الموروثات الشعبية الفلسطينية، تصبغ بصبغة من الاحترام والحب، والتدليل، ويألفها الكبار ويداعبها الصغار، ولعل هذا مرده لأنّ (البس) حمى النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحية، فلقد كان نائماً في الفلاة، فاقتربت منه حية تريد لدغه، لكنّ قطعاً أسرع وصّدها وقتلها، وعندما اسقط النبي وعرف ما حدث بارك القط ودعا له بالخير، ويقال إن النبي عليه السلام قصّ (درن) ثوبه كي يترك قطّة نامت عليه، دون أن يزعجها⁵.

¹ - ينظر: راك، إي، ف: أساطير مصر القديمة، محمد العلامى، مراجعة نادر قاسم، ص225 .

² - ينظر: شابيرو، ماكس: معجم الاساطير، ص60.

³ - ينظر: عبد الحكيم، شوفي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، ص 283.

⁴ - ينظر: الخادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص25.

⁵ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 293 .

هذه أخلاق نبي ومشاعر إنسانية ليست للحض على التقديس، كما أنّ القط حيوان غير نجس، وهذا ما شجع الناس على إدخاله البيوت والتواجد حولهم حتى إن شرب من وعاء لا يتوجب غسله بالتراب كما الكلب ويُكتفى بغسله فقط.

ومثل كل الحيوانات ذات اللون الأسود يُعتقد أنها من الجن ولا يجوز إيذاؤها خاصة ما كانت خالية من أي شعرة مخالفة، وكأن الأجسام السوداء هي مأوى الجان والعفاريت وكان العرب "قديمًا يعتقدون أن الجن تتشكل بصورة القط الأسود، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره" ¹ ولردح من الزمن ظل الاعتقاد بأن الساحرات لديهن قدرة على تحويل أنفسهن إلى قطط، وفي كثير من المناطق البدائية كانت القطّة السوداء تستخدم في طقوس خاصة لاسترضاء الآلهة.

بالرغم من العلاقة الجيدة التي تجمع الإنسان مع هذا الحيوان إلا أن علاقتها بالأطفال سيئة وفق الاعتقاد الشعبي فيقال إنها تصرخ بهم قائلة: "الله يقطع أولاد أهلي دبة دبة، قطعوا ظهري" ² حتى لو رأيناها تداعبهم وتلاعبهم إلا أنها أيضًا تخرمهم؛ لذا فقد ساد الاعتقاد بأنها لا تحبهم، ومن هنا كان للمثل الشعبي الفلسطيني كلمته في هذه الكائنات فنراه يوثق هذه العلاقة الرابطة بين الإنسان والقط بقوله: "إلي بيلاعب القط بيصبر على خرابيشه" ³ فإن وادعته ولاعبته إلا أنه سيغدر بك وبأطفالك في نهاية المطاف عليك أن تتحمل أذاه .

ويؤخذ على القط أنه يعتدي على ممتلكات البيت، فهو يشذ مخالفه في الوسائد والأبواب كما أنه يأخذ طعام صاحب البيت عنوة، فمن يأمن القط الجشع على طعامه يكون حاله كمن "أمنوا القط على العجينة" ⁴ ومنها أيضًا: "أمنوا القط ع الجبنة" ⁵ وعندها لن ينفع مع هذا المخادع الصغير الكلام. ويأتي المثل ليرسخ حكمة التعامل مع السارق ممثلًا بالقط السارق بقوله: "بدل ما تقول للقطّة بس، اكسر رجلها" ⁶ عندها لن يعتدي على طعامك، وستشعر بالجوع وتهرع لأكل وليمتها المفضلة الفأر

¹ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 294

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية: ص 69.

⁴ - المرجع السابق، ص 77.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 924.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 90.

وبذلك يتخلص الإنسان من ذلك القارض المزعج الضار، و من كسل القطة بقوله: "جوع قطك بياكل فارك"¹.

أما إن شبع القط من طعام صاحب الدار فذلك يوم هناء وسعادة للفأر، فلن يهدده القط حتى لو كثرعن أنيابه فيصبح وجوده وعدمه سواء، فيقال: "إن غاب القط العب يا فار"² وأما إن انقلبت نواميس الطبيعة باتفاق الأعداء، فأندر صاحب البيت خراب داره فيقال: "اتفق القط والفار على خراب الديار"³.

وككل الأمم فقد نطقت الأمثال الشعبية الفلسطينية بما تحويه العقلية البدائية اللاواعية فأصدرت أحكامها وقالت أمثالها، ففي المعتقد الفلسطيني هذا الحيوان من نسل الجان فقال: (البس ملاك)⁴ وهذا ما اعتقده كثير من الشعوب فكان مصدر خوفهم ودليلهم الآخر على هذا الاعتقاد أن القط له سبع أرواح ومنهم من قال تسعاً، فهو لا يموت من ضربة واحدة حتى إن كانت مهلكة وإن شارف على الموت فإنه يعود إلى الحياة بفضل مخزونة الإضافي من الأرواح حتى يصل به الأمر إلى سبع. أما من ادعى أنها تسع فحجته في ذلك أن الساحرات اللاتي هنّ بالأصل قطط أو يتمثلنّ بالقطط يستطعن تحويل أنفسهن إلى قطط تسع مرات⁵ فهنّ "زي البس بسبع أرواح"⁶.

في العُرف الفلسطيني نجد أن القط يمتلك قدرات عجيبة نظراً لتكوينه الاعتقادي لا الجسماني فيقال: "زيّ البس كيف ما رميته بيحي واقف"⁷ فهو في معتقدهم من المخلوقات الجنية التي تمتلك قوى ومهارات غريبة، أما تفسيرها العلمي فنظراً لتكوينه الجسدي الذي خلقه الله عليه يستطيع تفادي وعمل حركات عجيبة.

ومن المعتقدات الأخرى التي ارتبطت بالقطط (الخطية) أو الثأر فهذا الحيوان لا ينسى ضاربه بل قد يُصاب ضاربه بالأذى نظراً لما يحمله ذلك المخلوق من أرواح وقوى. يقول المثل الشعبي: "خطية

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص106.

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص924.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص52.

⁴ - حسونه، خليل إبراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص153.

⁵ - وينظر: شيخان، سمير: الخرافات هل تؤمن بها؟، ص151.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص129.

⁷ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص267.

القط ما بتنط¹ أي لا تُخطيء مؤذيتها، وكأن لهذا القط المقدرة على تخطي كل الصعاب، وتجاوزها بل والتغلب عليها للوصول إلى الذي آذاها وإيذؤه بكل طريقة سانحة وكأن هذا القط تجاوز الملموس المحسوس وغاص إلى أعماق تكوينه الجني واستمد منه ما يعنيه على تخطي الصعاب والوصول إلى هدفه.

ولعل سبب دفن القطط في ضريح مقدس خاص بها عند البدائيين ما هو إلا نوع من التقديس من جانب وخشية الخطية من جانب آخر² أما في مصر فإن ماتت قطة أعلن الحداد في ذلك البيت وقام ساكنوه بحلق حواجبهم حزناً عليها³.

وقد يكون الربط غريباً حين نربط بين خطية القط-تلك القوة الهائلة في قلبه-وبين نقلها بمراسم معينة إلى الإنسان، فمطالبة المجتمع العريس بقطع رأس القط أمام زوجته ليلة عرسه، ما هو إلا نقل لتلك القوى الكامنة في القط إلى الإنسان لتضفي عليه هالة من القوة والجبروت ومن يتمتع ستحظى المرأة بشرف قيادة البيت عندها يُعاتب المثل ذلك الممتنع قائلاً: "ليش ما ذبحت بسك في ليلة عرسك"⁴ وكان هذا للمخلوق المسكين محكوم عليه بالموت لتسير أمور البيت كما يريد الرجل.

وللتدليل على القوة الكامنة في ذلك القط يُقال: "احشر البس بصير سبع"⁵ فعندما يُحاصر ويشعر القط بالخوف والتهديد يصبح كأحد أشد الضواري وتعود جذوره الممتدة إلى ذلك الزمن الذي كانت فيه السنوريات هي المسيطرة على البراري لتخرج ويصبح القط أسداً، وهذا من غرائب الحيوان والزمن كفيل بهذا التحول، وهذا يوضحه المثل القائل: "زمن غريب يخلي القطعة تشخر ع الديب"⁶.

ولا تخلو المجالس من التافهين والحاسدين وحفاظاً على هيبة المجلس وحاضريه يُعمى عن هؤلاء بأمثال تصورههم ولا تفضحهم فتثير خلافاتهم، فمن يثير أموراً تافهة في غير وقتها وأوانها قيل له:

¹ - المرجع السابق، ص 924.

² - ينظر: راك، أي، ف: أساطير مصر القديمة، محمد العلامي، مراجعة نادر قاسم، ص 181 .

³ - الباش، حسن، الهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 295 .

⁴ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 193.

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 925.

"الناس بالناس والقطة بالنفاس"¹ ويُقال للحسود الذي وصلت به الدناءة لحسد أتفه الأمور إلى القول له: "حاسد القط على كبر ديله"²

وأخيرًا نرى أن هذا المخلوق المحبوب له كثير من المفضلين، وعليه شبهات اعتقادية حول أصله وقدراته إلا أنه سيظل أثيرًا لدى أصحابه، أما القططالتي لم تحظ بصاحب فكانت مثلاً للدونية والقدارة فيقال: "زي البس الأجرب" أو "زي البس إلي ملوش صاحب"³.

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص213.
² - المبيض، سليم: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص208.
³ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص153.

المبحث السادس: صورة الكلب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

الكلب مفتاح العالم السفلي وحلقة الوصل بين الدنيا والآخرة، وهو محط تقديس وتبجيل عند كثير من الأمم البدائية، وليس غريباً أن تقدسه تلك الشعوب وهو "يحرس ربه، ويحمي حرمه شاهداً أو غائباً، وهو أيقظ الحيوانات عيناً فيوقت حاجته إلى النوم، وهو في نومه أسمع من فرس، وأحذر من عقق"¹ ولقد استخدمه الإنسان ليساعده في حماية القطعان من اللصوص والحيوانات المفترسة التي كان في يوم من الأيام جزءاً منها بعدما استأنسه الإنسان وروضة، كما أنه يملك حاسة شم قوية، وهو من أشد الحيوانات حباً لصاحبه ووفاءً، وللكلب فم كبير، فقد انفتق شداقه من شدة الضحك وبلغا أذنيه، عندما رأى تكسر أسنان البقرة بعدما خلقت في السماء ووقعت على الأرض، وظلّ الكلب من يومها على هذه الحال².

وإذا شوه كلب أسود اللون، فسيمر بلا نهر أو زجر بل ستقرأ آيات قرآنية اتقاء لشره، لاعتقاد الناس أنه من الجن، وليس الأسود منها فقط، بل زادت العرب في ذلك لتشمل "الكلاب كلها جان أو بعض منها له خصائص معينة مثل: الكلاب المعيبة، والكلاب شديدة السوء"³ الجراءة من الصفات المحبوبة في كل كلب، ولزيادة جراته كانوا يقطعون جزءاً من أذنيه، وبطعمونه إياها وهو صغير ليشب متوحشاً لا يخاف حيواناً ولا إنساناً⁴ ومجرد ذكره يتبادر للإنسان صفاته "فالعربي إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل فإن سمع إنساناً يقول كلباً تأول فيه الحراسة، واليقظة، وبعد الصوت والكسب، والدفاع عن الحمى"⁵.

أما في الوسط الشعبي الفلسطيني فقد أسقطوا عليه من صفات الحقايرة والدونية الشيء الكثير ولعل مرد ذلك إلى العقيدة الإسلامية التي يدين بها الشعب الفلسطيني، فقد جاء في الأثر عن نجاسة الكلب؛ لذا اقتصر دوره على الحراسة، والحماية، وجاء في الأمثال الشعبية عن نجاسته: "الكلب وين

¹ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 291 .

² - ينظر: عبد الحكيم، شوفي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، ص 249.

³ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 291 (الكلاب شديدة السوء).

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص 293.

⁵ - ينظر: عبد الحكيم، شوفي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، ص 160.

بقعد بنجس " من كل الكلاب فش كلب طاهر " ¹ حتى ذريته من بعده ستحمل صفاته ونجاسته وقد تتفوق عليه، فيقال: "كلب خلف جرو، طلع أنجس من أباه" ² حتى وإن ولغ كلب في إناء وجب غسله سبع مرات آخرها بالتراب وهذه العملية تسمى التسبيع، وإن هزّ ذيله من مسافة أربعين خطوة فإنّ النجاسة ستصل ثياب الناس ³.

ومن أهم ما يمتاز به هذا الحيوان صوته، فإذا ما ذكر تبادر إلى السامع بشاعة صوته، وما يحمله من دلالات، فيعتقد أن سبب نباح الكلب هو رؤيته ملاك الموت، خاصة إذا أصدر نباحًا شاذًا عبّروا عنها في أمثالهم الشعبية بقولهم: "قاعد يعوي بالقلوب" ⁴ فيتشاءمون منه لتفسيرهم صوته أنه موت أحد من الحي فالكلب يعوي لرؤيته شبحًا يمر أمامه فهو يرى ما حُجب على الإنسان رؤيته، وكثيرًا ما يخرج أحد أبناء الحيّ زاجرًا لهذا الكلب خاصة إذا كان (جواحه) ليلاً.

وتختلف نظرة الجاهلي لهذا النباح فهو مستملح عندهم، مرتبط بالحمى حيث "كان القوي منهم إذا انتجع أرضًا خصبة، أوفى بكلب على مرتفع منها، واستعواه ثم أوقف له من يسمع منتهى عوائه، فحيث انتهى صوته، حمى المكان لنفسه" ⁵ وعلى رأس هؤلاء كليب وائل، ولفعله ذاك ظنّ الناس أن اسمه كليبًا، ولكن في الحقيقة أن كان له جرو عندما حمت له مرمى الكلا فليل عنه: أعز من كليب وائل ⁶.

وكانت العرب تتقاعل بنباح الكلاب دلالة على مجيء الضيوف، أما في الأوساط الفلسطينية فإن صوته مزعج مكروه يجلب له الضرب على حدّ تعبير المثل الشعبي الذي يقول: "ذنب الكلب بيحبيب له الزرق وتمه بيحبيب له الضرب" ⁷ فصوته مدعاة لشنمه وتجسيدًا لاحتقاره وعدم الإلتفات إليه، حتى

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 188.

² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 69.

³ - ينظر، سرحان، نمر: موسوعة الفلوكلور الفلسطيني، ص 50 .

⁴ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص 291.

⁵ - المرجع السابق، ص 293. وينظر: الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا العربية، ص 138 .

⁶ - ينظر: المرجع السابق، ص 293. وينظر: الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا العربية، ص 138 .

⁷ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 121.

كثير الكلام أو من هو دون المستوى ويتحدث عن أعلى منه مرتبة فيقال له: "تبيح الكلاب ما بيأثر في السحاب"¹ "شدهم الشحات من نبج الكلاب"²

وتظل النظرة الدونية لهذا الحيوان هي الحكم الفاصل بين ضربه أو إطعامه فيقال: "كلب يعوي معك ولا كلب يعوي عليك"³.

فبالرغم من إيجابية هذا المثل إلا أنّ رائحة الدونية تتساقط من بين حروفه ويظل الكلب في حياديته وعزلته لا يتدخل فيما لا يعنيه فلا ينبج إلا فيما يخصه فيقال: "الكلب ما بينبج إلا على باب بيته"⁴. ومع مشاركة الكلاب البشر في أماكن معيشتهم إلا أنها تظل في الغالب مشردة، تتواجد في الأماكن المهجورة الخالية من البشر؛ لذلك اهتم الفلسطينيون ببيته وبأسيجتها كي لا تكون مكاناً للكلاب فقالوا: "الدار بلا باب مأوى للكلاب"⁵ وبالتالي فإن "أردى الأبواب برد الكلاب"⁶ وللجبان الذي لا يعتمد على نفسه، ويظل عالة على الآخرين فيقال فيه: "الكلب بتحالي بباب داره"⁷ ولعبقريّة المثل الشعبي وجماله أنه أخذ يضع بعض التوصيات الضرورية لبناء العلاقات الاجتماعية؛ فلذا يجب التواصل بين الناس وعدم العزلة والإفسيكون مصيرهم كمن تزوره الكلاب؛ لأنها تأوى إلى البيوت التي لا حياة ولا حركة فيها؛ لذا يقول المثل الشعبي: "يا اللي ما عنده حباب بتزوره الكلاب"⁸.

ولقد أفاض المثل الشعبي في وصف غدر الكلب، بالرغم من أنه مضربٌ للوفاء إلا أنه في المثل الشعبي كان مضرباً لكل غادر خائن، فهو على استعداد تام للتنازل عن بعض العادات والارتباطات الاجتماعية لتحقيق ما يريد وفيه يقال: "بوس الكلب من ثمة تاتقضي حاجتك منه"⁹ وفي نفس المعنى:

¹ - المرجع السابق، ص 214.

² - المرجع السابق، ص 141.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 100.

⁴ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 181.

⁵ - المرجع السابق، ص 118.

⁶ - المرجع السابق، ص 56.

⁷ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص 78.

⁸ - المرجع السابق، ص 383.

⁹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 188.

"اللي يحتاج الكلب يبوسه من تمه"¹ حتى من يحتاج ذلك الكلب يقول: "اللي يحتاج الكلب بقوله: مرحبا يا حاج أحمد"².

فمن يؤمن لذلك الكلب فإنه خاسر فلا أمان لكلب فيقال: "شو نابك يا راعي الكلاب غير البهدلة وتمزيع الثياب"³ وفي نهاية المطاف سيكون مصير مُربي الكلاب النكران فيقال: "ربيت كلب تا عقرني، تحرم عليّ تربايته"⁴ وهذه هي طبيعته هو وفصيلته حتى لو حاولت تجميله سيظل على حاله لن يتغير أبداً لأن "الكلب كلب لو تطوق بالذهب"⁵ ولأن الغدر فيه صفة ملازمة له متأصلة فيه، لن يخرج فيها عن سجايه وذريته من بعده ستسير على منواله "كلب وخلف جرو"⁶.

وكل الكلاب في ذلك سواء لا فرق بين أبيض وأسود، فصفاتها واحدة فيقال: "كلب أبيض وكلب أسود وكلها كلاب أولاد كلاب"⁷ ويُقال ايضاً: "مثل أولاد الكلبة الأبيض نجس والأسود نجس"⁸ فهي في الصفات سواء وإن فرّق البعض بين الأبيض والأسود كما مرّ سابقاً معتقداً أن يكون الأسود من الجان.

وكعادتها الأمثال الشعبية تعطيك عشرات الأمثال لغدر الكلب وفجأة نجدها تتحدث عن الثقة به وإخلاصه حيث يقول: "الكلب بعضش زان أخوه"⁹ ولعل تخريج هذه الأمثال هو إبراز منتهى الدونية، فالكلب وضع في المجتمع الفلسطيني، ولكن من أراد أن يغدر سيكون بمكان دون الكلب. ومع ذلك فإن الكلب سيظل بصفاته وخصاله أبداً ف "ذنبه الكلب عمرها ما بتصح"¹⁰ وكذلك فقد "حطوا ذنب الكلب بالقالب أربعين سنه طلع أعوج"¹¹ ولأنه لن يخرج عن طوره، ولن يغير سجايه،

¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 68.

² - المرجع السابق، ص 66.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 999 (نابك: حصلت)

⁴ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص 204. (عقرني: غدر بي)

⁵ - المرجع السابق، ص 79.

⁶ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 189.

⁷ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 185.

⁸ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 100.

⁹ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص 78.

¹⁰ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 189.

¹¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 110.

حتى لو بذل له سبل الراحة والرفاهية إلا أنه سيظل يحمل طبعه الغادر الذي سيظهر ولو بعد حين، فيقال: "سمّن كلبك بيوكلك"¹ فمن أفرط في إكرام من لا يستحق سيصبح كالكلب الأكل الخمول إن منع من الطعام أكل مطعمه؛ لذا فالأفضل لصاحب الكلب أن يتخذ تكتيكًا احتياطيًا ليظل تابعًا لصاحبه، بقول المثل: "جوع كلبك يتبعك"² ونجد المثل الشعبي نفسه يقول: "شبع كلبك يحرس دارك"³ وكأنه أراد إصدار حكمة راسخة مفادها الوسطية والإعتدال في كل شيء.

لقد اكتفى الفلسطيني بدور الكلب في الحراسة، وهذا الدور ينتهي بانتهاء الفائدة منه فيقال: "خربت المكثاة، واللي عنده كلب حواه"⁴ أي طرده بعد انتفاء الحاجة إليه بخراب الكرم الذي كان يحرسه الكلب"⁵

ولقد ذكر الكلب في القرآن الكريم ورافق قصص الأولياء والصالحين، ومع ذلك لم يشفع له شعبياً، فقد خصه المثل الشعبي بأصناف السباب وأوصاف سلبية، فهو رمز للدونية، وهو وسيلة لتعليم غيره "اضرب الكلب تا يستعبر الأسد"⁶ ومنها "إجا مكتوب للكلاب مين يقرأ ومين يسمع"⁷ ولأنه كلب وضع فإن مات فلا أسف عليه، فيقال: "مات موة الكلاب"⁸ وإن كان الميت حقيراً لا قيمة له أخلاقياً واجتماعياً لاحقه المثل الشعبي بسهام السخرية والدونية حتى عند موته فيقال: "الجنزة حامية و الميت كلب"⁹ "الميت كلب والمعزية نورية"¹⁰ ومن مظاهر دونيته أنه رمز للاستغلال والانتهازية فيقال: "كلب اجرب وانفتح له مطلب"¹¹ ويقال أيضاً: "كلب حامل معه خرج مال"¹² فأمثاله لا يجب أن يملكو شيئاً، وأمثاله تعافه النفس وتتفر منه لدونيته ف "إن عضني الكلب مالي نفس أعضه وإن

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 189.

² - عبد الحكيم، شوفي: موسوعة الفلوكلور والأساطير العربية، ص 358.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 138.

⁴ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 188.

⁵ - المرجع السابق، ص 188.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 59.

⁷ - المرجع السابق، ص 52.

⁸ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 189.

⁹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 996.

¹⁰ - المرجع السابق، ص 997.

¹¹ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 185.

¹² - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص 305.

سبني النذل مالي نفس أسبه¹ وليس غريباً على من يحمل كل صفات الدونية أن يتكرر لأصله فيقال: "الكلب الاحمر يبحسب حاله من العجول"².

الطعام عماد الحياة، بدونه يستحيل العيش لذا كان طعام الكلب يحمل مواصفاته نفسه من دونية واستغلال؛ لذا عمد المثل الشعبي إلى السخرية من الكلب وطعامه، حتى جعله هو الوليمة فيقال: "لحم كلاب في ملوخية"³ وكذلك قال: "قدّ ما بتسمن الكلب كد ما بتاكل لحمه"⁴

وكان الكلب يقدم قرباناً في بعض الأحيان، ففي سيبيرية كانت تثبت جثث الكلاب بأوتاد في الأرض فتبقى في مهب الريح، وهذه الفدية يحرم على النساء ركبها أو المشي عندها⁵ وكان وقت الطعام الناقوس الذي يقض مضجع الكلب الخمول فسخر منه المثل الشعبي قائلاً: "مثل كلب الحداد ما بيقوم إلا وقت الاكل"⁶ وإن أردت لفت نظره عن شيء عليك التلويح له بالطعام فيقال: "إلهي الكلب بعظمه"⁷.

والجيف من الأصناف المفضلة للكلاب فمصيبة أحدهم بموته تكون مكافأة بالنسبة للكلب فيقال: "موت الحمير فرج للكلاب"⁸ ولأن هذا طعامه لذا فإن "الزلابية السخنة محرمة على الكلاب"⁹ وكذلك فإن "الكلاب ما بتوكل هيلطية"¹⁰.

¹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 997

² - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 182.

³ - المرجع السابق، ص 191.

⁴ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 999.

⁵ - ينظر: الخادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 17.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 201.

⁷ - المرجع السابق، ص 64.

⁸ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 189.

⁹ - المرجع السابق، ص 189.

¹⁰ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بالرغم من كل الصفات الدونية السيئة التي يتصف بها الكلب، إلا أنه يظل أفضل ممن لا يعمل
فيقال: "كلب سايب ولا سبع مربوط" ¹ "كلب الشيخ شيخ" ² و"كلب داير ولا سبع نايم" ³ "راس كلب
ولا ذنب أسد" ⁴.

وفي بعض الأحوال نرى الإنسان يفضل الكلب على بعض أفراد المجتمع وليس على الحيوانات فقط
فقال: "رحب بكلب ولا ترحب ببني آدم" ⁵ ومنها: "عود كلب ولا تعود بني آدم" ⁶ وعبثاً حاول المثل
الشعبي تجميل صورة الكلب فيما مضى، لأنه عاد سيرته الأولى في شتمه والحكم عليه فقال: "إن
كانت الحماة بتحب الكنة بتطيح الكلاب الجنة" ⁷ ولم يسلم لونه من السخرية فقد طاله المثل بقوله:
"بحب لسوادها سواد الكلاب" ⁸.

¹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص100.

² - المرجع السابق، ص999.

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص186.

⁴ - المرجع السابق، ص122.

⁵ - المرجع السابق، ص124.

⁶ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص999.

⁷ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص83.

⁸ - المرجع السابق، ص89.

المبحث السابع: صورة الماعز الخراف في الأمثال الشعبية الفلسطينية

الماعز، والخروف والنعجة والضأن، والتيس والجدي والعنزة والغنمة والشاه والسخلة هي مجموعة واحدة منحدرية من نفس الأسرة، لاتفاقها في المزايا والصفات والأغراض والفوائد مع فوارق بسيطة تكاد لا تذكر في بعضها الآخر .

ويرتبط ذكرها بالطعام الجيد فهي مصدر ممتاز للحم، فالغاية الأولى لتربيتها هي لحومها، وفي الدرجة الثانية يأتي لبنها وصوفها حتى فضلاتها مفضلة لسماذ الأشجار.

ولم ينظر الإنسان الأول لهذا المخلوق على أنه مصدر للطعام فقط بل نظر إليه نظرة مختلفة فهو معبوده، وتتجسد صورة الآله فيه، ففي العصور القديمة تمثلت الآلهة بالماعز أو بمتعلقاته فهذا "امون رب طيبة كان يُمثل غالبًا في هيئة كبش، كما أن قوروش، الذي هو على الأرجح الأسكندر ذو القرنين وقرناه يمثلان اليُمن والخير والنعمة الموفورة"¹.

وهناك بعض الفروق بين الخراف والماعز، فما يميز الماعز الشعر عوضًا عن الصوف وشراسة طباعه والمشي في الأماكن الوعرة إضافة إلى أن الماعز لا إلية له، وكل الظن أن سبب فقدانه الإلية يعود إلى امتناعه عن التستر على مرور السيدة مريم العذراء عندما هربت من بني اسرائيل فسترت مرورها النعاج فنبتت لها صوف كثيف "بعكس الغنم السوداء التي ظلت وارتفع ذنبها يفضح عورتها لأنها فضحت مرور العذراء بسبب الثغاء"².

وكذلك يروى أن سيدنا إبراهيم طلب من الماعز الأسود أن يستر مروره ولكنه رفض، أما النعاج فقد سترت مروره، وعندما نجا عليه السلام دعا الله أن يمنح النعاج إلية عريضة ولا يعطي الغنم الأسود³. وقد ظلت هذه الحادثة دلالة على فضيحة الماعز وكل من يريد أن يفضح الآخر يدعو عليه بفضيحة مثل فضيحة العنزة السوداء كما يُطلق عليها أهل فلسطين، وفي المثل جاء الرد على كل من لا يستر الناس، فيقول: "الله يفضحك فضيحة العنزة السوداء"⁴.

¹ - زيعور، علي: العقلية الصوفية ونفسانية التصرف، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص25.

² - سرحان، نمر: موسوعة الفلوكلور الفلسطيني، ج1، ص116.

³ - المرجع السابق، ص119.

⁴ - الباش، حسن، السهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص283.

وفي التراث الشعبي الفلسطيني نجد المثل يسخر من الشاه، قائلاً: "الطول طول نخله والعقل عقل سحلة"¹ وتظل العنزة محط سخرية المثل الشعبي حين يقترن ذكرها بالتأفة الحقير الذي يرى نفسه من علية الناس "العنزة الجربانة ما بتشرب إلا من راس النبع"².

حتى إن سكناها يكون في الخرائب فيقول المثل: "كل عنزة منجره بتندب على هلخرة"³ أي أن هذا المكان هو المكان المناسب لتلك الفئة الفاسدة، وكانت العنزة محط استخفاف المثل الشعبي وعنها المثل يقوله: "عنزة ولو طارت"⁴.

ويقال للسخرية ممن يتمسك برأيه حتى لو وضح له عكس ما يقول وإذا تجرأ المرء وادعى ما ليس فيه وبخه المثل بقوله: "جدي بدو يلعب براس تيس"⁵ (كما تدين تدان) مثل عربي دارج على الألسنة سار على منوال حكمته قول المثل: "اللي بتعمله العنزة بالبلوط بيعملوه بجلدها"⁶ فالإساءة ترتد على صاحبها وهذا ما يحدث مع العنزة التي تأكل البلوطة وتتلف لحاءها كذلك اللحم يسلم جلد العنزة. ولأن المنظر يخبر عما في الداخل خاصة في العالم الحيواني حيث إن حجم العنزة وصحتها، وحجم ضرعها يخبر عن حليبيها قال المثل الشعبي: "شوف العنزة وخليك من حليبيها"⁷.

والعلاقة بين الراعي والغنم علاقة متميزة وكأنها مجتمع بحد ذاته قائم بنفسه، فإذا غاب الراعي ربّ الغنم عمّت الفوضى، وكذلك حال المجتمع إن غاب المختار أو كبير القرية عمّت الفوضى وفي ذلك يُقال: "مثل الغنم بلا راعي"⁸.

ويقوم المثل بتوجيه المسؤول للطريقة المثلى التي يجب أن يستخدمها مع رعيته فلا بدّ أن يكون حازماً كالراعي مع خرافه "راعي الغنم بدو عصاه"⁹ أما الخارج عن قانون الجماعة فسيكون مصيره طعاماً

¹ - حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 159.

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 808

³ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 159. (منجره: جرباء، وهو مرض يصيب الحيوانات/ بتندب: تتوجه بسرعة)

⁴ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 196.

⁵ - المرجع السابق، ص 197.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 65.

⁷ - المرجع السابق، ص 141.

⁸ - حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 159.

⁹ - جبر، محمد كمال: لمثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص 203.

للذئاب، وكذلك الغنم الشارد الخارج عن قطيعه يقول المثل الشعبي: "زي الغنم الشارده" ¹ وبشكل مفصل عن مصيره: "الذيب ما بيوكل إلا الغنمة الشارده" ².

ولأن المثل الشعبي انعكاس ثقافة الشعب، ولأن الشعب الفلسطيني يدين بالإسلام فقد انعكس هذا الأثر على أمثاله فقال تعالى: { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ³ وبذلك يكون كل شخص مسؤول عن تصرفاته وكذلك الغنم والخراف على حد سواء ف " كل عنزة معلقة من عرقوبها " ⁴ وللحرية وجوه ومن أراد مزيداً من العزلة يقال له: " غنم الدير في زرع الدير " ⁵ وحتى في عالم الغنم هناك مقامات ف "شاة القاضي ما بتناذى" ⁶.

ويقال لمن يسعى إلى كسب ود الطبقات الأكثر رقيًا، ومن الواضح أن المثل الشعبي في تسلسله لا يتحدث عن صفات حيوانية فقط، وإنما هي حكمة زاجرة، ولتعليم للنشء ورفع للحرص، ولأن المثل الشعبي يعلم أن لغة القوة هي الوسيلة الوحيدة للتواصل بين أفراد المجتمع حتّى الشخص ليكون قوياً في مجتمع لا يفهم سوى القوة لغة له فقال: "من صار نعجة أكله الذيب" ⁷.

ويظل لحم الخروف على رأس الأغذية الجيدة ولذلك أولى الفلسطيني الخراف قيمة كبيرة باعتبارها مصدراً مهماً للطعام وجاء المثل الشعبي ليقول: "إن قل الضاني عليك بالقطاني" ⁸.

أما إذا شحّ الرزق على الإنسان ووجدت لديه النية الصادقة لإطعام الناس عندها تكون "بصلة المحب خروف" ⁹ ولا فرق بين صغار الخراف وكبارها، فهي مرغوبة بجميع أشكالها ولأن "ألف خروف

¹ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص159.

² - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص197.

³ - سورة الاسراء، آية 15 .

⁴ -عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص183. (العرقوب: عصب غليظ فوق العقب)

⁵ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص274.

⁶ - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص137.

⁷ - جبر، محمد كمال: المثل الشعبي الفلسطيني من الخابية 2، ص274.

⁸ - عودة، أحمد عبد الحميد : الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص196.

⁹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص451.

سبق أمه على المذبح"¹ ولأهمية الماشية في حياة الفلاح حفظ المثل الشعبي مجموعة من الأمثال التي تعين الفلاح على حفظ هذه النعمة فقال: "اللي بيحضر ولادة عنزته بتجيب سخول"². وفيها دعوة لرعايتها والاهتمام بها والوقوف على شؤونها، وعندها ستجود عليك بكل خير "احضر عنزتك بتجيب لك توم"³ ومن باب حرص الفلاح على أغنامه أنه كان يقوم بقراءة آية الكرسي وبعض الآيات الأخرى على سكين ثم يضعه في غمده، فلا يتمكن اللصوص من رؤيتها ما دام السكين في غمده الذي يعني عدم الرؤية أو صرفها عن الأغنام⁴.

ومن مظاهر اهتمام الفلاح بماشيته أنه خبر الطقس ومواسم تكاثر هذا الحيوان وما يفيد وما يضره ومتى يكون شهر شباط قاسياً على الغنم حيث إنه: "شهر شباط لا يخلي عنزة ولا رباط"⁵ "شباط جر الغنم بالرباط"⁶ وإذا مرّ هذا الشهر دون أن يحدث خسائر في الأغنام ابتهج الفلاح وأخذ يتباهى قائلاً: "راح شباط الخباط ما أخذ مني عنزة ولا رباط"⁷

ومع كل هذا الاهتمام إلا أن القدر يقول كلمته، فمن كتب عليه الموت سيفنى فيقال: "اللي عنده غنم بتموت له سخول"⁸ وإذا حدث شجار أو خصام يُقال: "صوفك وخروفك وعيني ما تشوفك"⁹ وبعد هذا فإن الماشية مصدر رزق الفلسطيني، وسبيله إلى الاستقرار الاقتصادي، وهي محبوبة مرغوبة بدرجات متفاوتة كما مرّ آنفاً.

1 - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص33.

2 - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص160.

3 - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص54.

4 - الباش، حسن، الهيلي، محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص283 .

5 - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص14.

6 - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص809.

7 - المرجع السابق، الصفحة نفسها

8 - عباس، فؤاد وآخرون: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص76

9 - المرجع السابق، ص145.

المبحث الثامن: صورة الغزال في الأمثال الشعبية الفلسطينية

الغزال حيوان لبون من ذوات الأظلاف، وهو حيوان القوة ورمز الحب والرقّة والجمال، وهو أنواع كثيرة، ولكنها لا تختلف عن بعضها بعضاً كثيراً، وكل نوع يُنسب إلى لونه أو المنطقة التي يعيش فيها فيكتسب اسمه منها، فهناك اليعمور، والوعل والأروى والأيل وأنتاه أيلة وسمي كذلك؛ لأنه يؤول إلى الجبال فيعتصم بها¹ أما فلسطينياً فلا تُعرف منها إلا الغزال ومؤنثه غزالة.

وفي الغزلان من الرقة ما يرهف به القلب، وجمال عيون خطفت أنظار من رآها فسحرت، وكأنها ألقت عليه تعويذة جمالية ملكته بها، وأسرت قلبه.

ولقد ربطت الأمثال الشعبية الفلسطينية بين الغزال ونقيضه القرد مثلاً لاثبات صفة الجمال الملازمة للغزال المنفية عن القرد، فالحسن أظهر عند اجتماعه بنقيضه، وهكذا جاءت الأمثال المتضمنة للغزال مقسمة إلى قسمين: الأول إظهار الصفة الجمالية للغزال من خلال مقارنته بحيوان آخر على نقيضه جمالياً، والآخر إظهار السرعة الفائقة للغزال في عدوه وجريه.

الجمال من المواطن الأولى التي لفتت أنظار الأقدمين إليه في الغزال، وجاءت مشابهة الغزال بالشمس والمرأة من هذا القبيل الجمالي إضافة إلى جذورها الأسطورية العبادية وهو بالتحديد ما لفت أنظار المثل الشعبي الفلسطيني حين قال: "فلانه /فلان غزال مصور"² قد يكون المقصود به أعلى درجات المثالية في الجمال أو قد يكون استعمل كعبادة ساقها اللاشعور وكأنه أراد أن الغزال صورة عن عشتار ولكن فلسطينياً لا يذهبون به مذهب القداسة، وإنما لإظهار جمال الموصوف.

وإن تبدل الحال وتغيرت مقاييس الجمال في نظر أحدهم للمجاملة والمحابة صفع المثل الشعبي هؤلاء بقوله: "تبدلت غزلانها بقروود"³ ولأن الأم جُبلت على الحب والرحمة فهي لا ترى مثالب أبنائها وكأن حبها حجب تلك الأمور فلا ترى سوى الحسن والجمال في أبنائها فيقول المثل: "القرد في عين أمه غزال"⁴ فمهما بلغ القرد ستظل تراه الأجمل ومنها أيضاً: "شاف القرد حاله في المراية قال غزال"⁵.

¹ - شكر، شاكر هادي: الحيوان في الأدب العربي، ص129.

² - عراف، شكري، وآخرون: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، مطبعة فحول، 1996، ص987.

³ - المرجع السابق، ص987.

⁴ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص202.

⁵ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص137.

ولمرضاة البعض ممن يقدمون الطاعة العمياء يقول المثل: "قرد موالف ولا غزال مخالف/ مشالف"¹ وهذه الحركة الاسترضائية تدم في الدرجة الأولى الطائع قبل العاصي ولكن يشعر بالرضا وفي نفس المعنى ولكن بصورة كاروكاتيرية تتم عن واقع أصدق يقول: "جحش تركبه ولا غزال يعنفس فيك"² فتختفي الصفة الجمالية التي يتسم بها الغزال لمخالفته ولإظهار الضد أو النقيض في أكمل صورته ترى المثل يقول بصوت متراخٍ ليعبر عن الهوة الفاصلة بينهما حين يقول: "وين كلبك والغزال"³ وفيها أيضاً يُقال: "الغزال بيوكل والكلب مشحنك، مشنك"⁴.

أما الشق الآخر من متلازمة الغزال فهو السرعة إذ يمتاز هذا الحيوان الرشيق بالسرعة والحذر من صائديه وكان وسيلة ناحجة لوصف سرعة أحدهم فقال: "مثل الغزالان الشاردة"⁵ وفيه أيضاً قال: "لو تجري جري الغزال غير نصيبك ما بتنال"⁶ وبذلك لا سبيل إلى إيقاف الغزال إن شرد، لسرعته ورشاقته، وقد احتفظت الأمثال في جعبتها ببعض المعتقدات الشعبية المتعلقة بهذا الحيوان في حال هربه فيقال إن الغزال لوهرب لن يتوقف إلا إذا صرخت عليه امرأة قائلة: "يا غزال ريم... ريم ما وراك إلا الحريم" عندها سيتوقف، ليتحقق من هوية المنادي ثم يواصل هربه أما إن ناداه الصياد قائلاً: "يا غزال حاص حاص ما وراك إلا الرصاص" فإنه لن يتوقف أبداً، وسيهرب يتلمس طريق النجاة⁷. وكل الظن أن الغزال يتفحص صوت المرأة، لأنه "رمز أنثوي، مرتبط بالجنس أولاً وبالوفرة ثانياً"⁸ ولا أحد ينكر جمال الغزال كذلك لا أحد ينكر سرعته وحذره من الصيادين، لذلك فهو صيد عزيز المنال فيقول المثل: "متحري من طقعان صيد غزلان"⁹ ومن هنا استقبلت الأمثال الشعبية الفلسطينية الغزال استقبالاً حاراً إيجابياً، فلا مبرر عندهم لرفضه بل كان امتلاكه هاجساً يُراود الفلاح، وحلماً

¹ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص 292.

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص 832

³ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 202.

⁴ - المرجع السابق، الصفحة نفسها (مشحنك، مشنك: ناظرًا إليه نظرة شذرا).

⁵ - عراف، شكري، وآخرون: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 987.

⁶ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 100.

⁷ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 60

⁸ - زيعور، علي: العقلية الصوفية، ص 277.

⁹ - عودة، أحمد عبد الحميد: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 202 (الطقعان: الكسول، الهامل).

جَمِلاً لذا وصفه بأجمل الأوصاف، وغمز في غيره، ولأن الجمال في طبعه وهذا يغلب كل متطبع، حتى لو جارت عليه الظروف فإن الجمال طبعه فيقال: "الغزال غزال ولو مال" ¹. وبسبب جمال الغزال الجبلي الفلسطيني وقيمته في التوازن البيئي أصبح هذا الحيوان مطمع اليهود حين حاولوا استهداف أماكن تواجده ولم يقف الأمر على ذلك وإنما تعداه إلى ما فعله علماء الأحياء الاسرائيليون عندما غيروا اسمه دون وجه حق في بعض الموسوعات العملية (الويكيبيديا) فأطلقوا عليه اسم "الغزال الجبلي الإسرائيلي" ² فهم يريدون طمس كل ما هو فلسطيني لإضفاء شرعية لوجودهم في فلسطين، واليوم نرى صورة الغزال تُصك على العملات النقدية الإسرائيلية، وكأنه جزءاً من معتقدتهم وأساس بيئاتهم، ولكن لماذا الغزال دون سواه من الحيوانات؟ وماذا قصد اليهود من تصويره؟ وهنا يظهر المثل الشعبي استغرابه من حدوث أمر غير متوقع وتغير حال أصاب هذا الغزال التي باتت أعداده متناقصة وأصبح مهدداً بالانقراض فقال "ويش جينبك يا غزال البر وحداني" ³.

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص195.

² - خلف، نورمان علي: (هنا القدس: فراس الطويل 2014/11/8 مجلة آفاق البيئة والتنمية) .

³ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص196 (ويش: ماذا - ما الذي).

المبحث التاسع: صورة الأرنب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

الأرنب من الحيوانات الأليفة الوديدة التي استأنسها الإنسان وأخذ يربّيها في البيوت، وتمتاز بالجمال والرقّة في لحظات سكونها تهتز وترتعش كمن أصابه البرد، وذلك لإحساسها الشديد المرهف بكل ما يحيط بها، عندها ترى أمامك قلباً من الفراء وأي حركة مفاجئة ترعبه وقد تكون سبب موته والأرنب: اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ومن أسمائه الأخرى: "الخُرَزُ والخَرْنِيق"¹. وفي المعتقدات القديمة حُرّم على الصياد أن يقتات على حيوانات من صفاتها الجبن كالأرنب، وذلك خشية أن تنتقل إليه تلك الصفة وعندها لن يعود قادراً على الصيد بقوة وبسالة.²

أما في العقلية الشعبية الفلسطينية فقد ارتبط ذكر الأرنب إضافة إلى الجمال والرقّة بالخوف والجبن إلا أن الفلسطيني يأكل لحمه ويستفيد من روثه ويصطنع من فرائه ما يشاء بعد تجفيفه، وإذا أراد أحد وصف شخص ضعيف جبان نعتة بالأرنب فقال المثل في ذلك: "أرنبه وحاملة خطباتها"³ للدلالة على سلامها واستسلامها وأنها لا تشكل أي تهديد يذكر، وهذا الحيوان لا يمتلك سوى سلاحين يدافع بهما عن وجوده وحياته: سرعته وحذره فبالسرعة والمراوغة يهرب من الأخطار والحذر يحميه من الأقوياء والمعتدين فقال المثل: "زي الارنب مفتح نايم، قايم قاعد"⁴. ولشدة حذره وصل به الأمر أن يخاف الأشياء الصغيرة التي لا تخيف أساساً، فيقال: "مثل الأرنب بيخاف من خيال ذنيه"⁵ وكأن الخوف أصبح جزءاً من هويته فإذا ذكر أحدهما تبادر إلى الأذهان الآخر بطريقة ساذجة لاواعية . وفي لحظات نومه يدع عينيه مفتوحتين للحذر وفي وقت استيقاظه يظل في حركة دائمة وفي حذر دائم، وكذلك الجبان يظل في توجس وخوف من أن يتربص به أحد من الأعداء . وبالرغم من ضالة الأرنب وصغر حجمه إلا أنه يؤدي من يتعرض له بسوء، فعندما تؤذيه سيتحول إلى قوي جسور فقال المثل: "أرنب وبخيرمش"⁶.

¹ - شكر، هادي شاكر: الحيوان في الأدب العربي، ص109.

² - ينظر: خادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص15.

³ - أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ج1، ص42.

⁴ - حسونه، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص181.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص146

⁶ - زيادنه، صالح: من الأمثال البدوية طائفة من امثالنا الشعبية، ص161.

الفصل الثاني

صورة الحيوانات المفترسة في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث الثاني: صورة الأسد (السبع) في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث الثالث: صورة القرد في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث الرابع: صورة الذئب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث الخامس: صورة ابن آوى (الواوي) والثعلب (الحصيني) في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث السادس: صورة الخنزير في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث السابع: صورة الضبع في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث الثامن: صورة الدب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث التاسع: صورة لبعض الضواري في الأمثال الشعبية الفلسطينية

المبحث العاشر: صور لبعض الزواحف

التمهيد:

فرضت الحيوانات سطوتها وهيبتها على الإنسان الأول، إما لجهله بمقدار قوتها، وإما لعجزه عن ردّها، وعدم معرفة مواطن ضعفها وفي كل الأحوال خضع لها، لما لديها من أسلحة قاتلة خاصة بها تتراوح بين الأسنان الحادة القاطعة، و المخالب المشحودة، و الأنياب القوية الفتاكة، إضافة إلى طائفة من الملكات والحواس التي تساعد في الوصول إلى فريستها، وما تعتمد عليه من أساليب ذكية لصيد فرائسها مثل التمويه أو التسلل بخفة أو السرعة الكبيرة أو الحجم الضخم، ويُعد القتل شغلها الشاغل فإن توقفت عنه ستموت؛ لأنها تعتمد على لحم الضحية لاستمرارها .

تلك الحيوانات اللاحمة لا تفضل العيش بين البشر وقد يكون مقدار خوفنا منها هو نفسه الذي تشعر به، ولأنها من البهائم فلا تعرف طريقة للتخلص من هذا المخلوق الغريب في نظرها إلا بمهاجمته، فلعل من أسباب مهاجمتها للبشر أنها تعدّهم أعداء لها فتشعر بتهديدهم، ولأنهم يدخلون حماها أي المناطق التي تعدّها عالمها، فقد اقتحم الإنسان أماكن سكناها بسبب الكثافة السكانية وهذا لا يُعتبر دفاعًا عنها وعن تصرفاتها، ولكن هذه فطرتها التي فُطرت عليها القتل من أجل البقاء.

وأرض فلسطين لا تحوي الكثير من تلك الحيوانات المفترسة؛ لأنها ظلت على طول الأزمان مسكونة معمورة بالناس فكانت مساحة تلك الحيوانات محدودة، وبذلك كانت أعدادها محدودة بحدود المكان، والنوع ومع ذلك فلم تخلُ هذه الأرض من تلك المفترسات مع محدوديتها فكان حضورها في حياة الفلسطيني مقيدا نظرًا للعلاقة العدائية المتبادلة بينها وبين البشر، لقد عرف الفلسطيني من تلك المفترسات ما يكفيهِ لتكوين قاعدة تعاملية متبادلة، وليضع حدودًا تقية سطوتها فحاول أن يتفادى أي صدام مباشر بينه وبينها، ومع حرصه الدائم على عدم مواجهه إلا أنها زحفت إلى أماكن سكناه فلم يجد بدءًا من قتلها والتصدي لها.

وبالرغم من محدودية الحيوانات المفترسة في حياة الفلسطيني إلا أننا نجده استقاد من أشكال تلك الحيوانات ومن طباعها وصفاتها، ووظفها في أدبه خير توظيف، فكثير من الأمثال الشعبية الدارجة على ألسنة العامة تتحدث بمواربة وتورية عن صفات تلك الحيوانات، وانعكاس حضورها على بعض الناس، ومن البدهي أن يكون حضور هذه الحيوانات سلبياً نظرًا للعلاقة الجامعة بينها فما نتج عن خوف وحذر لن يزهر حبًا ورقّة.

المبحث الأول: صورة الحية والعقرب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

ارتبط ذكر الحية بالحياة، فالحياة نقيض الموت، والحي من النبات ما كان طرياً، ويقال كذلك أحياناً القوم، أي صاروا في الحيا، والحيوان عين في الجنة لا تصيب شيئاً إلا وأحياء، والحية الحنش ويجيء اشتقاقه من الحياة، وجمع حية حيات¹ إذن اشتقت الحية من الحياة لدلالة الاستمرارية والخصوبة والحياة.

ويعيش في فلسطين الكثير من الأفاعي، ذات الأحجام والألوان المختلفة، وهي منتشرة في مناطق فلسطين جميعها، ومنها السام وغير السام ومن أنواعها: الأفعى الغبراء: ويطلق عليها اسم الحمراء أيضاً، وهناك الأفعى الرقطاء: وهي التي يوجد على جلدها رقوط دائرية ذات حجم صغير، والأفعى السوداء الطويلة التي تُعرف بالحنيش وهناك الحية القصيرة السريعة التي يطلق عليها فلسطينياً اسم الزعرة، وأشهرها حية التبن التي تعيش داخل التبن فلا تصدر صوتاً وتقتل بهدوء ولقد ذكرها المثل الشعبي الفلسطيني مراراً وتكراراً، واصفاً بها حال اللئيم الخبيث فوصفه المثل قائلاً: "زَي حَيَّة التبن، بتلسع وبتلبد"² ومنها: "ساهية مثل حَيَّة التبن"³ ومن الأفاعي التي ذكرها المثل أيضاً العريبد فقال: "قرصة عريبد"⁴ وقال: "زي الحية الزعرة"⁵.

وتعد الحية التي ترتعش لها الأبدان عند سماع اسمها مصدراً للخوف والرعب وذلك لأنها تلدغ الإنسان وتميته، في وقت وقف الطب عاجزاً إزاء سمها، والمرويات والحكايات المتعلقة بالحية كثيرة؛ لذلك كانت مصدر زخم لكثير من الأحاديث، فكانت المجالس تزخر بالحديث عنها وعن قصصها التي يطول سرد تفاصيلها، وكأن كل قصة تستدعي بالضرورة قصة أخرى، ثم أصبحت قصص هذا الحيوان الطويلة مضرِباً لكل من يسترسل في حديثه فيقال فيه: "سيرته مثل سيرة الحية"⁶ وبشيء من التفصيل وإبداء الاستياء من طول السيرة يُقال: "مثل سيرة الحية، إن بدت ما بتخلص"⁷.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حيا).

² - عراف، شكري، وآخرون: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، مطبعة فحول، 1996، ص1022.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص130.

⁴ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص58.

⁵ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص434.

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1022.

⁷ - المرجع السابق، ص1025.

لقد ارتبطت الحية بالحياة والتجديد وواضح ذلك في قصة حواء وآدم، فحواء و الحية "كلاهما يُشير إلى الحركة والتغير: الأولى نبع الخصوبة وأم المخلوقات، والثانية سبب حرث الأرض والهبوط من الجنة والانتقال إلى طور جديد " ¹ فهناك ارتباط وثيق إذا بين المرأة والحية وهما في المنظور الشعبي الفلسطيني مرتبطتان معاً بوشائج قوية، ولكن اللافت في الأمر أنّ الحية مقدمة على المرأة فيُعبرون عن عدم حبهم لانجاب (البنات)بقولهم: "تكبر الحية ولا تلد بنية" ² وإن وُلدت فتاة يتمنون موتها صغيرة دون أن تكبر، فيقولون: "تكبر حية ولا تكبر بنية" ³ ولأن رؤية الحية في المنام فآل سيء، جمع المثل الشعبي بين المتشائمات فقال: "صباح الحية ولا صباح البنية" ⁴ فقرن شؤم رؤية الحية بشؤم الناس من الأنثى، وكأنهما يحملان اكسيرا يؤثر سلبا في كل من يراها، بل يزيد شؤمهم من الفتاة على الحية فيقولون: "فال الحية ولا فال البنية" ⁵ ومنها أيضا: "فشقة الحية ولا فشقه البنية" ⁶ ولشدة شؤمهم منهما كان لوقع صوتهما تأثيرا سلبيا فقالوا: "تسمع صوت حية ولا تسمع صوت بنية" ⁷ ولأن الحية لن تتخلى عن صفاتها وطباعها فيقال: (بنت حية) ⁸ لذا كان من المستحيل أن تلد إلا حية وكذلك المرأة سيئة الصفات ستورث بناتها صفاتها فيقال فيها: "الحية ما بتولد غير الحية" ⁹ ولذا فإن: "الحية بتخلفش جردون" ¹⁰ ولأنها لن تترك طباعها فإن سُمها لن يؤذيها ولذلك فإن على أهل تحمّل تصرفات أبنائهم الذين جُبلوا على سلوكيات آبائهم وفيه يقول المثل: "الحية ما بيقتلها سمها" ¹¹ فالسيء لن يتخلى عن طبعه حتى الممات فيقال: "بتموت الحية وسمها في راسها" ¹².

¹ - زيعور، علي: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1977، ص179.

² - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص61.(بنية: بنت، فتاة)

³ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص91.

⁴ - ينظر، عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص1020 عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص208.

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1023.

⁶ - المرجع السابق، الصفحة نفسها. (فشقة: نقل القدمين مرة واحدة وتساوي تقريبا نصف متر يقفز بها الانسان فوق شيء ما)

⁷ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص433

⁸ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص171.

⁹ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص60.

¹⁰ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

¹¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص112.

¹² - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص132.

ولشدة شؤمهم من الحية لم يفرقوا بين أنواعها فكلها مشؤومة لا خير فيها ولاصلاح وهذه الحكمة ترجموها بصورة مثالية فقالوا: "ما في بين الحيات الصالحة"¹ ولقد استخدم هذا المثل لوصف علاقة الحماة والكنه، فقد اجتهدت الفتاة (الكنة) بوصف حماتها وابنتها، بأوصاف تعتقد أنها تليق بهما، فقالت على لسان المثل الشعبي حكمتها الزوجية تنصح بها الفتيات المقبلات على الزواج بقولها: "الحماة حية، وبنت الحماة عقربة مسمة"²

ولأثر الكلام في نفوس الناس وأهميته في فضّ الخلافات والمشكلات كانت الحية وسيلة لذرب اللسان الذي يمتاز بالمكر والدهاء وقد وصف المثل الشعبي أثر الكلام، بقوله: "الكلمة الحلوة بتسحب الحية من وكرها"³ وهذا المعنى هو نفسه الذي قاله الأصمعي:⁴

لم أر مثل الرفق في لينة أخرج للذراء من خدرها

من يستعن بالرفق في أمره يستخرج الحية من جحرها

ولقد امتدّ حديث المثل الشعبي عن هذا الزاحف أن أخذ يُفصل فيه فصور تفاصيل لسانه فقال مجازاً (لسانه بسبع شطرات) وهي مقولة طالما تناقلتها الألسن كما أنه تطرق للحديث عن طول لسانه فوصف به كل متناول لا يراعي شعور غيره يكون وقع كلامه كنهش الأفاعي وبه يُقال: "لسانه بلدغ زي الحية"⁵ وقد يشبه هذا اللسان السليط الذي لا يحفظ سراً بلسان الأفعى الذي يَقْطُرُ سُمًّا، فيقال: "لسانها مثل لسان الحية"⁶ وهنا فيه دلالة على النساء اللاتي لا يحفظن سراً.

ولقد ظلت الحية وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً، وهي في الدّهن الشعبي مصدر رعب خاصة في الليل، لذا نجدهم يكتنون عنها بقولهم طويلة، ونحوها وقد يذكرونها بأسماء مستعارة مثل: الربيع وأبو البحريري، وأبوعثمان، وأبو اليقظان وسماها جلامش بأسد التراب⁷ وهم يخشونها لاعتقادهم بأنها

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص112.

² - الباش، حسن وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص272 (الحماة: أم الزوج).

³ - المرجع السابق، ص97.

⁴ - الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001، 135/12.

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1024.

⁶ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁷ - ينظر: عبد الحكيم، شوقي: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، ص161.

مرتبطة بالجن لذلك كانوا يعلقون أسنانها على الصبية لرد العين عنهم وكما ظنوا بأنها مخلدة ودليلهم أنها تبدل جلدها كل عام.

ولقد جبر الفلسطينيون تلك العداوة المتأصلة منذ آدم في فكره تجاه الحية للتعبير عنها بعلاقاته فالحية ترمز إلى العداوة والأذى والحق، وجعلوها رمزاً للشر وللتعبير عن المنافق فقالوا: "بالوجه خبي، وباللقفا حية"¹.

ولأن الغدر من شيمها وصفاتها، فلا يمكن أن تتحول في يوم من الأيام وتصبح الحية صديقة فيقال: "عمر الحية ما بتصير خيه"² فكما أن العدو لن يصبح صديقاً كذلك الحية، وفي المعنى ذاته يُقال: "الحية ما بتصير خيه"³ والمخادع الذي لا يؤتمن على شيء، فهو دائم الغدر والخداع يوصف بالحية فيقال: "إن كان الحية بتنحط في العب، عُمر العدو ما بيصير مُحِب"⁴ فمن يضع الحية في (عبه) قطعاً ستلدغه، وللشخص المتقلب الانتهازي الذي يتحين الفرص ليغدر بمن أمنه يقال فيه: "مثل الحية ما بتعرفله بطن من ظهر"⁵ ولغدرها فهي على استعداد لإيذاء نفسها فيقال: "الحية إن تضايقت بتعض بطنها"⁶.

ومن كانت هذه صفاته كان جزاؤه عسيراً غير يسير، فهذه الحية التي تلدغ وتميت سيكون نصيبها الموفور العصا، لقولهم: "دوا الحية العصية"⁷ فالعصا هي الوسيلة الأنجح لقتل الحية لقدرتها على المراوغة والقفز والانقضاض السريع، وكذلك كل خائن ستكون نهايته الزوال ولن تموت هذه الحية إلا إذا تلقت ضربة قوية على رأسها أفقدتها الحياة، فيقال: "الحية ما بتموت إلا تا يرتظ راسها"⁸ والإشارة إلى الرأس هنا لم تات عبثاً وإذا لم تكن الضربة موجهة إلى الرأس لن تموت، وهنا إشارة إلى ضرورة

¹ - الباش، حسن وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص272.

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص112 الباش، حسن وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص272.

³ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص60 (العب) هو الحب.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1021 (بتنحط: توضح) وينظر: أبو فردة: الأمثال الشعبية، ص168 (وعلى منواله: عُمر المبغض ما بيصير محب).

⁵ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص342.

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1021.

⁷ - المرجع السابق، ص1022 (العصية: هي العصا).

⁸ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص50 (يرتظ: يتعرض لضربة قوية).

القضاء على رأس كل شر قبل أطرافه فإن صلح الرأس سيصلح سائر الجسد، وكذلك علاج أي فتنة يبدأ باجتناب رأسها فقال المثل الشعبي: "بتقتل الحية وتبخلي رأسها بلوذ"¹ ومن تعرض لأذى نفسي أو جسدي ليس من السهل عليه نسيانه، وسيظل يشعر برهبة وخوف تجاه ذلك الشيء، خاصة إذا كان هجوم حية فلن ينساه وسيظل يخشاها ويخشى متعلقاتها إلا إذا أصر على المواجهة للتخلص من ذلك الخوف فيقال: "اللي لدغته الحية بخاف منها"². وكثير صناعي فإن جرّ الحبل يثير في نفس الملدوغ انفعالات ودلالات تذكره بحركة الحية المترسبة في ذهنه فيثير فيه الرعب والخوف، فيقال: "المقروص بخاف من جرّة الحبل"³ وكرّد فعل متوقع من الملدوغ أن يحترس في المرات القادمة، وإن كان حرصه يأتي متأخراً بعد أن لدغ فيقال: "بعد ما انقرصوا احترسوا"⁴ فأصبح حرصه تحصيل حاصل فقال المثل مستخفاً بمن لا يتعظ: "كل محروس مقروص"⁵ ومن شدة الحرص قد يذهل المرء كما هو دون الشرّ الأكبر فيقع في شرّ دونه فيقول المثل الشعبي ساخراً من تلك الفئة: "حسبنا حساب الحية، أما العقرب ما كان غ البال"⁶.

ولقد آمن الإنسان الفلسطيني أن الحية لا تؤذي من لا يؤذيها أو يتعرض لها بأذى، ويرون أن الحية إن صادفت شخصاً نائماً فإنها لن تمسه بأذى لذا يُقال: "مُطرح الخيش لا تجيش، ومُطرح العقرب لا تقرب، ومُطرح الحية افرش ونام"⁷ فالعربيد والعقرب يبقيان في مكانهما ولكن الحية دائمة الحركة فهذه حية الدار أصبحت جزءاً من تركيبة البيوت الشعبية فهي تعيش في سقوفها أو بين شقوقها، والغريب أن بعض كبار السن اتخذوا الحية خلية وونيسة لهم⁸ فهم يؤمنون بأن هذه الحية لا تلدغ

¹ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص75 (يلوذ: يهرب /ينجو) .

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص72.

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص140.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1020.

⁵ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص60.

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1020.

⁷ - المرجع السابق، ص1025، الخيش: الأفعى ذات اللون الأسود (العربيد)، تجيش: تجلس أو تتواجد.

⁸ - لقد سمعت أنّ الحاجة فاطمة كانت تعيش في بيت شعبي قديم وكانت تشاظرها الدار حية (قرطه /مرقطة) أي قصيرة ومرقطة وكانت الحاجة تمنع أي أحد من قتلها وتضع لها الماء في وعاء خاص.

إلا بأمر الله، لتكون سبباً في الموت لمن انتهى أجله فعبروا عن ذلك بقولهم: "الحية مسيرة مشمخيرة" ¹ وإن كانت تلك الحية مسيرة إلا أنها ترد مباشرة على معتديها فتباغته بلدغه قد تفقده حياته وكذلك حال من يتعرض للأشرار لا بد أن يلحقه منهم أذى فيقول المثل: "اللي بخبط على ذنب الحية بتعضه" ².

حتى وإن كانت الحية تساعد في القضاء على القوارض والحشرات، وإن كانت حية الدار مسالمة لبعض الوقت إلا أنها تظل حية مُميته ترمز إلى العداوة، وهي مبغوضة في الأوساط الشعبية الفلسطينية لذلك قالوا عنها: "أظلم من الحية" ³ ويقال هذا المثل لوصف كل ظالم لا يتوانى عن إيذاء غيره.

صورة العقرب:

العقرب من الحشرات المؤذية، وبالرغم من صغر حجمه إلا أنه يؤدي كل من يصادفه صغيراً أم كبيراً لذلك فهو رمزٌ للغدر والخيانة، ولقد أجمعت الأمثال الشعبية الفلسطينية على أنّ هذه الحشرة الصغيرة أكثر لؤماً من قريبتها الحية فلازمتها تلك الصفة وكل إنسان يتصف باللؤم والخبث تصفه الأمثال الشعبية بأنه كالعقرب فتقول: "عند العقرب لا تقرب وعند الحية افرش ونام" ⁴.

الأقارب هم عزوة الشخص وسنده في هذه الحياة ولكن كثيراً ما تأتي الطعنات والخانات منهم ومن جانبهم فقد ساوى بينهم المثل الشعبي وبين تلك الحشرة التي لا يؤتمن جانبها فقال: (الأقارب عقارب) ⁵ وكذلك قال فيهم: "أهلك لا تقربهم بيقرصك عقربهم" ⁶ أي أنك ستتعرض للأذى منهم.

ولحد العقرب وشدة سُمّه فإنه إذا شعر بالضيق والحصار لن يتوانى عن قرص نفسها وهذه حقيقة علمية اكتشفتها العقلية البشرية وأطلقتها على لسان أمثالها فالعقرب إذا جعلته في وسط دائرة محاطة بالنار يلدغ نفسه ويموت بسُمّه وكل حاقد لا يجد من يصنع له المكائد يصنعها في نفسه فتقول

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1022.

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص63(بخط: يدوس)

³ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1020.

⁴ - الباش، حسن وآخرون: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ص287.

⁵ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص10.

⁶ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص85.

الأمثال: "إذا العقربه تضايقت تقرص نفسها" ¹ ومن مكره ودهائه فإنه يعرف اسمه لذلك فالعرب لا تقول عقرب ² ومن هنا فإن المخزون المعرفي للفلاح الفلسطيني لا يحمل في ذاكرته وفي أمثاله إلا كل ما هو سلبي عن هذا الحيوان.

¹ - المرجع السابق، ص56.

² - مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد الخامس، 1980، ص64.

المبحث الثاني: صورة الأسد في الأمثال الشعبية الفلسطينية

نظراً لإغراق العربية في الاستعارات والكنائيات، فقد أسرفت في التسميات ذات الجذور القديمة فمنها ما تواتر تقاؤلاً ومنها دون ذلك، ومن بين الحيوانات التي كثرت أسماؤها الأسد فله ما يزيد على (360) اسماً وصفة اغترف الإنسان ما يُناسبه ويوافق صفات الموصوف فأطلقها عليه، فهذا الإمام علي - رضي الله عنه - قال في وقعة خيبر "أنا الذي سمتني أمي حيدرة" والحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس¹ وأنثى الأسد تسمى لبؤة، وهما من فصيلة السنوريات.

ويُعرف الأسد في الموروث الشعبي باسم (السبع)، ولأنه ملك الغابة وسيدها، وكبيرها فهو مقياس الشجاعة والقوة فيها وعزته وهيئته لا مثيل لهما، كما أنه لا يترحم بل يفترس الحيوانات الحية ويلتهمها، وإذا شبع ترك البقايا لحيوانات الغابة، ولأن الأسد أشجع الحيوانات فقد جاءت الأمثال الشعبية التي تحدثت عنه تصف شجاعته وإقدامه، وأخذت ما فيه من صفات مميزة لتُسقطها على من يتمتع بالصفات نفسها من بني البشر ومنها قالوا: "أشجع من أسد"² ويوصف الرجل الشجاع بأنه يقهر ملك الغابة فيقال فيه: "بسحب اللقمة من ثم الأسد"³ وكأن الأسد أصبح المعيار الأعلى للشجاعة. وللأسد ملكات ومؤهلات خولته ليكون سيد الغابة فتلك (اللبدة)⁴ التي تحيط برأسه والتي تميزه عن أنثاه وكأنها تاج الملوك أحاط به، وهو من أكثر الرموز الحيوانية انتشاراً في الحضارة الإنسانية كما يمتلك من الأسنان والأنياب ما يؤهله لافتراس الحيوانات الحية، وله مخالب قوية يغرسها في جسد الضحية، ويمتاز بزئيره الظاهر المميز فتخشاه الحيوانات.

تنبعت الأمثال الشعبية إلى تلك الصفات الجسمانية لتصفه بها وتصف قوته وشجاعته فقالت في صوته: "صرخ زي الأسد"⁵ ففي بعض المواقف يكفي الشجاع القوي استخدام صوته بدلاً من عضلاته فلصوته سطوة وهيبة.

¹ - شكر، شاكر هادي: الحيوان في الأدب العربي، ص73.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص936.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص90.

⁴ - اللبدة: هو شعر كثيف يحيط بالعنق.

⁵ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص156.

حتى وإن هَرَمَ الأسد وصار إلى أرذل العمر فإنه سيبقى سيد الغابة فقال المثل الشعبي مادحاً كبير القوم أو من تتحول به الحال "السبع سبع ولو ضعفت مخالفه" ¹ حتى أحقر ما في الأسد تكون أعزَّ من رأس نذل جبان فيقال: "ذيل أسد ولا رأس كلب" ² وكل تلك الصفات جعلت منه، سيد الغابة ومليكه، وتعظم الأمر حين فشل الجميع بالعودة بالغنائم المنشودة ورجع هو ظافراً منتصراً فقال فيه المثل مادحاً شجاعته: "كلهم غابوا وما جابوا إلا السبع غاب وجاب" ³، لذلك لن نجد عَرينه خاويًا وسيظل محور الغابة ووجهتها وكأنه القبله التي يؤمها الجميع في الشدائد، فما كان من المثل إلا مرافقته إلى عرينه ووصفه بعدما وصفه جسدياً فقال: "بيت السبع ما بخلا من العظام" ⁴ وأصبح هذا المثل يُقال في كل كريم معطاء، والأمر اللافت أنَّ الأسد لم ينفق لمجرد الانفاق وإنما حصر عطاءه في الشجعان الأقوياء ومن يستحق ذلك، أما الأنذال فلم يكن لهم نصيب من خيراته فقال المثل: "بثم السبع ولا بثم الضبع" ⁵.

ولأنَّ الأسد أوقات قوته ولحظات ضعفه هو السيد المغوار، حق على الجميع مرافقته والسير على خُطاه ومنهجه فمن سارمه سيتعلم منه الشجاعة والإقدام منه ومن رافق الجبناء لن يصيبه منهم إلا الجبن فقال المثل: "رافق السبع ولو أكلك ولا ترافق النذل ولو حملك" ⁶ وفي المعنى نفسه قال المثل: "تام في ظل السبع ولو إنو بوكلك" ⁷ فمن عاش مع العظماء أصبح منهم ومن عاش من الجبناء فاقهم جبناً فيقال: "عاشر السبع ولا تعاشر الضبع" ⁸ فالشجاعة سلاح هذا الملك والقوة من شيمه لذا وصفته الأمثال بقولها: "كون سبع يأكل الرجال ولا تكون نعجة تأكلك الرجال" ⁹ ولأنه يتصف بكل

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص937.

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص185.

⁴ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص147.

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص937.

⁶ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص110.

⁷ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص365.

⁸ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص936.

⁹ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص196.

تلك الصفات وجُب الحذر منه، ومن سخطه وغضبه ومن التمادي في ملاحقته وهذا ما أراده المثل حين قال: "إن سلمت من الأسد ما تطمئش في صيده"¹.

ولم تكن المرأة محيِّدة في تلك الأمثال التي تتحدث عن ملك الغابة، ففي النهاية هي التي تقف خلفه تتصره وتصنع ملوكاً خلفاً له، إذا كانت أصيلة تتخلق بأخلاق كريمة، فهي كالجندي المجهول ولم يخل عليها المثل الشعبي حين وصف علاقتها بزوجها الأسد تلك العلاقة المبنية على الثقة المتبادلة فقال: "السبع أكل كل الناس وخلي مرته"² وتلك الأم أصيلة التي ساندت زوجها لا بد أن يكون نتاجها مزهراً فيقال للنقيب الشجاع "إمك أصيلة وخلفت سبع الفلا"³.

وتلك الأم كانت نتاج بيت كريم ونسل كريم حتى أخوها ملك أيضاً فيقال "خاله سبع"⁴ وتلك الأم ستنتج أشبالاً مثل آبائهم في صفاتهم فمن جُبِلَ على الشجاعة لن يقبل بالجبن فيقال: "هذا الشبل من داك الأسد"⁵ ويقال: "ابن السبع سبع وابن الضبع ضبع"⁶.

صورة الأسد السلبية في الأمثال الشعبية الفلسطينية:

لملك الغابة واجبات عليه القيام بها والتزامها للمحافظة على مملكته من الأنهيّار، ولكن إذا تغاضى عن أدائها وقصرّ عندما سيكون "كلب داير أحسن من أسد قاعد"⁷ بل عندها سيكون موته أفضل من حياته فيقال: "كلب حي خير من أسد ميت"⁸.

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص80.

² - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص587.

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص87.

⁴ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص156.

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص938.

⁶ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص11.

⁷ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص938.

⁸ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص157.

واستغرابًا لتبدل الظروف وانقلابها وتحول الأدوار يصبح الجبان هو من يمتلك زمام الأمور وهو الأمر النهائي فيقال: "واوي يقود سبع" ¹ ويقال في أغنية شعبية فلسطينية أصبحت فيما بعد مثلاً للقوي العزيز أصبح فيما بعد ذليلاً يقال: "يا سبع جاي من ميثلون، لا قاك واوي جفلك" ². الأقوياء كثيراً ما يتعرضون للاستغلال، وقد يحصل على ثمرة جهوده من لا يستحقها، فقال المثل: "حَرَثُوهَا السَّبُوعَةُ وحصدوها الضبُوعَةُ" ³ ولمدعي الشجاعة التي يُظهرها بعد فوات الأوان يُقال له: "غايب الفيلة سبع" ⁴.

لقد ركزت الأمثال المتعلقة بالأسد على مدح صفات الشجاعة والقوة التي يمتاز بها ملك الغابة، وخلعتها على كل من يتصف بها من بني البشر، ولم يسلم ملك الغابة مع كل قوته من بعض الاستغلال ومن تناول المتباهين الجبناء وإن كانت تلك السلبيات توبخ وتزجر كل من يتصف بها.

¹ - المرجع السابق، ص 177.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 938 (ميثلون: قرية شمال مرج سانور).

³ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 203.

⁴ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص 177.

المبحث الثالث: صورة القرد في الأمثال الشعبية الفلسطينية

يظهر القرد في صورة حيوان مرح، كثير الحركة، دائم التنقل، يقوم بحركات عجيبة مضحكة، تصرفاته وسلوكياته غير مبررة، فهو مزاجي؛ أما في الأوساط الشعبية الفلسطينية فهو مكروه لم تشفع له بهلوانيته وحركاته الاستعراضية، إذ رمز إلى القبح والدمامة وكان الناس يعتقدون أن القرد كان إنساناً ثم مُسَخ فصار قرداً.

ولقد كثر الحديث عن نشأة القرد وعلاقته بالإنسان، فقليل إن القرد ارتقى انساناً وهي نظرية النشوء والترقي، وأخرى تزعم أن الإنسان انحدر إلى قرد وهذه نظرية الهنود¹ وثالثة تقترب من نظرية الهنود حين ادعت أن القرد كان بشراً غضب الله عليه فحوّله إلى قرد دميم الخلقة، وهذه الأخيرة ترجمها المثل الشعبي الفلسطيني بقوله: "قال: والله يا قرد لأمسحك قال: أكثر من القرد ما مسخ الله"² وبقليل من التحول أصبح هذا المثل للدلالة على نهاية أي شيء وسوداوية الموقف وصعوبته، فبعد أن مُسَخ قرداً لا يوجد مسخٌ أسوأ، ولا يوجد حال أقبح من هذا، وفيه يقول المثل: "قال يا قرد يمسحك الله، قال: بعد هالمسخة ولا مسخات"³.

ومن السمات البارزة التي استخدمها المثل الشعبي للسخرية والاستهزاء من القرد هي دمامته وقبحه فقال فيه المثل الشعبي: "القرد في عين أمو غزال"⁴ "وجهه زي وجه القرد"⁵ فالأم لا ترى في طفلها إلا الجمال والحسن، وهوفي الحقيقة قرد دميم الخلقة حتى من أراد تجميل القبيح فإنه لن يستطيع ذلك وسيظل وجهه مثل القرد في السوء، وتُضرب هذه الأمثال لمن أراد تزيين الشيء وتجميله، ومن طمع بالشيء لخصلة غير الجمال وهي المال فإنه يتكوى على قاعدة هشة، فالمال غير ثابت متأرجح تأرجح الأوقات لذلك قال المثل الشعبي في ذلك الطمّاع: "يا ميخذ القرد ع ماله بيروح المال ويبقى

¹ - المالكي، فرزدق جبار: المعتقدات الخرافية في القبائل البدائية، مجلة التراث الشعبي، ع 5، 1976 دار الحرية للطباعة - بغداد، ص 186.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 946.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 172.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 946.

⁵ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص 155.

القرد ع حاله " ¹ وقد حذر المثل الشعبي من كثرة التفكير في الأشياء السيئة فقال: "اللي بخاف من القرد بطلع له " ² وهذا المثل يقال لمن يتوقع السوء قبل الخير .

وكالعادة فلا أحد يصف نفسه بالقبح حتى وإن كان قبيحاً إلا أنه يرى نفسه فوق الناس وأفضل منهم فيقال: "شاف القرد حاله في المراية قال غزال" ³ والجمع بين النقيضين في هذا المثل لإثبات صفة السخرية والاستهزاء بالموصوف فأين القرد منه في ميزان الجمال؟ ولم تغفل الأمثال الشعبية قيمة جمال المرأة فوضعت لها قاعدة جمالية لتلتزمها كي لا تُشبهه بالقرد فيقال: "خليكي في بيتك قردة واطلعي عند الناس ورده" ⁴ والقرد سيظل على حاله لن يتغير أبداً حتى وإن تجمل فيقال: "سعدان وبرقبته سنسله" ⁵.

الشرافة صفة دائمة وملازمة للقرد، ولقد تنبّهت الأمثال الشعبية إلى هذه الصفة وأخذت تصف كل بشري يتصف بمثل هذه الصفة ولكن بطريقة المواربة حتى لا تُحدث المشاكل وهناك كثير من الأمثال الشعبية التي غمرت في طريقة الأكل فقالت: "فلان بوكل قد قردة والده" ⁶ وهذا المثل فيه من التشبيهات الفكاهية ما يكفي حتى يكفّ الشره عن الأكل فلم ينسب الشرافة للقرد بل للقردة بعد الولادة لأنها لا تشبع وتظل تأكل ليلاً ونهاراً، وللتعبير عن مجاوزة الحد يقول المثل: "أنا بوفر والقرد بعفر" ⁷ ومن يتصف بالشرافة ستلازمه صفة سيئة أخرى وهي عدم النزاهة والطمع، فيقول المثل الشعبي: "زي القرد اللي قسّم الجبنة" ⁸ وهذا المثل مستمد من قصة وسرعان ما يقع الشره في شرّ أعماله فقد يُصاب بتخمة وقد يصاب بعسر هضم كالقرد إن أكل الحصرم فيقول المثل: "زي القرد اللي ميكل

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 201.

² - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص 179.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 137.

⁴ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص 186.

⁵ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 118.

⁶ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 201.

⁷ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 83.

⁸ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 201.

حصرم" ¹ والمعروف عن هذا الحيوان النّهم أنه إذا أطعمه أحد ظل وراءه حتى يأكل كل ما معه فقال المثل فيه: "زي القرد بيدبق في الناس" ².

وللقرد قدرة على القيام بالحركات الاستعراضية، التي تلفت النظر إليه وتجذب الأطفال خاصة إلا أن تلك القدرات لم تعطه احترام الناس لأنه كما يقول المثل: "القرد طاعة وقلة الأدب" ³ فهو كمن ينقض غزله بعد ما تعب فيه فالطاعة يجب أن يُصاحبها أدب واحترام وإلا أصبح مثل القرد.

والقرد من الحيوانات التي تحدث فوضى عارمة لأتفه الأسباب، ويصعب حجزه فهو في حركة مسترة يقول المثل: "اربط القرد بينظ" ⁴ وكأنه لا يعرف الجلوس والهدوء وسرعان ما نجده يحتفل لأقل الأشياء التي تقدم له فقال المثل: "قرد ولقي له جرس" ⁵ وللمزعج الذي لا يكف عن ازعاج الآخرين يقال له: "سعدان ولقيلو بجه" ⁶ وكأن هذا القرد يستمتع في ازعاج الناس ظاناً أن صوته جميل.

وسيطل القرد مغضوباً عليه وموضع سخرية الآخرين إلى أن يذهب إلى مكان لا يعرفه فيه أحد فيقول: "الع ب يا قرد في البلد اللي ما بنعرف فيها القرد من النبي" ⁷ فهذا القرد الذي يُبهرج لأصغر الأمور ويزعج الآخرين تظل رفقة أفضل من ذلك النكد الذي لا يفتأ يصطنع المشاكل فيُقال فيه: "قرد يسليك ولا غزال يمقتك" ⁸.

ومع أن هذا الحيوان كثير الحركة ومشاغب ومثير للمتاعب إلا أنه مستعد لتقبل السُخرية بشرط أن يبقى على قيد الحياة ليثير متاعب أخرى، وأعمال لا طائل منها، فقال فيه المثل: "فضي القرد لمعط الجلد" ⁹ وسرعان ما كان ينجو من تلك المآزق التي يضع نفسه فيها، ولن يتغير وسيظل القرد على

¹ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص182. (ميكل: أكل /الحصرم: العنب قبل نضجه)

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص129.

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص65.

⁴ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص20.

⁵ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص202.

⁶ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص118 (السعدان: نوع من القروء/ بجه: بجه في صوته دلالة على الصوت البشع).

⁷ - المرجع السابق، ص30.

⁸ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص947. (يمقتك: يثير غضبك)

⁹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص202. (فضي: تفرغ، معط: نتف)

حاله فيقال: "عُمر القرد ما بيصير إله ليّه" ¹ فمن المستحيل أن يتحول إلى حَمَل وديع وكذلك ذريته لن تتغير ولن تتبدل فيقال: "ما نصرني القرد حتى ينصرني ابنه" ² فهذا القرد لا يستفاد منه في شيء فهو يظل يأكل ويحدث المشاكل ويلعب، أما الأعمال الجادة فهو بعيد عنها فيقال في ذلك الكسول: "خوذ من الحزمة عود والباقي تشيله القروء" ³.

والمثير أن هذه الكلمة (قرد) كثيراً ما تُسمع في كثير من القرى الفلسطينية ليس لشيء وإنما من باب الشتيمة والسخرية وهذا الحيوان الجشع نجده حريص كل الحرص على أغراضه مع حُبّه لإتلاف ما عند غيره ولا يحرك إلا بدافع الشر والآذى للآخرين فيقول المثل: "حاطط قردك ع طحيناتي" ⁴ ومن أفسد أشياء غيره عليه إصلاحها فيقول المثل في ذلك: "اللي كسر القرد يجبره" ⁵ ورغم السلبات الجمّة التي توجه للقرد إلا أنه محبوب ممن يقترب منه ويستلطفه، فيقال: "حب من تحب ولو كان قرد ودب" ⁶ فالحب لا عيون له وكذلك عين الرضى لا ترى إلا كل ما هو جميل، وهذا ينطبق أيضاً على من لك مصلحة عنده ستره جيداً بدوام المصلحة وتتنقي العلاقة بانتهاء تلك المصلحة. وبذلك فقد غاصت الأمثال الشعبية إلى أعماق هذا الحيوان ووصفته وصفاً دقيقاً بشعاً وبينت مدى نفور الوسط الشعبي الفلسطيني منه.

¹ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص 170.

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 200.

³ - المرجع السابق، ص 116.

⁴ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 110.

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 946.

⁶ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 202.

المبحث الرابع: صورة الذئب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

حيوان مفترس، حجمه كحجم الكلب الكبير، ويشبهه كثيرًا، والكلب عدوه الأول؛ لأنّ الكلب عادة ما يرافق الغنم التي هي على قائمة طعام ذاك المفترس، فإذا رآته الغنم ارتفعت منه وهربت، ويعتمد على الإغارة المفاجئة على تلك القطعان، وأحيانًا يحصل على مبتغاه من شاه أو حمل، وأحيانًا يجد الكلب متنبهًا له فيهرب خاوي الوفاض.

ويمثّل الذئب في الوجدان الشعبي الفلسطيني صورة قاتمة لذلك اللص الذي يقتات أغنام الفلاحين، فيشكل عدوه الأول؛ لذا يحرص الراعي على اقتناء كلب يرافقه في رحلاته الرعوية ليساعده في اكتشاف الذئب ومطاردته إن اقترب منها، ولقد استعار المثل الشعبي بعض أمثاله من تلك المطاردات ليطبقها على بني البشر فقال: "مِية صِيحَه ورا الذيب ما بتعيب"¹ هذا يعني أن الشجاع لا يُضيمه ولا يُعييه إن عاد دون أن يَغْنَم شيئًا، كما لا يُعييب الراعي الصراخ على ذئب الغنم .

وهناك الكثير من المعتقدات الفلسطينية السحرية المتعلقة بأسنان الذئب وعظامه تلك القوة المستمدة من شجاعة الذئب وجراته، ولقد استخدمت أجزاء من الذئب لتحضير وصفات طبّية شعبية سحرية. ولقد وازن المثل الشعبي الفلسطيني بين الذئب والغنم في كثير من الأمثال التوفيقية حين صوّر التوازن الذي يحدثه الذئب متهمًا وساخرًا فقال: "لا يموت الذيب ولا تفنى الغنم"² وكأنه أراد أن يسخر من تصرفات غير مقبولة، فالراعي لن يسمح لذلك الذئب أن يأكل أصغر ماشيته حتى ولو مات الذئب إذا ما قصده المثل ليس إطعام الذئب الكاسر وإنما التهكم على تلك الفئة التي لا تعمل وتريد المساواة والتوازن مع غيرها من الفئات العاملة.

وفي المقابل لن يستقبل الراعي الذئب الجائع إلا بما يليق به من زجر وعصاة وكلب حارس للغنم وهنا دعوة إلى وجوب الإعداد المسبق للأشياء بما يناسبها فقال المثل: "إذا جاك الذيب حضر القضيب"³ وكذلك لا بدّ من معرفة الشخص وصفاته واختيار المناسب للأمر الذي تسترعيه فيه،

¹ - نمرسرحان، موسوعة الفولكلور الفلسطيني، ص45(الذيب: المرادف الشعبي للذئب) .

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص154.

³ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص16.

فالدُّنْبُ لن يكون يوماً صديقاً للغنم فيقال: "الذيب ما بتسرح بالغنم"¹ وإذا قصر الكلب في أداء واجب الحراسة كان له المثل الشعبي بالمرصاد فقال: "جه الذيب للغنم، راح الكلب يلطي / يجري"². ولقد دعت الأمثال الشعبية الفلسطينية إلى ضرورة القوة والشجاعة في الحياة، فمن أراد الحفاظ على حقوقه عليه أن يكون قوياً فيقال: "اللي ما بيكنش ذيب بياكلوه الذياب"³ فالقوة هي أساس الحياة، وأساس الحفاظ على الحقوق، وكأن الأمثال حصرت القوة في الذئب، وهذا المثل يشبه المثل الفصيح الذي يقول: "إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب".

ومن براعة المثل أن أظهر قوة الذئب بإظهار ضعف من سواه وكأنه المفترس المتفرد بمعاكبة كل خانع خاضع لغيره، فلن يكون له مكان ولا تواجد إلا بين الأغنام الضعيفة التي تنتظر قدوم الذئب ليأكلها ويُنهي حياتها فيقال للضعيف: "من صار نعجة أكله الذيب"⁴ ومن فضل الغناء خارج السرب، وهجر قانون الجماعة الفلسطينية لن يكون مصيره إلا كمصير الغنمة الشاردة حيث يقول المثل: "الذيب ما بيوكل إلا الغنمة الشاردة"⁵ فمن خرج عن رغبة الجماعة سيكون لقمة سهلة سلسلة لكل مترصد. ومن يحيد عن الدرب القويم ويلتف إلى أمور أقل مرتبة من ذلك الهدف الرئيس فسكيون مصيره التيه وراء التقليد الزائف للقشور وترك الجوهر يقول المثل: "بترك الذيب وبتبع أثره"⁶ وقد دعا المثل الشعبي إلى عدم الإغترار بالقوة الشخصية، فمهما بلغ الذئب من القوة فلن يصير أسداً فقال المثل: "لولا المنايا والرزايا مقدرة، ما أكل سبع الفلا ذيب"⁷ أي أن القدر هو المسيطر والمقدر فلا يغتر إنسان بقوته ويظن نفسه فوق الجميع .

والدُّنْبُ لن يترك صفاته وخصاله، فالغدر قد تمكن منه أو جرى فيه مجرى الدَّم، لذلك لن يكون في يوم ما محبوباً ولن يغير طباعه وصفاته. قال المثل لمن يأتي بالشر لأهل بيته فيهددهم بقوله: "مين

¹ - المرجع السابق، ص 25.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 942، (يلطي: يعيث وتقال للكسول) وينظر، دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص 495 .

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 72.

⁴ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص 194.

⁵ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص 205.

⁶ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص 140.

⁷ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص 155 (المنايا: الموت، الرزايا: المصائب) .

بيجيب الذيب ع باب داره؟" ¹ أما من أراد أن يدافع عن نفسه، من هجوم وتهم باطلة فيقول: "بريء براءة الذيب من دم ابن يعقوب / يوسف" ² ومنها أيضا: "الذيب متهوم ولو بات جوعان" ³.

وبالرغم من كل ما قيل ويقال فإن الذئب سيظل في الأوساط الشعبية مغضوبًا عليه خاصة من شريحة الرعاة، ولن يغير هذا الحيوان صفاته فالغدر فيه باقٍ والشراسة باقية أيضًا فقال المثل: "الذيب بظل ذيب لو لبس ثوب نعجه" ⁴ حتى وإن أراد أحد أن يتصدى لتعليم ذلك الغادر فإنه لن يستطيع؛ لأن صفاته هي التي صقلته وشكلته وهي التي ترده فصاغ المثل قصة تعليمه بصورة هزلية فقال: "جابوا الذيب تايعلموه: قالوا: ألف - باء - تاء

قال: عنزه - خروف - جدي ... في بطني" ⁵

سيبقى الذئب مطبوعًا على الشر ولا يمكن تغييره أو اصلاحه إذا كان الذئب لن يتغير، فمن المستحيل أن يتغير ولده فمن شب على شيء شاب عليه، فابن الذئب ذئب مثله يحمل غدر والده وصفاته فقال المثل: "ابن الذيب ما بترباش" ⁶.

وفي المعتقدات الشعبي يحضر الذيب في طقوس الاستسقاء فكثيرًا ما كان يُحبس المطر عن القرويين فنجدهم يخرجون إلى الحقول يدعون الله ويصلون صلاة الاستسقاء طلبًا للمطر وكثيرًا ما كانت تلك الصلوات تكون ممزوجة بأهازيج طلبًا للرحمة ونزول المطر ومن بين الأهازيج التي حفظها الفولكلور الفلسطيني تلك الأهازيج المتعلقة بالذئب التي تقول: "قعق يا ذيب لربك" ⁷.

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص205.

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص90 وينظر: حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص142.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص495.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص942.

⁵ - المرجع السابق، ص943.

⁶ - المرجع السابق، ص942.

⁷ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص191 (قعق: نادي - صوت الذئب).

المبحث الخامس: صورة ابن آوى (الواوي) والثعلب (الحصيني) في الأمثال الشعبية الفلسطينية

لقد أثرت الجمع بين هذين الحيوانين لما بينهما من الاتفاق في الشكل والسلوك، حتى إنه في كتاب كليله ودمنة قد ذكر المحقق في المقدمة الثعلب والمؤلف يذكر اسمه ابن آوى في القصص داخل الكتاب .

حيوان الواوي الذي يدعى اسمه ابن آوى أو بنات آوى عند جمع الاسم هو من الحيوانات التي تنتمي لعائلة الكلبيات، كما يطلق عليه اسم الشغبر وهي حيوانات مترمة، وحشيّة مفسدة قلّما تُرى في النهار لأنها حيوانات ليلية، وإن شوهد فلا يُسمع له حسّ أو عواء، فلا يعوي في الليل إلا إذا استوحش لابتعاده عن رفاقه فإنه يعيش في جماعات، كما أنه يخشى الإنسان ويهرب منه، ولكنه إن اضطر فإنه يهاجمه للدّفاع عن نفسه.

أما في الأمثال الشعبية الفلسطينية فلم تفرق بين الواوي والحصيني (الثعلب)؛ لبعد هذه الحيوانات، وعدم حاجة الإنسان إليها لتيسير أموره ولعدم ذكرها في القرآن الكريم، ولا في الحديث النبوي، وكانت أخبارها في الأدب العربي قليلة أما فلسطينياً فقد وردت أمثال عنها إما لتجارب الفلسطينيين معها حيث إنها كانت تصطاد دجاجاته وتتلّف مقتنياته ومزروعاته لذلك شكّل صورة سلبية عن تلك الحيوانات الماكرة الغادرة .

فأول ما يصادفنا عن هذا الحيوان الماكر أكله حقوق غيره ظلماً وعدواناً، فأصبح كل معتدٍ على حقوق غيره يشبه بالواوي الذي أكل ما ليس له فاستحق عقاباً مناسباً لما فعل فقال المثل: "واوي بلع منجل (...)" تسمع عواه"¹ وقد تخدم الظروف بعض الضعفاء الجبناء فيقال في ذلك: "ما بتلاقي (...)" الحزق إلا عند الواوي الضعيف"² فأحياناً نجد أن الضعيف إذا وقع في ورطة أصبح كالأسد لحظة هربه، ولأن هذا الحيوان يستمد قوته من جماعته نجده في بلده كما قال المثل: "كل حصين في بلده ذيب"³.

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص204، (بلع: ابتلع/ عواه: عواؤه).

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص178، (الحزق: القوي) .

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص67.

وللعلاقة الجامعة بين هذا الحيوان ودجاجات الفلاح التي تشكل وجبة دسمة للواوي وهذه حقيقة ثابتة لذلك ذكرها المثل الشعبي بقصد السخرية ممن أوكّل أموره لمن لا يؤتمن عليها فهي حينئذ كمن آمن الواوي على قنّ دجاج فقال: "وكلوا أبو حصين بالدجاجات"¹ ولضرب أمر مستحيل الحدث يُقال: "تاب أبو زهرة عن أكل الدجاج"² فمن المستحيل أن يتوب هذا الحيوان عن أكل وجبته المفضلة الدسمة السهلة (وهي الدجاج) لأن في ذلك هلاكه، وقد وصل الحال بالفلاح الفلسطيني أن أخذ يُطلق على بعض الحيوانات كُنْية، فعندما تحدث عن الصراع الأزلي بين الدجاج والحصينيّ قال عنه (أبي زهرة) والكنية في العادة تُضفي على اسم المضيف تقديراً ووقاراً إلا أنها كانت من قبيل السخرية لمن ظنّ أن الحصيني سيتخلّى عن وجبته الدسمة السهلة فإن فعل وتخلّى عنها هلك. فكانت توبة هذا الحيوان عن أكل الدجاج كمدعي الورع والتقى فيقال: "تاب أبو الحصين وراح الكاتب وحط المسابح في رقبته، وقال يا باب الله"³ وكذلك فمن المستحيل أن تتم فروته فقال المثل: "زي فروة أبو الحصيني عمرها ما بتم"⁴.

الحياة لا تسير على منوال واحد دائماً فهي في تغير مستمر، وقد تدور الظروف وتتبدل وتخدم السيء وتتخلّى عن المحسن، ولم يكن المثل الشعبي بعيداً عنها بقوله: "الله يخزيك من دهر ميا، صار الحصيني يسابق الخيال"⁵ حتى إن عجلة التغير قد تصل اللئيم نفسه فيتبدل حاله فقال المثل: "زي الحصيني المدخن له"⁶ وهذه الحياة صراع دائم بين القوى والضعيف وبين الغني والفقير ولكن عندما تتقلب الأحوال وتدور الدوائر ويزداد الشر شراً لا يلبث إلا أن يصطدم ببعضه وعندها فإن آكلات اللحوم تتربص ببعضها فقال المثل: "أبو الحصيني بتلبد لأبو فروة"⁷.

"الواوي يربط والفار يحل" لهذا المثل قصة مرتبطة به تتلخص في أن قبيلة الواوي مات قائدها فاجتمع حكامؤها لينتخبوا قائداً جديداً، فاختلفوا وبعد طول جدال توصّلوا إلى أن الشيخ من يستطيع سيكون

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص221، (الدجاجات: الدجاج).

² - المرجع السابق، ص100.

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارحة حكم وتقاليد واستدلال، ص407.

⁴ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص155.

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها. (ميا: سيء، غدار).

⁶ - المرجع السابق، ص199.

⁷ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص201.

إحضار الأسد مكتفًا فذهب أحد أفرادها إلى صديقه الأسد وطلب منه أن يقيده بالحبال ويساعده في هذه الحيلة ثم يفكه فقبل الأسد، ولكن الواوي الغدار مكر بصديقه وتركه مربوطاً حتى جاء الفأر وساعد الأسد فترك الأسد البلدة وهو يقول: "البلد اللي فيها الواوي يربط والفار بيحل ما بتنسكن"¹ ويقال لذلك الشخص الذي لا يؤتمن ولذلك الشخص الذي يجب أن يحذر منه: "حطها في جلد واوي"².

وإذا أراد الفلاح التعبير عن الوسطية أو أراد المراوغة وعدم إصدار الأحكام المباشرة تحسباً لأي موقف محرج، عبر عنها بصور حيوانية حتى وإن كانت مغلفة بالسخرية فقال المثل: "لحم حصيني لا ينشكر ولا ينذم"³ وهذا الحيوان يمتلك ذيلًا غزير الشعر، تقيه البرد، لذا اتخذها الفلسطيني وسيلة لوصف شدة البرد، وكأنها مقياسه الجوي، فقال المثل: "سقعه بتقص ذنب الواوي"⁴ وللأمور التي تأتي عفو خاطر دون تخطيط سابق، وتكون بعد فوات الأوان يُقال: "دبها أبو حصيني وعشرت"⁵. ومهما حدث فإن الثعلب لن يصبح مقرباً من الفلاح الفلسطيني ولن يغير أسلوبه ولن يتخلى عن حذره ومكره، ونشر الدسائس والفتن حتى قيل فيهم "بالت بينهم الثعالب"⁶ وكذلك ذرية الثعلب ستكون على منواله تتذر بالخطر والشر فيقول المثل في ذلك: "زي وطاوط ابخش وعاوط"⁷.

¹ - الأشهب، رشدي: الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، جمعية الدراسات العربية، ص224.

² - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص203.

³ - المرجع السابق، ص186.

⁴ - المرجع السابق، ص194، (سقعة: الصقيع).

⁵ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص118، (دبها: أتمها وأنجزها، عشت: حملت)

⁶ - عراف، شكزي: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص942.

⁷ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص198، (وطاوط: ابن الثعلب / ابخش: احفر / غاوط: عميقاً) .

المبحث السادس: صورة الخنزير في الأمثال الشعبية الفلسطينية

ارتبط ذكر الخنزير في العقليّة الإسلاميّة بالحُرمة، فالحمة مُحرم في الشريعة الإسلاميّة كما أنه يتصف بأكثر الأوصاف قُبْحًا في العقليّة الشعبيّة فهو رمز القذرة والشرهة والقبح كما أنه حيوان كرهه الرأفة. والخنزير من الحيوانات التي كرهها الفلسطينيّ لحرمة لحمها ومتعلقاته أولًا ولفسادها ثانيًا ولعدم غيرتها على أنثاه أخيرًا، وبذلك اقترن ذكره بالصفات السلبية التي تمثله وتجسده فقال المثل: "أنجس من جلد الخنزير"¹ فكما أن القرآن حرّمها وبين أنها من النجاسات كذلك صورته الأمثال، وهذا المثل الذي ضُرب لهذا الحيوان هو نفسه الذي استخدمه الفلسطينيّ للحديث عن اللئيم.

ومن المعروف عن الخنزير أنه حيوان دميم الخلقة، سيء السمعة، يأكل كل ما يصادفه حتى القمامة وفضلات الحيوانات فلا يعافها، وقد صور الفلسطينيّ كل سلوكياته ليصف بها كل من يُحقر نفسه ويصغرها، ويسلك سلوكيات لاتليق بأنسان، فمن أهدر سمعته وكرامته لن يشفع له ماله ولا جاهه، وسيكون أضحوكة يتسلّى بها الناس في مجالسهم، من تهن عليه نفسه يُهن عند الناس فقال المثل "اللي بعمل حاله نخاله بتاكله الخنازير"².

وهو من الحيوانات اللئيمة البخيلة وأي استفادة منه بالرغم من حرمتها شرعا ستكون مغنما ومكسبا فيقال: "شعره من جلد الخنزير مكسب"³ وهذا المثل يُضرب للبخل الذي يستغل كل الظروف لتصب في إطار مصلحته .

لقد عدّ الفلاح هذا الحيوان من مُهلكات المحاصيل الزراعيّة فيفسدها لذلك أخذ الفلاح هذه الصفة المزعجة فيه، ووسم بها كل من لا يُجيد عمله ، و لا يجيد تقليب الأمور والتصرف فيها كمثّل من يأتي بالخنزير المهلكة للزرع على محصولاته فيقول المثل: "مثل اللي جاب الخنزير لذرتة"⁴ .

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص191.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص940. (نخاله: ما يتبقى من قطع الطحين عند نخله) .

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص164.

⁴ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص187، (جاب: أحضر)

وتُلقق الأمثال المزيد من الصفات السلبية لهذا الحيوان حين صوّرت حركاته وهو يحاول سرقة محصول الذرة كمثل الذي يتلصص لتحقيق مآربه ومصالحه بغض النظر عن الطريقة وعن الأسلوب فقال فيهم المثل "بتخنس زي خنازير الذرة"¹ .

وتمتد هذه الصورة في وصف الخنزير لتصل إلى الحديث عن دمه الثقيل في صورة مجازية تعكس الحالة الشعورية للفلاح تجاه هذا الحيوان لتطال أولئك الذين يحاولون التحذلق ونسج القصص والأحاديث السخيفة بقوله: "بتحزر حزازير مثل دم الخنازير"² فأولئك الأشخاص مملون وأصحاب ظل ثقيل ثقل دم هذا الحيوان .

وفي كثير من مواضع السخرية نجد المثل الشعبي يتحدث عن هذا الحيوان باستخفاف وسخرية فقالوا: "شو السيره؟ ذبحوا الخنزيره"³ بالإضافة إلى أن كلمة خنزير أصبحت تُقال كشتيمة تطال كل شخص يتمثل بصفاته، كما جلد المثل الشعبي أولئك الذين يتصفون بسلوك هذا الحيوان المكروه شعبياً المحرم إسلامياً.

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص196، (بتخنس: يتلصص، ويتجسس) .

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص940(حزازير: فوازير) .

³ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص462.

المبحث السابع: صورة الضبع في الأمثال الشعبية الفلسطينية

للضبع أسماء عدة منها: جبال وجعّار وحضاجر ومن كنايةاته: أم عامر وأبو الهنبر وأبو كلداه ويُخيل للمرء أن هذا الحيوان أعرج وهو ليس كذلك فمن مكره أن يصطنع الحيل ليحصل على فريسته، وهو حيوان الكانسات للجيف فلا يترك جيفة ولا عظمة ولا جلدًا إلا يأكله، وهذا الحيوان مولع بنبش القبور وأكل اللحم البشري، فإذا رأى إنساناً نائماً حضر تحت رأسه وأخذ بحلقه فقتله¹.

ولقد كثرت الحكايات التي يرويها الأجداد لأحفادهم في فلسطين بما يخص الضبع الذي يقطن الكهوف والأماكن المظلمة، وللضبع شخصية مكروهة وأثر سيء في النفوس، ومن المعتقدات التي يرويها الأجداد أن الضبع إذا رأى شخصاً وأراد أكله بال حوله على شكل دائرة وظل يدور حوله بحركات سريعة ليفقده تركيزه، ولأن لبوله خاصية تخديرية تمنع ذلك الشخص من الخروج من الدائرة وكأنه (يحوطه) بتعويذة لا فكاك منها وبعدها يأكله .

والغدر ليس غريباً عن هذا الحيوان فليس أظهر لغدره من مجير أم عامر الذي أجار ضبعه فغدرت به ونهشت لحمه وهربت، وقد وصفت الأمثال الشعبية كل غادر مقتنص للفرص انتهازي بأنه كالضبع في سلوكه حتى ذلك الذي يحاول السيطرة على من هم حوله يُقال له: (ضَبَع) (ضبعهم) أي سيطر عليهم وإن كان على باطل .

عندما وصف الفلاح الحيوانات الضارية وجد بعضها ينشط ليلاً وآخر ينشط نهاراً فأصبح يعلم الساعة البيولوجية لكل حيوان، فالضبع حيوان ليلي فقال فيه المثل: "الضبع: بالنهار واوي وبالليل سبع"² فهذا الحيوان جبان نهاراً شجاع ليلاً ويضرب المثل فيما ينقلب حاله وتتغير أموره من ساعة لساعة، وهذا الحيوان الانتهازي يقتات على الضحايا الغافلة فيتربص بها في وكره حتى تأتي الفرصة المناسبة وينقضّ عليها يفترسها فقال المثل في كل انتهازي: "زي الضبع في الموكرة"³ وكذلك الشرير ينتظر

¹ - ينظر، الدميري، محمد بن موسى بن عيسى: حياة الحيوان الكبرى، ج2، دار الفكر مكتبة الرياض الحديثة، بيروت، الرياض، د.ت، 243

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص942 (الواوي: الثعلب).

³ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص199، (الموكرة: المغارة أو الوكر).

الفرصة المناسبة لبثّ شره وحقده فيقول المثل زاجراً هذا الأسلوب: "مالك بتتضبع"¹ أي تشبه في مشيتك وسلوكك الضبع.

للقوة سطوة وكلمة فاصلة في حلّ كثير من المشكلات؛ ولأن الضبع من الضواري التي تمتاز بالقوة والفتك، فكانت القوة جزءاً من حياته وسلوكه فهو يعتمد على إظهار قوته لخصمه حتى لو كان أكبر منه حجماً كي يُشتت انتباهه وتكون الغلبة له، وسرعان ما لاحظ الفلاح هذه السمة وهي المبادرة في إظهار القوة فوصفها بقوله: "إذا ما ضبعته ضبعك"² وهذا ينطبق على بعض الناس عليك إظهار القوة لهم، وإلا تمردوا عليك وحاولوا الإيقاع بك، وكذلك حال الضبع إذا بدأته بالضرب والزجر فرّ وهرب وإلا تجرّأ عليك وافترسك، وقالت العرب في ذلك: أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم ويعتقد الفلاحون أن الشخص المضبوع يعود إلى رشده إذا تعرض لنزف من أي جزء من جسده.

لذا فإن صورة الضبع عند الفلاح لن تتغير فهو مكروه وكل من يتصف بصفاته سيلاقي المصير نفسه من البغض ولأن الضبع لن يتخلّى عن خصاله كذلك الفلاح لن يتخلّى عن حقده وكرهه له فهما في صراع مستمر.

¹ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص206، (بتتضبع: أي تجعل من نفسك ضبعاً، حين تقلد

مشية الضبع فالضبع يمشي بهدوء ويتلفت يمينا ويساراً) .

² - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص19.

المبحث الثامن: صورة الدّب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

الدّب حيوان قارت، آكل لكل شيء يقتات على اللحوم والأعشاب والفاكهة وهو حيوان شره خاصة في فصل الصيف ليخزن الدهون في جسمه، وهي التي يعتمد عليها طيلة سباته الشتوي حيث يأوي في الشتاء إلى أحد الكهوف فيمكث فيه إلى أن يأتي الربيع، ويمتاز الدّب بكبر حجمه وضخامته. وقديماً تعامل الإنسان مع هذا الحيوان بازدواجية فتارة يقتله، وأخرى يحاول أن يستمد منه دواء، فهم يعتقدون أن العلاج الوحيد لمرض السعال الديكي هو بركوب دب¹. ولقد ظل الدّب بعيداً جداً عن يوميات الفلاح الفلسطيني إلا أن المثل الشعبي خصّه بعدد من الأمثال التي تنتدر عليه وتسخر من كبر حجمه وسذاجته وقبحه، ثم انتقلت تلك الصفات وأصبح يُتصف بها كل من يتصرف بجهل وغباء فقال المثل: "زي الدّب"².

لقد شكل حجم الدب الكبير عائفاً يمنعه من مزاولته بعض الأعمال التي تحتاج إلى رشاقة وانسيابية عالية، كالرقص مثلاً، ولم تنسَ الذاكرة الشعبية تلك المحاولات الساذجة التي قام بها هذا الحيوان بالرقص فأحدث كارثة كبرى فقال المثل: "قام الدب يرقص قتل سبع تنفس"³ وبهذه الصورة شبهوا كل من لا يجيد عمله ولا يتقنه كالدّب أراد الرقص بحجمه المهول وهو لا يجيد الرقص، وسرعان ما نجد المثل الشعبي يقترح حلاً لذلك الكسول الهامل، ألا وهو الزجر والضرب ويترجم هذه الحكمة بقوله: "الضرب يعلم الدب الرقص"⁴.

ويمتاز الدّب بحبه للطعام وشرهته فهو لا يشبع، وقد وصفت الأمثال الشعبية كلّ شره من البشر بهذه الصفة فقالت عنه: "الدبة فزرت كرشها ما ضرت غير نفسها"⁵ ووصفوا حركة الدّب وما وصل إليه نتيجة الأكل الزائد عن حاجته فقالوا: "دب وبتدب"⁶.

¹ - وارنغ، فيليبيا: معجم المعتقدات والخرافات، ترجمة رمضان مهلهل سدخان، أزمّة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص24.

² - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي الفلسطيني، ص176.

³ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص155، (تنفس: أنفس).

⁴ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص476.

⁵ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص118، (فزرت: عقدت، مزقت/ كرشها: معدتها).

⁶ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص156.

ونتيجة لانغماس الدّب في الأكل الذي أصبح كلّ همه، ووصل به الأمر إلى منتهى الجهل بالأمور الحياتية فأصبح لا يرى الأمور بمنظار جيد، ولا يزن الأمور بموازينها نعتة المثل بأنه كالأعمى الذي لا يفرق بين جيد وسيء فقال فيه: "عمى الدّيبه"¹.

وبالرغم من الصورة القاتمة للدّب إلا أنه يوصف بحبه لأولاده حتى أصبحت مضرِبًا للمثل فقال: "زي محبة الدّب لأولاده"² وحتى هذه الصورة الإيجابية لهذا الحيوان لم تكن شفيعًا له فكما سبق كانت سلبياته تفوق بكثير هذه الإيجابية.

¹ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص176.

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص130، (محبة: حب).

المبحث التاسع: صورة بعض الضواري في الأمثال الشعبية الفلسطينية

أولاً: النمس:

حيوان لاحم يشبه ابن عرس إلا أنه أقرب إلى القطط، وهناك أكثر من أحد عشر نوعاً من النموس تقطن البيئات الشجرية لذلك فهي متسلقة بارعة، تهاجم المناطق السكنية وتسطو على الطيور الداجنة فتقتات عليها وتمتص دماءها، كما أنه من الحيوانات الحذرة وتشتهر بصراعاها مع الأفاعي فتصطادها بسهولة وخفة.

ولقد عرفه القدماء وقربوه منهم، فالمصريون أسموه فأر فرعون وبذلك كان من الحيوانات المستأنسة في القصر الفرعوني، وكان من مهامها إبقاء أعداد التماسيح عند حدّ معين لأنّ النمس معروف بنهمه وحبّه للبيض فكان يأكل بيض التماسيح.

أما فلسطينياً فهو حيوان مكروه لأنه يغير على الطيور فيأكل صغارها ويقتلها، وكان هذا الحيوان الصغير الخجول من الإنسان مضرب المثل في عدم الاستخفاف بصغار الحجم فقال المثل: "أحشر النمس بيصير سبع"¹.

هذا الحيوان صغير الحجم قبيح السمعة ظلت صورته قاتمة عند الفلاح وفي أمثاله الشعبية فقال المثل: "لا تعامل النمس بعماليه"² وهذه الحكمة وإن جاءت على صورة حيوانية فإنها تخفي حكمة بالغة فأرادت القول أنّ الكريم حسن الخلق يجب أن يُعامل الناس بأخلاقه وأعماله وليس بأعمال غيره وتصرفاتهم.

ثانياً: النمر والفهد:

وهي من فصيلة السنوريات آكلات اللحوم، تقطن الجبال العالية، وتنشط ليلاً ونهاراً وتبقى حذرة من تواجد البشر، فهي انعزالية بطبعها ولأنها لم تكن ضمن بيئة الفلاح الفلسطيني فقد كانت خبراته بها ضئيلة وأمثاله عنها موجزة قليلة، وربما كانت تلك الأمثال وصلت من خبرات سابقة لرحالة أو نتيجة

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص53.

² - المرجع السابق، ص188، (بعماليه: بأعماله).

الاندماج بالشعوب الأخرى، ويمتاز النمر بجلده المرقط، وهذا ما لفت انتباه الفلاح فقال عنه: "ابن النمر بيطلع مرقط"¹ وهذا يدلّ أن الفلاح وصف النمر وصفا خارجيا سريعا سرعة النمر ذاته، حتى إنه لم يصف موطنه وخصاله واكتفى بذكره في

الإطار الجوي فوصف الأحوال الجوية فقالوا: "برد الفجر برمي النمر"² ففي وقت الفجر تنشط تلك الحيوانات وإن لم يكن عليها ما يمنع البرد من الوصول إليها لماتت وانتهدت.

أما الفهد فيطلق عليه اسم النمر الصياد ولعل ذلك للعلاقة والتشابه بينهما في السلالة أو في السلوك، وهو يمتاز بالسرعة التي لا ينازعه فيها أحد، فهو أسرع حيوان على وجه الأرض، والفهد لغة تعني ثقل النوم المتغافل عن واجباته شديد الغضب ذي الوثبة البعيدة، فليس غريبا أن تكون الأمثال الشعبية أخذت من صفاته ومن معناه اللغوي الوصف الحقيقي اللائق به حين وصفت الأمثال الفهد بقولها: "أنوم من فهد"³ ويضرب هذا المثل في المتكاسل عن واجباته المتغافل عنها.

ولعبت الفهود في الميثولوجيا والحضارة البشرية دوراً مهماً حين كشف علماء الآثار عن أختام سومرية تحمل نقوشاً لفهود وكذلك هو الحال عند المصريين.

تلك كانت الصورة القاتمة للحيوانات الضارية التي ظلّ يخشاها الإنسان، وبالرغم من بعض محاولات الترويض إلا أن الفلسطيني لم يدخلها ضمن حيواناته المستأنسة؛ لأن سجيتهما ظلت أقوى من أي ترويض، كما أنها ترفض الانصياع للبشر الذين أفقدوها حريتها وموطنها، لذلك كانت تقتنص الفرص للتخلص من تلك القيود.

وليس من باب الدفاع عن تلك المفترسات إلا أنها تحمل مزاجية عالية تجعلها لا تنطبق مع مزاجية الإنسان، وقد تكون بعض الهجمات ناتجة عن خوف متبادل من الإنسان والحيوان في آن واحد، وفي النهاية ستظل تلك الحيوانات تجوب البراري بحثاً عن موطن فرائس وسيظل الفلاح يرفض وجودها قربه ويحاول التخلص منها حتى في أمثاله نفرّ منها ونسب كل سلب لها.

¹ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارحة حكم وتقاليد واستدلال، ص 975

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 90.

³ - المرجع السابق، الصفحة نفسها

المبحث العاشر: صور بعض الزواحف

أولاً: الحرباء

حيوان زاحف صغير الحجم، يمتاز بغطاء على جسمه حباه الله به ليكون سلاحه الفتاك الذي يساعده في الصيد والغذاء، ذلك الجلد الذي يتلون ويتغير بتغير البيئة المحيطة به، وكثيراً ما يصادفه الفلاح الفلسطيني على مزروعاته ومنتجاته، كما أنه بطيء قليل الحركة.

وكثيراً ما صادفتنا كلمة "لا تلمسه ببخ عليك" هذه الكلمة راسخة في عقول من شاهد هذا الحيوان لأنه سيتعرض للزجر من لمسه لاعتقادهم أنّ لمس حرباء أو من نفخ حرباء عليه فإنه سيصاب بمرض جلدي يصعب شفاؤها، ولقد استغلت الأمثال الشعبية هذه الميزة في هذا الحيوان وأخذت تصف بها كل منافق مغير لمبادئه ومنهاجه فقالت فيهم: "مثل الحرباي كل ساعة بلون"¹

ثانياً: الحرذون

هذا الحيوان الزاحف الحشفي يتواجد كثيراً في الشقوق أو على المنازل، وقد نلاحظه على الصخور الصماء، وهو حيوان خجول لا يدخل البيوت، وإذا رأيته من بعيد وأمعنت النظر فيه فإنك تكاد تجزم أنه يُصلي كما يعتقد شعبياً، ولكنه إذا لاحظ وجودك سرعان ما يهرب وكان له نصيب من أمثالنا الشعبية حين وصف من يدعي أموراً ليست فيه وسلوكاً ليس من شيمه فقال المثل: "قالوا للحرذون: شو بشتغل؟! قال: برّاد، قال كان بيّين ع جلدك"².

ثالثاً: السحلية

أما السحلية فهي أصغر حجماً من الحرذون وأسرع منه، ولا تتوانى عن دخول البيوت وقد يكون سبب موتها دخولها إلى حرم تلك البيوت، وكانت الأمثال الشعبية لها بالمرصاد حيث سخرت منها واستخفت بعملها فمن يحاول الحصول على منفعة صغيرة بسيطة وتكون نهايتها الفشل الذريع بل قد يدفع ثمناً

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 1027.

² - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية 2)، ص 289 (تراد: البَد: الطاحون الذي يستخدم لعصر الزيتون).

أكبر من تلك المنفعة قالت فيه الأمثال: "ري اللي بتصايد سحالي" وقالت أيضاً: "صيدته سحليه"¹
أي أنّ من يجري خلف هدف تافه لن يحصل إلا على شيء تافه قليل.

رابعاً: التمساح

وهو من الزواحف البرمائية الضخمة الفتاكة التي تمتاز بجلدها السميك وحراشفها القوية، وهي مجهزة بأدوات القتل فهي لا تتوانى في الفتك بكل من يقترب منها وكان للأمثال الشعبية بصمتها حين وصفت حيواناً سمعت عنه فقط؛ فهذا النوع من الضوراري لا يوجد بكثرة في فلسطين ومع ذلك وصفت كل بليد في مشاعره متحجر في شعوره بأنه يشبه جلد التمساح فقالت: "فلان متمسح"² وكذلك اشتهر هذا الحيوان بدموعه الكاذبة التي تخفي الشرّ لكل مقترب فهذه الدموع أنى لها أن تأتي من مفترس لا يعرف إلا لغة القتل وطعم الدم فقالت الأمثال لكل منافق يضمر الشرّ ويظهر الحزن: "مثل دموع التماسيح"³.

¹ - حسونة، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص200.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1026.

³ -المرجع السابق، الصفحة نفسها

الفصل الثالث

المبحث الأول: صورة الطيور في الأمثال الشعبية الفلسطينية

أولاً: الطيور الداجنة.

ثانياً: الطيور الجارحة.

المبحث الثاني: صورة القوارض في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

المبحث الثالث: صورة الحشرات في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

أولاً: الحشرات الزاحفة

ثانياً: الحشرات الطائرة.

المبحث الرابع: صورة البحریات في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

التمهيد:

خلال بحث الإنسان الأول عن الطعام بدأ يحتك بنوع جديد من الحيوانات، وهو الطيور التي تختلف عن الحيوانات الأخرى التي عَرَفَهَا وعهدَهَا، فكانت مكسوة بالريش مزدانة بالألوان الجذابة إضافة إلى أنها تبنى أعشاشًا تضع فيها بيوضها، فأخذ الإنسان يسرق تلك الأعشاش ويقتات على بيض الطيور، ويصنع لها الفخاخ كي يقبض عليها، إذن لم تكن علاقة الإنسان بالطيور حديثة العهد وإنما هي موعلة في القدم، لذلك وجد الكثير من الرسومات ونقوش للطيور في تلك الأزمان التي كان فيها الطير مقدسًا، فكانوا يعتقدون أن لكل إنسان طيرًا يعيش ما عاش ويموت إن مات .

وقديمًا كانوا يعتقدون أن الطيور تعلم الغيب وما يخفى، كما أنها كانت تقوم بدور رسول الغرام حين تنقل زفرات العاشقين وتذللهم، وفي المقابل كانت إحدى جنود الله (أبائيل) التي سلطها على العصاة، وتظهر هذه الثنائية للخير والعقاب في أنها كانت صورة أو انعكاسا للجانبين الذين يتمثلونها أو للملائكة، وبذلك كانت الطيور تقوم بأدوار قيادية بارزة في توجيه العالم ومعتقداته، ولم تكن يومًا هامشية مجرد أجسام طائرة.

ونظرًا لصغر مساحة فلسطين مقارنة بغيرها من الدول فإنها تحوي أنواعًا وعائلات كثيرة من الطيور، ولعل ذلك يعود لموقعها بين القارات الثلاث الذي أعطاه خصوصية وكذلك مناخها المعتدل والمتنوع حفز كثيرًا من الطيور على استوطانها والمكوث فيها طويلاً ناهيك عن تلك الطيور الوافدة من الهجرات الفصلية.

ولقد ارتبط ذكر الطير في ذهن الفلاح الفلسطيني بالخير والتعاطف والتفاؤل فهذا الطير يسبح للذي خلقه فقال عز من قائل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ ۖ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} ¹ كما أن التركيبة الداخلية للطيور تكون كما البحر على شكل مجموعات وعائلات فقال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} ².

وللطيور بأنواعها ارتباط وثيق العرى بالأمثال الشعبية، فالكثير منها جاء على ألسنة الطيور، فمنها ما جاء لترسيخ صفة جيدة ومنها ما كان نقدًا لاذعًا لبعض التصرفات، وكثيراً ما شبه الفلاح

¹ - سورة النور، آية 41.

² - سورة الانعام، آية 38.

الفلسطيني نفسه بالطير ومحيطه فقال المثل في ذلك " مثل الطير " ¹ وقال كذلك: " ابن آدم طير بلا جنحان " ² .

ولقد ارتبط ذكر الطيور بصفة متأصلة وهي حبها للطعام ولم تكن الطيور أنانية في ذلك فكانت على استعداد لتقاسم وجبات الطعام فيما بينها في أفراد مجموعتها؛ لذلك أخذ المثل الشعبي من هذه الصفات ووصف الكريم بها فقال المثل: "ابن الخير بهدي على الأكل مثل الطير" ³ وعند الطعام نجد الأباء يؤثرون على طعامهم فقد ينام الأب جائعاً ولكن يكفيه أن يكون فرخه شعبان في ذلك يقول المثل: " ما شبع طير وراه فرخ " ⁴ ولذلك يجب على الوالدين الاهتمام بأهل البيت ولا يهضم حقوقهم فقال المثل: " اشبع طيرك لا يدور غيرك " ⁵ ومنقار الطير هي الأداة التي يستعين بها الطير للحصول على طعامه فمن الصعب بل من المستحيل لأحد أن يأخذ من ذلك المنقار ما طعم من حبوب لذلك ضرب لمن يحصل على رزقه المعلق بالمخاطر بذلك الذي يأخذ الحب من منقار الطائر، وبذلك يُشهد له بالقدرة على خوض الصعاب فقال المثل: "بجيب الرزق من مناقير الطيور " ⁶ ومنها أيضاً: "بجيب اللقمة من ثم الطير" ⁷

الطيور مخلوقات رقيقة حساسة تخيفها أصغر الأصوات وأقلها، وكذلك الأطفال فهم يتمتعون بحس مرهف ويلوذون لمن يحسن إليهم ويرأف بهم فقال المثل فيهم: " الأطفال مثل الطير حسب الحنية " ⁸ بالرغم من تشابه الطيور في بعض الصفات إلا أنها ليست متشابهة تماماً فهذه المخلوقات الرقيقة كانت مضرب الأمثال للقوي الذي يحمي نفسه فلا يجرؤ أحد على الاعتداء عليه فقالوا: "مش كل الطيور اللي بتاكل لحمها" ⁹

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1045.

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص11 (جنحان: أجنحة) .

³ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص12 (بيهدي: يذل)

⁴ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص334.

⁵ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص28.

⁶ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص188 (بجيب: يحصل على) .

⁷ - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص721.

⁸ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص24.

⁹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص205. (بتاكل: يؤكل).

"عليك بالمقصص تيجيك الطيار"¹ هذا المثل يحمل دعوة للرضى والقناعة بالرزق المقسوم فإن كان اليوم قليلاً فمع الرضى والصبر ستحصل على الوفرة فعلى قدر الجهد المبذول ستحصل على الرزق وستحصل على ما تريد فلكل فعل ردة فعل فيقول المثل: "على قد بيض الطير بيجي فرخة"² وفي هذا المثل تناسب الأفعال والأجسام .

الوجه السلبي للطير:

قديمًا كان الطير مصدرًا للتشاؤم وقد ظل كذلك فلسطينيًا عند قدوم أحد غير مرغوب فيه أو عند حضور الفاشل قال المثل: "خير يا وجه الطير" وقال أيضًا: "خير يا طير"³ وكذلك كان الطير يوصف به كل حسود، فالطيور ومن اسمها بارعة في الطيران لا أحد يُضاهيها في هذه الميزة إلا أن هذا الطائر البارع في الطيران إن شاهده حسود فإنه سيسقط وقد عبّر المثل عن آفة الحسد بقوله: "بوقع الطير الطائر"⁴ ولم يكن الحسود وحده من جعل الطير يسقط فمن يمتلك صوتًا عاليًا مزعجًا وانتقده المثل الشعبي قائلاً: "عليه صوت بيرمي الطير"⁵ ولأن الطيور سريعة في الطيران جعلها بالرغم من سرعتها لا تُقَلت من ذلك المتحذلق الذي يسخر من الناس وينتقدهم فقال المثل: "بينكت ع الطير طائر"⁶ فإن مرّ أحد به مرورًا سريعًا سيغتابه وينتقده. الطيور تعيش في مجموعات منظمة وكذلك المجتمع، ولكن من أراد أن يعيش خارج السرب عليه أن يحتمل المخاطر بمفرده فقال فيه المثل "الطير اللي بسقط بيموت من البرد"⁷ فقد شبه المثل من يبتعد عن قانون الجماعة بالطائر الذي لا يجيد الطيران فيسقط وبالتالي لن يجد النصير وسيموت . وعلى الطيور أن تكون سريعة في اقتناس الفرص عندما يكون المجال مفتوحًا إلا فإن الفرصة لن تتكرر مرة أخرى، وكذلك حال الإنسان عليه أن يستفيد من الفرص عندما تبرز له وإلا سيذهب كل

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص194(المقصص: مقصوص الجناح الذي لا يطير).

² - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص166(قد: قدر، بيجي: يأتيك) .

³ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1042.

⁴ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص84 (بوقع: يسقط) .

⁵ - - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلالات، ص721وعباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص175.

⁶ - المرجع السابق، ص98(بينكت: يسخر، يصنع النكت المضحكة) .

⁷ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1043.

شيء إلى حاله وينتهي الأمر، وفي ذلك يقول المثل الشعبي: "طار الطيور بارزاقها"¹ وقال أيضًا: "طار طير الله يمسيكو بالخير"².

الحياة في تغير مستمر وتبدل وعلى الإنسان أن يعلم أن دوام الحال من المحال فيقال للمتباهي الذي يرى نفسه فوق الجميع إما لمال أو لمنصب فالمثل يقول له أن لا تفرح كثيرًا فالدنيا في قلب مستمر وقد يتبدل بك الحال كالطير الذي يطير إلى مسافة معينة، ويريد أن يخرج عنها لذلك فإن مصيره سيكون الفشل والسقوط فقال المثل: "ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع"³.

لأن الكل يهفو إلى شبيهه ومثيله كما الطيور التي تتجمع أبناء العائلة الواحدة أو النوع الواحد معًا كذلك بني البشر يجتمع كل صاحب خلق حول صاحبه فقال المثل: "في السما طير اسمه شقع، كل شكل على شكله بقع"⁴ وبصيغة أخرى: "شقع كل طير على شكله بيقع"⁵ وقالوا أيضًا: "الطيور على أشكالها تقع"⁶.

وبالرغم من هذه السلبيات إلا أنها لا تصف الطير، وإنما تصف البشر المتمثلين بتلك الصفات، أما الطيور فظلت محبوبة فلسطينيًا وشعبيًا.

¹ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص166.

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص186.

³ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1045.

⁴ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص184 (شقع: بدون معنى وردت للسجع فقط، بقع: يلتقي ويتشابه).

⁵ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1043.

أولاً: الطيور الداجنة

الديك وزوجته الدجاجة .

لقد ارتبط الديك بحياة الفلاح الفلسطيني فعاش بجواره وشاركه مسكنه وظلّ معه في حله وترحاله، فالتقط الفلاح بعض سمات هذا الطير وملاحه وسلوكه، وأسقطها على غيره من البشر، ولعل أهم ما يميز الديك عن غيره من الطيور الداجنة، هو صياحه، وهذا بالتحديد هو الذي يحكم على نجابة الديك وقوته فقالوا في المثل: "الديك الفصيح في البيضة بيصيح" ¹ .

والديك لا يصيح عادة إلا في أوقات محددة وغالبًا ما تكون عند طلوع الفجر، لذلك كل شيء عنده بمقدار وبموعد محدد لا يتجاوزه ولا يُغيره فيقول المثل: "قالوا للديك صيح، قال: كل شيء بوقته مليح" ² لذلك يعتقد في الأوساط الشعبية أن صياح الديك ناتج عن رؤيته للملائكة.

أما إذا صاح الديك في غير أوانه، أو في وقت لم يعتد الصياح فيه فإنهم يتشاءمون منه ويعدونه نذير شرّ ولذلك قالوا: "إن صاح الديك ما بطلع النهار" ³ كما يُعد صوته أداة للتحذير والإنذار في معاركه ولأهل بيته فيقال: "الديك مقوقس" ⁴ وهذا الصوت هو الذي يجعل الديك مهممًا على منطقته مسيطرًا عليها، حتى وإن كانت تلك المنطقة كما يقول المثل: "كل ديك على مزبلته بصيح" ⁵ فهذا الصوت هو من منحه قوة السيطرة على دجاجاته وعلى منطقته فقال المثل: "كل ديك خيال مزبلته" ⁶ . والديك يفتخر بصوته ويعتز به، ولا يخجل من ممارسة طقوسه ودوره في الحياة؛ لذلك يستخدم صوته الصداح لينادي عشيقاته من الدجاج، فيقول المثل: "لو استحي الديك ما قاقا" ⁷ المجتمع الفلسطيني مجتمع ذكوريّ، يؤمن بسيادة الذكر وهيمنته وكذلك القوي أبيّ النفس عزيزها يرفض الذل والهوان، فهو يفضل الموت على الذل وأن يعيش ساعة كريماً أفضل من عُمر ذليلاً؛ لذا قال المثل حكمته

¹ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص188.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1038.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص84 (مليح: حسن) .

⁴ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص197(مقوقس: يصيح) .

⁵ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص158 (مزبلته: مكان إلقاء القمامة) .

⁶ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص168.

⁷ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص209(قاقا: صوت الديك القوي) .

التي صاغها على لسان الديك بقوله: "عيش يوم ديك ولا مية يوم جاجة"¹ ولأن هذا الديك - الذكر - يُحب السيطرة يرفض أن يُشاركه في دجاجته ومنطقته ذكر آخر فقال المثل: "الديك ما بحب إله شريك"² .

ولأن الديك لا يحب الشراكة ويرفضها لذلك فهو في عراك مستمر مع غيره من أبناء جنسه فقال المثل: "زي الديوك دائماً يتناقروا"³ وهذا الخلاف المستمر مرده في المقام الاول إلى عدم تنازل أي من الديكة، فكل واحدٍ منهم يَعدّ نفسه الديك القائد المسيطر وغيره يجب أن يُقدموا فروض الطاعة، وغالبًا ما يكون هذا للمتعالى فيقول المثل: "نافش حاله زي الديك"⁴ وكذلك يُقال للمتباهي الذي يقول كثيرًا ولا يفعل إلا القليل "من قلة الرجال سموا الديك - أبو علي"⁵ فمن تبع ذلك المتباهي وصدقه سيكون مصيره الهلاك، وكذلك من تبع الديك فإنه لن يذله إلا على مكان عيشه فيُقال: "إن كان الديك دليلك القن مألوك"⁶ وجاء بعبارة أخرى: "من لحق الديك جعل الخُم مقره"⁷ .

السلبى أو الايجابي يحدده أصل التشبّه أين كان؟ وكيف نشأ؟ فمن كان والداه صالحين سيكون في الغالب صالحا، والعكس صحيح وأكبر دليل على ذلك الديك الذي نشأ في الطرقات وعلى القمامة فإن انتقل إلى غيره فلن يستطيع تغير نفسه فقال المثل ساخراً من أصل التربية السيئة، أو من يجذبه طبعه وأصله السيء فقال: "الديك بيموت وعينه عالمزيلة"⁸ .

أما للمستحيل فكانت بيضة الديك هي مضرب المثل، فكما أن الذكر لم يُهيئه الله تعالى لمهمة الولادة والإنجاب، كذلك في عالم الحيوان كانت الأنثى هي المسؤولة والمصممة جسمانيًا لهذه العملية فقال المثل: "زي بيضة الديك"⁹ ، وعلى منوال هذا المثل هناك حزازير فلسطينية، فيُقال: "ديك باض على

¹ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص323 (مية: مئة، جاجة: دجاجة).

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1036.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص194.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1039.

⁵ - - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامة الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص495.

⁶ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص79 (القن: بيت الدجاج) .

⁷ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص196 (الخُم: بيت الدجاج) .

⁸ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص121 (المزيلة: مكب النفائات) .

⁹ - المرجع السابق، ص128

الحدود بين العرب واليهود مين يوخذا ؟!" وللذي لا يُدير أموره وشؤونه بنفسه فقد سخر منه المثل الشعبي وشبهه بذيل الديك أي أحقر ما في الديك فقال: "مثل ذيل الديك وين ما يندار الهوا بيدور معه"¹.

وكان نصيب الأكل الخامل أن شُبه بالديك الذي يقضي يومه بالأكل والشرب واللعب فقال المثل فيه: "زي الديك بياكل وبشرب وينط"² أما الحياء للفتاة فهو نعمة قد حباها الله بها، ولكن إن زاد عن حده ووصل درجة الخجل المقيت سخر منها المثل الشعبي وعنفها قائلاً: "بتستحي من الديك وزعوبة الابريق"³

ويمتاز الديك عن غيره من الطيور إضافة إلى صوته وصياحه بصفاء عينه فيقال: "أصفي من عين الديك"⁴ كما أن للديك تاجاً أحمر في أعلى رأسه يميزه ويُجمله، حتى أصبح مضرب المثل لشديد الحُمة، فقال المثل في ذلك "أحمر من عُرف الديك"⁵

أما زوجته الدجاجة فقد حظيت باهتمام أكبر من الفلاح الفلسطيني لأنها مصدر التكاثر والبيض، كما أنها تخلص البيت من الحشرات والأعشاب الضارة والحبوب المتناثرة، أما في الأمثال الشعبية فقد كانت محطّ سخرية واستصغار، فقد أنصفت الأمثال زوجها الديك كثيراً بينما كان نصيبها من الاحترام أقل بكثير منه فقالت الأمثال في مدحها: "الدجاجة بتشرب وتبتلع لربها"⁶ ويُقال لتقريع من لا الشكر، ويعتقد في الأوساط الفلسطينية أن الدجاجة عندما تشرب وترفع رأسها بين الحين والآخر فإنها تحمد الله وإن كانت الدجاجة تشكر فالأحرى والأجدر أن يشكر الإنسان ربه على النعم.

ولأن الدجاجة تشكر الله حسب ما يعتقد الفلسطيني فإن رزقها مُيسر، سهل الوصول إليه، فيقول المثل: "زي الجاج رزقه بين رجليه"⁷ فهي تلتقط الحبّ عن الأرض من بين رجليها فرزقها يسير هين، ولذلك أصبح مضرباً للذي فتح الله عليه فلا يتعب للحصول على الرزق، ولأن الدجاجة في حركة

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1039 (يندار: يتحرك) .

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص168.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص88 (زعبوبة: المكان الضيق الذي ينزل منه الماء في الابريق).

⁴ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص22.

⁵ - المرجع السابق، ص14 (عُرف الديك: التاج الذي يعلو رأسه).

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1035.

⁷ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص198.

دائمة مستمرة فإنها تظل بحاجة إلى الطعام وإلى الأكل الدائم لذلك نجد أحلامها تسير مع اهتماماتها فهي دائمة الحلم بالطعام فهو أقصى طموحها فيقول المثل: "الدجاجة بتحلم في العلف"¹.

وكذلك قال المثل: "زي الجاج بفرح للغرابلة"² لأنه يتناثر القمح هنا وهناك فتاكله الدجاجات وبالرغم من صغر حجم بيضة الدجاجة إلا أنها تسدّ حاجة المحتاج وتغنيه عن السؤال فيقال لمن يستهين بصغار الأمور: "بيضة الجاجة بتقضي الحاجة"³ وقد دعت الأمثال الشعبية إلى ضرورة القناعة والواقعية والابتعاد عن العيش في عالم الأحلام فقال المثل: "بيضة اليوم ولا جاجة بكره"⁴.

أما السلبيات التي رصدتها الأمثال الشعبية لهذا الطائر المزعج في سلوكه للفلاحين سواء وقت بذر الحبوب أو عند أكل مزروعاته وثماره؛ أخذ تلك السلوكيات وألصقتها بالمزعجين المفسدين من بني البشر، فقال فيمن يصنع المكائد للآخرين: "جاجه حفرت على راسها عفرت"⁵ وهذا المثل من أشهر أمثال الدجاجة ملخصه من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

أما الكسول ثقيل الحركة فقد شبهوه بدجاج المزارع الذي يظل محصوراً فتكون حركته بطيئة وقد عبروا عنه بقولهم: "زي دجاج اليهود"⁶.

وكذلك كانت الدجاجة أداة لوصف السلوك الشائن الذي يرفضه المجتمع ولا يستسيغه فقال فيمن سرق: "اللي بيسرق بيضة بيسرق جاجة"⁷ وبذلك يتساوى في السرقة والإثم صغيرها وكبيرها ولا يقتصر السلوك الشائن على السرقة فقط فهناك الكثير من الممارسات المضرة والمزعجة ومن يتبع طريق الأشرار سيقع في حبالهم فقالوا فيه "ناس تاكل الجاج وناس تقع في السياج"⁸ وهذا جزاء كل من يسمع للآخرين باستغلاله.

¹ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص180.

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص196(الغرابلة: المرأة التي تستخدم الغرابل لتتقيته من الشوائب).

³ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص149.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1035.

⁵ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص93 (عفرت: نثرت التراب، وأثارت).

⁶ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص224 (دجاج اليهود: هو نفسه دجاج المزارع).

⁷ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص68.

⁸ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص180.

ولذلك الذي يجعل من نفسه مطيه للآخرين ويكون كالإمعة قالوا فيه: "اللي بعمل من حاله نخاله بتبعثره الفراخ"¹ أي من ينساق للآخرين دون تفكير عندها ستعدم شخصيته وتتناثر كرامته.

أما لذلك الذي يشعر بمنتهى الضيق ولا يعلم الحل شبهوه في أزمته بالدجاجة التي تريد وضع البيض فقالوا هذه الصورة الهزلية: "حايص مثل جاجة بدها تبيض"².

وللحشري الذي يتدخل في كل الشؤون وأتفهها فإن المثل قد زجره بلوحة ساخرة صاغها على شكل مثل فقال: "بده يعرف البيضة مين باضها والجاجة مين جابها"³ فقد جعل المثل من الدجاجة الأداة المثلى لوصفه وزجره، وكذلك الجاحد فقد سخر منه المثل لجحده النعم فقال: "يأكل الجاجة بريشها ويدعي على اللي شراها"⁴ فهو يأكل الصالح والطالح ولا يشكر، وإنما يتمادى في ججوده بالدعاء على من جلبها، وتتقارب صورة الجاحد بصورة الطماع الذي لا يعرف القناعة فتزجره الأمثال قائلة: "أكل الجاجة بريشها"⁵.

وصورت الأمثال الدجاجة التي لامنفعة منها -لم تضع بيضا- بمن لا فائدة له، ومن فقد الأمل فمن يعقد الآمال الطوال على شيء ولم يحصل عليه وفقد الأمل في حدوثه بحال الدجاجة التي لا تضع بيض فقال المثل: "لا باضت الجاجة ولا أكلنا عجة"⁶ وهذا حال من تأمل شيء لمقدمات سبقته إلا أن الأمور لم تسر على منواله، ولمن تضيع عليه الفرص الكثيرة، ويفوته الخير الكثير فيقول المثل فيه: "بتقاضي عنا وتبيض عند غيرنا"⁷.

وعماد الدجاجة وقوامها الذي تعتمد عليه في حلها وترحالها أقدامها فهي بالنسبة لها كنز ثمين تعينها على التقل، وتساعد على الهرب في الظروف الصعبة، وهي وسيلتها للحصول على الطعام فبدونها لن تسعى لرزقها وستموت جوعاً، وكان للمثل الشعبي نظرته في الحديث عن الدجاجة ووصف أقدامها

¹ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص188(نخاله:بقايا القمح عند نخله، بتبعثره: تنثره).

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص107.

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص180 (حايص: حائر، متأزم لضيقه).

⁴ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص210

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1035.

⁶ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص194(العجلة: أكله فلسطينية قوامها البصل والبيض والبقدونس).

⁷ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1035(بتقاضي: تصدر صوتاً معيناً قبل وضعها للبيض).

فقال في كثرة سعيها: "الجاجة الدّوّارة والمرأة الفرارة ما بينطاقوا"¹ فأراد السخرية من تلك المرأة دائمة الخروج من بيتها بتلك الدجاجة التي لا تكلّ ولا تملّ تمشي على الأرض، ثم نرى المثل الشعبي يصدر حُكما على تلك الدجاجة بأنها لن تنتج جيلا قياديا فقال: "الجاجة الفرارة ما بتربي صوصان"² ولم يقتصر تشبيه قدمي الدجاجة بكثرة المشي وإنما بكثرة الحديث، فشبهت الأمثال كثرة دوران قدمي الدجاجة وسعيهما بالثرثار الذي لا يسكت ويظل يتحدث بأمر مهم وناقصة فقال فيه: "وأكل رجلين جاج"³ ويقال للسخرية من مجهود أحدهم لقلته: "يعطيك العافيه قد ما مشت الجاجة حافيه"⁴.

ولأن قدم الدجاجة عزيزة ومهمة وهي المحرك لها كانت هي العقاب الأمثل للدجاجة المزعجة التي تعتدي على الآخرين وعلى ممتلكاتهم فقال المثل: "بدال ما تقول للدجاجة كش اكسر رجلها"⁵ لأن الدجاجة لن تهرب طويلاً من الزجر ولكنها إن فقدت قدرتها على المشي عندها لن تعود مرة أخرى لتزعج الآخرين، وكذلك حال كل معتدٍ يجب أن تكون عقوبته زاجرة كي لا يعود لمثلها. وإذا نزلت المصائب بأحدهم وكانت لا تحتمل أصبح صاحبها في حيرة وفقد قدرته على التفكير السليم لشدة مصائبه فقال فيه المثل: "زي الجاجة المصووحة"⁶ وكانت الدجاجة اللطيفة التي لا يؤذيها أحد هي العنصر الأقوى الذي يخيف الجبناء فيقال: "الجاجة بتوكل عشاها"⁷.

وتشتهر الدجاجة بحنوها على فراخها والتقاني في حمايتهم؛ لذلك مدح المثل الدجاجة لهذه الصفة فقال: "ما بربي الصوص غير إمه"⁸ وكذلك قال: "صوص ورا إمو، بسوى البطن كله"⁹ وكان هدف

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1036 (الدّوّارة: كثرة الحركة والدوران، الفرارة: كثرة الفرو والتزاور) (ما بينطاقوا: لا يحتملون) .

² - دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، ص342.

³ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص197(واكل: أكل) .

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1039.

⁵ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص77(كش: أداة الزجر الدجاج) .

⁶ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص200(المصووحة: التي تعاني من الدوران) .

⁷ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1036.

⁸ - المرجع السابق، ص1039(الصوص: صغير الدجاجة).

⁹ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص334.

الأمم الوحيد من هذه الحياة هو تربية (صيصانها) صغارها فقال المثل على لسانها: "بدي أعيش هالصوصان"¹.

التأني والصبر هو طريق الدجاج للوصول إلى نتائج ممتازة فقال المثل: "متعش الصيصان قبل ما يفسوا"² وهذه الحكمة المثالية مناسبة لكل زمان ومكان فالظروف متقلبة لذلك يجب الصبر للوصول إلى الهدف .

وقد يكون للطعام ولأصل التربية والتنشئة دور بارز في صقل الشخصية فالإنسان ابن بيئته فإذا كانت البيئة فاسدة خاملة سيكون نتاجها هزياً ضعيفاً: "مثل صوص التين بوكل وبنين"³ "صوص المشمش بياكل وبيقمز"⁴ أما إن كانت البيئة قوية سيكون النتاج قوياً "صوص القمح بيرمح رمح"⁵.

وإن امتزجت الأمثال التي تصور الديك وترواحت بين ما هو إيجابي وسلبي إلا أن صورته تظل محمودة ما دام محافظاً ومذكراً بأوقات الصلاة والعبادة، وفي ذلك قال الرسول _ صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة"⁶ أما إن تبختر وتكبر عندها سيتعرض لنقد الأمثال، أما الدجاجة فكانت بالرغم من وجود بعض سلبياتها إلا أنها مفيدة لا يستغني عنها الفلاح الفلسطيني لفوائدها فكما مثل الديك الجانب الخامل في مجتمع ذكوري كانت الدجاجة العنصر المنتج المربي للصغار، ومع ذلك لا يستقيم أحدهما دون الآخر فتكاملهما صورة مصغرة لتكامل دور الزوج والزوجة في أي مجتمع.

ويشترك الديك البيتي مع ديك الحبش الذي يفوقه بالحجم ويختلف عنه في الشكل وفي الصوت وفي كثير من الأمور إلا أنهما يتفقان في الزهو والغرور فيقال للمتباهي: "ناقش حاله زي ديك الحبش"⁷.

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1039.

² - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص341.

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص86(بوكل: أكل/ بينين: يئن كمن فيه مرض)

⁴ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص145(بيقمز: يمشي قليلاً ثم يجلس تعباً) .

⁵ -المرجع السابق، الصفحة نفسها، (بيرمح: يركض).

⁶ - البيهقي، أبو بكر أحمد بن محمد الحسين بن علي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص10716 .

⁷ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1032.

– الحمام

ومن أشهر الطيور الملتصقة بحياة الفلاح الفلسطيني الحمام أو الحمامة وهذا المخلوق الوديع اشتهر في العصور القديمة برموزه وإحياءاته وتحولاته الأسطورية المقدسة سواء انسلاخه وانسجامه مع المرأة أو مع الماء، وأول ما يطالعنا في سيرة الحمامة هو حادثة الطوفان ولعلها كانت فاتحة خير في سيرتها العطرة.

ولقد أعجب الفلسطيني بهذا الطائر الجميل وأسكنه منزله، ولعل هذا الإعجاب مردّه أن هذا الطائر يمتاز إلى جانب حسنه وجماله بالذكاء والانتماء لأرضه ووطنه، وربما هي من أهم الصفات التي جعلت الفلسطيني يشعر به وكأنه شبيهه ومثيله في عشق أرض أحبها وأخلص لها.

فقال الديميري في تعلق الحمام بموطنه: "أن الحمام يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ" ¹ لذلك استخدام الحمام في نقل الرسائل قديماً ولهذا الطائر الهادي إلى موطنه قيمة اقتصادية عند الفلسطيني، ولذلك لم يغفل وجوده وذكره في أمثاله الشعبية فقالت فيه: "بنت الحمامة غنامه" ² أي أنها سارعت بتبشير خبر جيد سار طال انتظاره، وهنا إشارة إلى بشارتها باليابسة في حادثة الطوفان.

وهذا الطائر هو رمز للسلام والطمأنينة والراحة، فقال فيه المثل: "حمامة سلام" ³ أي أن من ينشد السلام سينضم لتلك الحمامة التي هي رمز له، فهذا الطائر يكره الحرب فمنذ أن عادت بعد الطوفان وفي فمها غصن الزيتون أصبحت رمزاً للسلام لدى معظم شعوب العالم.

ولهذا الطائر صوت حزين، أشبه بنواح المرأة الثكلى، فهي من أشد الحيوانات وفاء لزوجها فلا تتزوج بعده أبداً حتى الموت، وفي المقابل زوجها لا يطير مع حمامة أخرى إلا بحضور زوجته كما يضرب به المثل في الحنين إلى الديار والأهل " فعن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: شكت الكعبة إلى الله قلة زوارها، فأوحى الله إليها لأبعثن إليك أقواماً يحنون إليك كما

¹ - الديميري: حياة الحيوان الكبرى، ج1، 365.

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص176.

³ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص176.

تحن الحمامة إلى فراخها" ¹ والحمام يعيش في عائلات يألف بعضها بعضاً، ولذلك كانت تجسيدا للحياة الزوجية والعائلية المستقرة والمحبة فقال المثل في ذلك: "مثل الحمام المقطوعة ميتة" ² .

ولأن الحمام يعيش في مجموعات وعائلات فإنّ بعضه يهدي إلى الطعام فما إن تعثر حمامة على حبّ فإن باقي السرب سيأتي للأكل؛ لذلك يقول المثل للفلاح أن يُريح نفسه أعمال الزراعة لأن الحمام سيأكل كلّ البذور ولن يكون هناك محصول فيقول المثل: "سنة الحمام افرش ونام" ³ وإذا جاء الحظ مع أحدهم ستستقيم أموره كلها، ولن يكون هناك ما ينغص عليه حياته ومسيرته فقال المثل: "إن أقبلت باض الحمام على التودد" ⁴ .

وللحمام قيمة اقتصادية لا تخفى على أحد، والفلاح الفلسطيني على دراية بهذا أكثر من غيره لذلك يقول المثل للمبذر: "الي عنده مال محيره بيشتري حمام وبيطيره" ⁵ حتى مع ذلك تبقى الحمامة مرغوبة في بلادنا وفي أمثالنا.

طائفة من الطيور الأليفة: العصفور

يعيش في الريف الفلسطيني العديد من أنواع الطيور التي هي رمز الدعة والحبّة والجمال فهي بألوانها وأشكالها وأصواتها الشجية تبعث في النفس السلام والجمال وكثيراً ما نجد المثل الشعبي رافق مثل هذه اللمسات الجميلة بصوره الحسية المنتزعه من البيئه المعاشه.

ولعل أكثر الأمثال الشعبية انتشاراً هو ذلك المثل الذي يدعو إلى القناعة فقال المثل: "عصفور باليد ولا عشرة ع الشجرة" ⁶ ومنها: "عصفور في ايدك ولا حمامه طايره" ⁷ كما ويُقال لمن يحصل على فرصة فيستغلها أفضل استغلال بقوله: "رمى عصفورين بحجر" ⁸ .

¹ - الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج1، 365.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1033، عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص202.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص135.

⁴ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص76.

⁵ - عودة، هشام: الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ص210.

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1042.

⁷ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص137.

⁸ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص181.

ولقد شبه المثل صورة المنتظر واللامبالي بصورة جدّ جميلة حين قال: "العصفور بتفلى والصياد بتفلى"¹ فشتان بين شخص يعاني وآخر لا يهتم إلا بمصالحه الشخصية عندها سيكون حالهما كالصياد التي يتحرق شوقاً لفريسته والعصفور الفرح السعيد الذي يتنقل بين الأغصان، ولقد حق للصياد أن ينتظر ويُطيل الانتظار للوصول إلى هدفه، وذلك لأن هذا العصفور غنيمة ولحمه ثمين بالرغم من صغر حجمه فقال المثل في ذلك: "لحم العصافير مش بالقناطير"² "لحم العصفور مش بالقبان"³ "أعز من لبن العصافير"⁴ وهذا الأخير يُقال للشيء المستحيل فليس للعصفور لبن حتى يكون عزيزاً .

– القطا (الشنار)

تمتاز فلسطين بكثرة طيور القطا فيها أو كما يُقال شعبياً (الشنانير) ويمتاز هذا الطائر بصبر كبير وسرعة فائقة فهو رشيق جدّاً وهو هادي الطبع صعب المنال لسرعته فلا يستطيع صيده كما تذكر الأمثال الشعبية إلا الصياد المخضرم فيُقال: "ما بيصيد القيق إلا الصياد العتيق"⁵ فسرعة هذا الطائر وشدة حذره أصبح من أكبر تحديات الصيادين، ومن يصطاده سيُشهد له بالمهارة والصبر .

ويُقال لمن يلزم الحذر ولا يتخلّى عنه إلا أن القدر سينفذ مع كل ذلك الحذر والحيطة حال أولئك بحال الشنار الحذر الذي كُتب له أن يقع في شرك الصياد فقال المثل: "الشنار الحذر بيحبه طلقه بين عينه"⁶ .

وكذلك فرخ الشنار فإنه يولد، ويمتلك حساً أمنياً عجباً فما أن يشعر بالخطر والتهديد حتى يختبئ حتى في أصغر الأماكن وأضيقتها فلا أحد يتوقع تواجده فيها فوصفه المثل قائلاً: "زي فرخ الشنار بتخبى تحت صرارة"⁷ ولصعوبة صيد هذا الطائر أخذ الصيادون يضعون له نوعاً

¹ -المرجع السابق، ص 194 (بتغلى: هي حركة مستمرة، بتغلى: يتحرق شوقاً، ينتظر طويلاً)

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1045 (القناطير: جمع قنطار وهو الشيء الكثير).

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص191 (القبان: أي الميزان).

⁴ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص26.

⁵ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص198 (القيق: صوت الشنار أو القطا).

⁶ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص27.

⁷ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص199 (صرارة: الحجر الصغير) .

من الطعام يأكله فيشعر بالثقل والدوخة، ولقد اقتنص المثل الشعبي منظر هذا الطائر في تلك الحالة بحال من تسوء به الأحوال ويصبح غير قادر على التفكير السليم فيقال: "زي الشنار الداخ" ¹.

ومن جوانب حذر هذا الطائر أنه هادئ في طبعه وأصله فيقال في الأمثال "أهدى من قطا" ² فهو عند شربه للماء يشرب بهدوء وأناه فلا يصدر ضجة كبيرة كما أنه يدل سربه على أماكن الماء والطعام فيكون كالمُرشد الهادي إلى ذلك.

وفي وقت اعتدال الجو وبداية موسم الربيع الذي هو موسم تولد هذا الطائر هو موسم بذر الحبوب حيث يتقاسمها هذا الطائر والفلاح وهذا لا يُبشر بخير للفلاح فيقول المثل: "سنة القطا بيع الغطا" ³.

– الإوز والبط:

البط والإوز من الطيور الأليفة التي عاشت في البيت الفلسطيني إلا أنها قليلة غير محبوبة كما الدجاج، وتمتاز هذه الطيور بحنوها على صغارها وانها من الطيور المنظمة حيث إنها لا تجد حرجاً في أكل القمامة، لذلك ربط الفلسطيني بين نوعية أكلها وطعم لحمها فقال إن لحمها (زنج) لكثرة دهنه وإن كان بعضهم يفضلها مع اللبن فيقال: "وز ولبن عافية ع البدن" ⁴.

وكل كوالدية إن أحسن تربيته سيكون انعكاساً لتلك التربية وإن أساء فلها فقال المثل: "ابن الوز عوام" ⁵ وكذلك قالوا: "فرخ البط عوام" ⁶ وهذا ليس غريباً فالآباء محترفون في السباحة وكذلك الأبناء على منوال آبائهم .

¹ – المرجع السابق، ص 200.

² – عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 1049.

³ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 135.

⁴ – عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص 1051.

⁵ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 51.

⁶ – زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص 337.

وكان الفلاح الفلسطيني يتהלل وجهه فرحاً بقدوم الإوز المهاجر لاعتقاده أنه يحمل معه الخير والمطر فقال المثل: "اجانا وز العراق ابشروا بالخصاب" ¹ ولقد دخل الإوز المجالس فأصبح أداء للفت انتباه السامع بقول المثل: "يا وز العراقيين طاطي تا قولك" ².

– الزرزور

الفلسطيني لصيق بأرضه ووطنه ولدية قاعدة ذهبية مفادها (كما تعطي الأرض تعطيك) أي كما تهتم بالأرض فإنها تجود عليك بخيراتها لذلك اهتم الفلسطيني بحراثة الأرض وغيرها من الأعمال وهذه الممارسات الزراعية ضمنها أمثاله الشعبية فقال "سنة الزرزور احرت في البور" ³ فعند قدوم طائر الزرزور يتفاءل الفلاح أن الأرض أصبحت جاهزة للحراثة ويأتي هذا الطائر من أوائل أيلول إلى تشرين الأول وإن تفاءل الفلسطيني بهذا الطائر إلا أنه ذمه في عدم حفظه لوعوده حين قال "عصفور كف زرزور والإثنين طيارين" ⁴ فلا كلمة ولا ذمة لهما.

– البلب

طائر صداح ذو صوت شجي عذب، وشكل جميل مفعم بالألوان، وقد جسّد الفلسطيني وكل حرّ على مرّ الأزمان فهو لا يطيق قيئاً، ويرفض الذلّ والهوان والاستسلام فقال فيه المثل مجسداً إياه أبناء شعبنا الأحرار: "حط البلب في قفص بيصيح، وبيقول: يا وطني بحبك" ⁵.

– اللقلق

لعبت الطيور دور متكهن بالطقس، عالم بتقلباته وتغيراته، وكأنها صُممت وفيها رادار جوي يُخبر الآخرين بما سيكون من تغيرات جوية، وإن كانت كل الطيور تحتوي ذلك الحسّ المرفه للطقس إلا أن بعضها يفوق الآخر، فهذا طائر (اللقلق أبو سعد) كما هو معروف شعبياً والذي لا تعرف

¹ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص52.

² – حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص193 (العراقيين: عراق الشمال والجنوب (السوداء) ، طاطي: طاطيء أي اتبه).

³ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص135(البور: الأرض قبل الحراثة حيث تكون صلبة وفيها أعشاب ضارة) .

⁴ – أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص137(كفل: تعهد) .

⁵ – عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1031.

له في الأمثال ذكر إلا في متعلقات الطقس حين قال: "إذا حفل أبو سعد بطل الرعد" ¹ وهذا نذير بانتهاء فصل الشتاء وبداية فصل الصيف عندها يُغادر البلاد عائداً إلى وطنه.

– النعامة

لم يُربّ الفلاح الفلسطيني ولم يتعامل مع طائر كبير بحجم النعامة؛ ولكن ذكرها في أمثاله ولعل هذه المعرفة تسربت إليه من خلال مخالطته بمن حوله من التجار والبحارة فنراه يصف من يحاول ستر أمر معروف للجميع بفعل النعامة عند خوفها فيقال أنها تخفي رأسها في التراب ويظل جسدها الكبير يفضح وجودها فيقال: "مثل النعامة بتخبي رأسها وتكشف قفاها" ².

– القبرة

القبرة هي طائر جميل تشتهر بغنائها وهي محلقة في الجو وهي بنية اللون ولقد سخر الفلسطيني من هذا المخلوق المغني حيث يتواجد عند الحيوانات المصابة؛ ليتغذى على جروحها لذلك استخدمه المثل وجعله مضرباً لكل جميل سيء الخلق أو يتواجد في أماكن غير مرغوب فيها فقال المثل: "ما بتلاقي الكبرة إلا عند الحمير المدبرة" ³.

– الطاووس

الطاوس مخلوق جميل مشهور بألوانه الزاهية ومشيته التي يملؤها الزهو والغرور فهذا الطائر مشهور بغروره بشكله وتناسقه وريشه المزدان ولديه قدرة على رفع أنظار الشعوب، فكثيراً ما نسجت عليه القصص، فكان صورة للرجل المتكبر المتبخر ولكنه خاوي الوفاض من الداخل فقال المثل الشعبي: "زي الطاووس نافخ حاله" ⁴ ويقال: "نافش ريشه مثل الطاووس".

– الهدد

لقد حظي الهدد بكثير من الحبة والترحيب في الأوساط الفلسطينية فهو رمز للبرّ والوفاء، ولقد دارت حوله الكثير من القصص فيقال: إن الهددة ماتت في السفينة وقت الطوفان قبل أن تظهر الأرض فحملها الهدد وطاف بها ليصيب لها مكاناً فلم يجد طيناً ولا تراباً فرحمه ربه

¹ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص55(جفل: عاد إلى وطنه) .

² – عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1050(بتخبي: تخفي، قفاها: مؤخرتها) .

³ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص195(الكبرة: القبرة، المدبرة: المصابة) .

⁴ – حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص193.

فحفر لها في قفاه قبرًا فدفنها فيه وهذا سبب نتوء أافية الهداهد¹ وهذا ما يعتقده الفلسطيني كما ويعتقد أن القنزعة التي في رأسه جزاءً من الله له لوفائه بأمه .

ولقد كان الهدهد رسول سليمان- عليه السلام- إلى سبأ وكان يعتقد أن للهدهد حاسة خفية يرى بها ما تحت الأرض، لذلك فهو لا يضرب بمنقاره من غير هدى، وإنما يعتقدون أنه عالم بما خفي عنا ودليل ذلك أنه كان يهدي سليمان- عليه السلام- إلى مواضع المياه الجوفية .

ولم تبخل عليه الأمثال الشعبية بل كرمته بأن حفظت قصته مع أمه على شكل مثل اختزال القصة، وحفظها إلى الآن فيقول المثل : "زي صنية الهدهد"² وهذا المثل يُقال مكافأة لكل معروف.

³ - العنتيل، فوزي: الفلولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1987، ص116.

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص168.

المبحث الثاني: صورة الطيور الجارحة في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

هو كل طير اعتمد في غذائه على الحيوانات الأصغر منه وتمتاز هذه الطيور عادة بقدرات وميزات، فهي تمتلك بصراً حاداً وأجنحة انسيابية قوية تساعد في التحليق بسرعة وخفة، وهي مجهزة بعدة حربية تساعد في صيد فرائسها من مناقير حادة ومخالب قوية صلبة بالإضافة إلى أحجامها الكبيرة لتمكنها من حمل فريستها، وتتعد أنواع الطيور الجارحة، ولها أهميتها في فلسطين، حيث إنها تبذل جهداً كبيراً في خدمة المزارع فيخلصه من الثدييات والآفات الضارة بالمزروعات، كما أنها تقوم بخدمة البيئة حيث تخلصها من (الجيف)، ومن تلك الطيور:

أولاً: الغراب

لقد حظي الغراب باهتمام كبير في التراث الشعبي، إذ لا يكاد تراث أمة من الأمم يخلو من الإشارة إليه، وتجمع هذه الإشارات أن الغراب طائر مشؤوم وينذر بالموت والدمار، ودليل على التناهي والتجافي ولقد ذكرته الأمم القديمة بكثير من الاستفاضة، فكان رمزاً للتشاؤم والغراب طائر أسود سمي بذلك لسواده وهو جنس طير من الجواثم يطلق على أنواع كثيرة، ويجمع أغربة وأغرب وغربان وغُرب وغرابين، وجمعها ابن مالك في قوله بالغرب جمع غراباً ثم أغربة وأغرب وغرابين وغربان¹.

والعرب كغيرهم من الشعوب تتشاءم بالغراب، لذا اشتقوا من اسمه الغُربة والاغتراب وفي الأمثال الشعبية الفلسطينية اقتران اسمه بالبين والفرق فقالوا عنه: "مثل غراب البين"² وقالوا أيضاً: "مثل الغراب ما بينق إلا للخراب"³ "اللي بيلحق الغراب بدله على الخراب"⁴ فهذا الطائر السوداوي لا يدل على خير، ومن تبعه سيكون من الهالكين ولقد لعب الغراب دور المعلم في قصة قابيل وهابيل،

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج1، مادة غرب.

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص187.

³ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1047.

⁴ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص76(هناك أمثال كثيرة مشابهة للمعنى مختلفة في اللفظ)

ثم أضحي رمزاً للقتل ونذير شؤم فقالوا فيه: "يا غراب البين ويش جابك عليه" ¹ ولمن يُسارع في نقل الأخبار السيئة يقال: "زي الغرابان دايماً تنعق" ² .

ولم يكن الأذى من الأمور مستحيلة الحدوث مع الغراب، فلقلة الفائدة منه، أصبح الأذى والشر أصل فيه وهذا ما عبّر عنه المثل الشعبي حيث قال فيه: "قالوا للغراب: ليش بتسرق الصابون؟ قال: الأذى فيّ طبع" ³ ولشدة أذى الغراب أصبح رمزاً للشرّ والسرقة، فهو لا يتمنع من سرقة الأشياء الصغيرة كالصابون أو الكبيرة كالذهب والمجوهرات، فهو يحب الأشياء اللماعة فيُحكي أن زوجاً اشترى لزوجته عقداً ففرحت به وعندما خلعت له لتستحم سرقة الغراب وطار فأصبح مثلاً إلى اليوم عن سرقة الغراب ومجافاة الحظ لبعضهم فأصبح يُقال: "يا فرحة ما تمت أخذها الغراب وطار" ⁴ .

وفي قصة الطوفان كان للغراب دور كريم جليل حين اختاره سيدنا نوح -عليه السلام- لينتقد إن توقف الطوفان وانحسر الماء، ولكن الغراب خيب ظن نبي الله وأثر أن تتعكس سوداوية ريشه على أفعاله فقد ذهب ولم يعد، وبعد هذه الحادثة ازادت قتامة صورة الغراب في الفكر والذهن فأصبح يُضرب به المثل لكل متقاعص متوانٍ، فقال فيه المثل الشعبي الفلسطيني: "مثل غراب نوح راح وما رجع" ⁵ وقال كذلك: "أبطأ من غراب نوح" ⁶ "مثل الغراب ودّى وما جاب" ⁷ أما من يُسوّف ويؤجل أعماله حتى ينقضي وقتها يُقال له: "حتى يشيب الغراب" ⁸ .

وقالت العرب في مشية الغراب: "أزهى من غُراب" ⁹ لأنه كان يختال في مشيته والغريب أنه كان يمشي مشية فيما مضى فحسد القطاة على مشيتها ورام يمشي مثلها فأصابه ضرب من العقال فأضل مشيته وأخطأ مشيتها فلذلك سموه (أبا المرقال) .

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص166 (ويش: ماذا، جابك: أحضرك)

² - المرجع السابق، ص179.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص173.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1047.

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها

⁶ - المبييض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص159.

⁷ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁸ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1047.

⁹ - العسكري، أبو هلال: جمهرة الأمثال، ج1، ص356.

لذلك اتخذ المثل الشعبي مطية للسخرية من كل مقلد ينكر أصله ويحسد غيره على ما عنده فقال فيهم: "زي الغراب اللي غيّر مشيته"¹ وقال أيضاً في قصة حسده للقطاة: "زي الغراب ما تعلمش مشية الحجل ونسي مشيته"².

وكان الغراب مضرب الأمثال في القبح فسخروا من لونه الأسود بقولهم: "زي جناح الغراب"³ فكان مقياساً لقياس السواد والقبح كما سخروا من شكله فقالوا: "مثل الغراب في الجراب"⁴ وهذه الصورة الهزلية تُضرب لسوء المنظر فوضع الغراب في الجراب الذي يوضع فيه الخبز لا يفيد في شيء سوى سوء منظر الغراب.

ولن تتغير صورة الغراب في الآداب وفي الأمثال الشعبية وستظل صورته قاتمة سوداوية وسيظل ينذر بالموت والشؤم فقالت العرب: "أشأم من غراب" وبذلك احتل الصدرة في الشؤم وسوء الطالع.

ثانياً: البوم

يسير البوم جنباً إلى جنب مع الغراب في نظرة الناس له، فكثير من الأمم القديمة نظرت له نظرة تشاؤم وتطيرت وتخوفت من منظره، وتوجست الخوف عند رؤيته فسارعت إلى زجره وحاولت القضاء عليه وهو كذلك في الأوساط الشعبية الفلسطينية، طائر سيء السمعة، يتشاءمون منه، لعل ذلك مرده لأنه يتخذ من الخرائب والأماكن المهجورة مأوى له، فقال فيه المثل الشعبي: "إلحق البوم بيدك على الخراب"⁵ وكذلك قال: "إلحق البوم بيوصلك للرجوم"⁶ لأن هذه الأماكن هي مأواه وملجأ البوم الطبيعي لذلك توجس الناس فيها الشرّ.

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص128.

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ - زيادته، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص221.

⁴ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص96 (الجراب: ميس من جلد الماعز كان يوضع فيه الخير).

⁵ - المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص26 وينظر: حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص198.

⁶ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص107 (الرجوم: جمع رجم وهو الكومة الكبيرة من الحجارة).

ومجرد رؤية البومة فهذا يبعث في النفس التشاؤم، وكل من يُسارع لنقل خبر سيء نعتة المثل الشعبي بقوله: "زي البومة"¹ أي أنه يتعجل في نقل الأخبار السيئة ويُشع في النفس الحزن والأسى.

فقال فيه المثل الشعبي: "مثل اليوم ما بزق إلا في الخراب"² فهذه البومة ما هي إلا نذير شؤم، لذلك فهذه البومة لا خير فيها وإلا لماذا يتركها الصياد إن كان فيها خير فقال المثل: "لو كان في البومة خير ما تركها الصياد"³ إضافة للشؤم الذي تحمله البومة كذلك فإن لها رائحة منتنة حتى الطيور الجارحة تتفر من رائحتها كالصقور فإنها تقتلها وتلقيها تعف عنها والظريف أن هذا الطائر المشؤوم يرى نفسه فوق كل الطيور ولا يعجبه إلا أبناء جنسه وبالأخص ابنه فقال المثل: "البومه ما بعجبها من الطيور غير ابنها"⁴

ومهما كان من أمر البومة ستظل تحمل خطيئة طبيعة حياتها في الخرائب وشكلها الغريب ورائحتها المنتنة ونعيقها الصاخب لتظل المعتقدات القديمة هي المحرك الرئيس الذي يشكل النظرة الشعبية لهذا الطائر.

بإصرار جازم تبقى البومة في نظر عامة الناس وخاصتهم قبيحة وتدعو للتشاؤم، على الرغم من أنها كانت ذات يوم تضرب على العديد من النقود الفلسطينية في الفترات الفينيقية ثم اليونانية، فقال المثل الشعبي ساخرًا منها: "قالوا للبومة: ليش راسك كبير؟ قالت: شيخة، قالوا إلها: ليش ذنبك قصير؟ قالت: فريخة، قالوا إلها: من راسك لديك ما صدقت"⁵

ثالثًا: الصقر، والنسر.

وكان للمثل الشعبي حضوره في وصف هذه الطائفة من الطيور والحديث عنها فعند الحديث عن حاجة عف عنها أصحابها ولا يحتاجها الآخرون بقولهم: "لو فيها الخير ما رماها الطير"⁶ والمقصود بالطير هنا هو الصقر أو البازي حيث يصطاد مختلف الفرائس فيأكلها إلا البومة كريحة الرائحة بقتلها ويرميها أرضًا وبذلك شبه المثل ذلك الشيء غير المرغوب فيه بالبومة النتنه التي يلقيها الصقر.

¹ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص218.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص103(بزق: ينق وتغني ينادي) .

³ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص326.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1030.

⁵ - المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص159.

⁶ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص165.

ويتصف الصقر بشجاعته وتصميمه للحصول على الفرائس صعبة المنال فهو لا يستسلم وإنما يظل يُطارِد فريسته بجِدٍّ ومثابرة حتى يحصل عليه لذلك قال المثل في كل مجتهد صبور: "الصقر ما بتضيع صيدته"¹ ويوصف كل شجاع من الناس بالصقر فيقال: "خَرَّ زِي الصقر"² ويوصف الصقر بالطير الحر فلسطينيًا، وله هيبته وسطوته ويوصف به الرجل الكريم الشهم فمن لا يعرف الكريم سيخطئ بحقه كالجاهل بالصقر فقال المثل: "اللي بعرفش الصقر بشويه"³

وفي الأوساط الشعبية كان للصقر مكانًا خصبًا في الذهنية الفلسطينية فنسجت القصص عنه في جلسات السمر في المجالس، فيضربون الأمثال لصقر (أم خالد) التي كانت تحتطب فوجدت عُشَّ صقر فأخذت منه بيضة ووضعتها مع دجاجاتها لتفقس وتحمي دجاجاتها من الصقور والضواري الأخرى، ولكن عندما اشتدَّ عود الصقر أخذ يأكل دجاجاتها، فأصبحت مثلاً لكل من يحاول تغيير ما فُطر عليه الإنسان فهذا الصقر مصمم للافتراس ومجهز لذلك، وكذلك يضرب في عدم ائتمان الصياد على الفريسه وإن ربي معها فذات يوم ستناديه جوارحه وفطرته ويأكلها فأصبح يقال: "زي صقر أم خالد"⁴.

وفي قصة أخرى أصبحت أيضًا مثلاً يقال أن (ابن قماص) رجل يربي الصقور، أما زوجته فتربي الدجاج وعندما كبر الصقر فتك بدجاجات الزوجة فأصبحت مثلاً يقال: "زي صقر ابن قماص اللي ما يبسطي غير على دجاج أهله"⁵.

أما النسر فقد ورد ذكره كثيرًا في المعتقدات القديمة كبقية الجوارح وهو كغيره من الطيور الجارحة في المعتقد الفلسطيني وكذلك في أمثالها الشعبية حيث ورد ذكرها بصورة أقل من الصقر إلا أنه يتصف بالشموخ والشجاعة أيضًا ونلمح مظاهر الكبر والغرور من خلال أوصافه في الأمثال الشعبية حيث إنه يُقال: "إن عاش عيشه النورة لا بد له من هالجرة"⁶ أي من عاش في رفاهية وكبر لا بد له أن يسقط.

¹ - المرجع السابق، ص 198.

² - المرجع السابق، ص 165 (خَرَّ: هبط، نزل بسرعة فائقة).

³ - زيادته، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص 337 (يعرفش: لا يعلم، جهل).

⁴ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 115.

⁵ - زيادته، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص 229 (يبسطي: يُغير، يسره).

⁶ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 80 (الجورة: الحفرة).

المبحث الثاني: القوارض

الفأر (الجرذ)

القوارض وصف يطلق على كل حيوان ينتمي إلى رتبة القواضم كالجرذان وغيرها¹ والفأر هو حيوان صغير غير مرغوب فيه في المساكن والبيوت، وحولها، لأنه يُعيث في الأرض الفساد والخراب ويحدث الفوضى، بالإضافة إلى صورته المنفرة شعبياً.

لقد راج في الأوساط الشعبية الفلسطينية أنّ هذا الحيوان نجس، فإذا شرب من إناء قيس حكمه بالكلب الشارب من إناء، أي يجب غسله سبع مرات، آخرها بالتراب² وهم يعتقدون أن أصل نجاسته نابع مما حدث في سالف الأزمان أيام الطوفان فعندما حمل نوح -عليه السلام- الخنزير عطس فولد الفأر، الذي أخذ يعبث بالسفينة حتى حاول ثقبها، فعطس السبع ليظهر القط ويطارد الفأر ليتخلص منه وهذا سبب العداوة التاريخية المتجذرة بين القط والفأر³

ولم تكن الأمثال الشعبية بعيدة عن وصف هذا الحيوان والسخرية منه، ومن كل من يتصف بصفاته الوضيعة ففي باب النجاسة قالوا إن أنجس جزء في الفأر وأبخسه هو ذيله وقد ساير المثل المعتقد وحفظه حين قال: "أنجس من ذنب الفأر"⁴ وقد واكبت الأمثال تلك العداوة الأزلية بين القط والفأر وسجلتها في حوار دار بينهما يشرح العلاقة ويوضحها "وقعت الفأرة على البس: قالت لها: الله، قالت: ابعدي عني وأنا بألف خير"⁵ "قالوا للفأر: خذك رطلين سكر ووصل الجواب للهر، قال: الأجرة طيبة ولكن مشقة"⁶ الفأر يرفض كل محاولات الاقتراب من القط حتى مع الاغراءات - رطلين سكر - لأن نهاية أي علاقة بينهما ستكون بموت الفأر والقضاء عليه لذا فهو دائم الهرب من القط. وهو في حاله من الحذر والتأهب الدائم لأي هجوم محتمل من القط فيسارع بالفرار ولأن الفأر في هذه الحالة تساوره شكوك دائمة لأي خطر محتمل فأصبح يرتاب من أصغر الحركات وأقلها فقال

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج1، مادة (قَرَضَ).

² - ينظر: سرحان، نمر: موسوعة الفولكلور الفلسطيني، ج5، ص49.

³ - ينظر: المرجع السابق، 43.

⁴ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص47.

⁵ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص221 (البس: القط).

⁶ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص949 (للهر: القط، مشقة: صعوبة).

المثل في ذلك " لعب الفار في عبه" ¹ وفي هذه المطاردات حامية الوطيس سيكون مصير الفأرة الموت إن نسيت مكان بيتها ولم تجد ملجأ لها من القط الذي بدوره لن يتوانى عن إظهار أقصى قدراته ومهاراته لاصطيادها والتخلص منها فقال المثل: "تموت الفارة اللي ما بتعرف حجرها" ² وإذا ما حدثت معجزة وانفق الفأر والقط عندها سيصبح هناك دمار كبير فقال المثل في دائمي الاختلاف وفجأة يتفقان: "اتفق البس والفار ع خراب الديار" ³.

ويمتاز الفأر بصغر حجمه وهذا الصغر لم يكن فقط في الحجم ولكن أيضاً يأتي على شكل احتقار له والتقليل من قيمته، وهذا حال كل انسان يحاول أن يتصف بصفات الفأر فقال المثل واصفاً حجمه بمقارنه بفعله: "القدّ قد الفارة والحسّ معبي الحارة" ⁴ فهذا الفأر صغير الحجم فيه من الإزعاج ما يكفي لاحتقاره وكرهه وعند السخرية من أمر عظيم ينتج شيء صغير لا يجدون أصغر من الفأر لأنه موضع احتقار وسخرية فقالوا فيه: "تمخض الجبل فولد فار" ⁵ فهذا الجبل العظيم أنتج شيئاً صغيراً .

ولقد وصف المثل الناس الساعين في الأرض فساداً عن طريق النميمة والغيبة ووصف ذي الوجهين بأخس الأوصاف وأحقرها حين اعتبرهم كالفئران التي تعيث في الأرض فساداً بقوله: "شو خلفت الفارة مثل امها حفارة" ⁶ وبعبارة أخرى قالوا: "ابن الفار حفار" ⁷ .

وهذا القارض الصغير أصبح صورة للسخرية من كل من لا يُقدر مسؤولياته ولا يحترم التزاماته، ويفسد أحواله كلها، فقال فيهم المثل ساخراً: "زي فيران الخمارة عُمي وسكاري" ⁸ فهم في هذه الحالة لن يقوموا بالأعمال على أكمل وجه .

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص191(عبه: داخل ملابسه من منطقة الصدر) .

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص91.

³ - زيادة، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص13.

⁴ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص99(القدّ: الحجم، الحسّ: الصوت، معبي: يملأ) .

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص949(تمخض: المخاض: هي زفرت الولادة والأمها).

⁶ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص124 وينظر: عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص191 (حفارة: نمامة) .

⁷ - زيادة، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص500.

⁸ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص178.

ولقد كان الفأر وسيلة الأمثال الشعبية لوصف كل طمّاع نحيل لا يقنع بما لديه فهو عندها كالفأر الذي يأكل بنهم ولا يشبع فلا يكتفي بقضم شيء واحد بل يتتقل يقضم هذا وذلك، وقد أراد المثل نقد البدوي الذي أشركه في هذه الصفة مع الفأر فكلاهما لوح لجوج في طلب المزيد فقال المثل: "البدوي والفارلا تفرجيههم باب الدار"¹ ولوصف شدة البخل بصورة هزلية ساخرة قال المثل: "بغوت الفار ع بيتهم بطلع ناقص فخده"² حتى الشيء ضئيل الحجم سيتناقص حجمه إذا كان هناك فأر أو بدوي. أما الجرذ: فنوع من الفئران ولكنه أشرس وأكبر حجمًا ويعيش في الأماكن الممتنة القذرة ولأن هذه صفاته سخر منه المثل الشعبي حين قال: "جرادين وبتقابل في سلاطين"³ فهذا الصلعوك القذرجاء معه الحظ وقابل السلطان فهذا المثل يضرب في كل من ابتسم له الحظ حتى لو كان ليس أهلاً لهذه المنحة، ومع ذلك تظل صورة الفأر والجرذ قائمة تتجلى فيها معاني الدونية والوضاعة والقذارة، ولم تفتأ الأمثال تجلدها بسياط السخرية الصاخبة وتضرب كل متصف بهذه الصفات.

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص90(تفرجيههم: تدلهم) .

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص949.

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص105.

المبحث الثالث: الحشرات

طائفة من الحيوانات اللافقارية، وهي من أكثر المجموعات تنوعاً، تتواجد في جميع البيئات تقريباً، وخاصة تلك البيئة الشجرية المحيطة بها، وتلك التي فيها ماء متحرك أو راكد وإن كان الأخير أفضل لها؛ لذا فهي تكثر في الريف أكثر من المدن كما أنها تتواجد في الأماكن القذرة ، ولا تتوانى تلك المخلوقات عن استباحة حرمت البيوت والتسلل إليها كضيف ثقيل الظل يرهق العائلة.

أولاً : الحشرات الطائرة:

– الذباب

من بين أكثر تلك الحشرات شيوعاً وانتشاراً خاصة أوقات الصيف هو الذباب هذه الحشرة الطائرة المزعجة بطنينها المقرفة بشكلها، تتواجد هذه الحشرة كثيراً في فلسطين وتنشط في فصل الصيف خاصة في الأرياف فنجدها تدور حول المزروعات وحول الحيوانات .

وتقتحم البيوت لتزعج ساكنيها، وتحمل هذه الذبابة الجراثيم والأمراض فهي تحط على كل قدر وأكثر الأمثال الشعبية من تصويرها والحديث عنها، ومن الطبيعي أن لا ترسم الأمثال صورة الذباب بألوان زاهية وإنما اكتفت باللون الأسود لرسم تلك اللوحة، لون الذبابة نفسها، هذا اللون القاتم انعكس على صورتها فلم تذكر الأمثال الذباب بحسن فكانت الأمثال التي تعبر عنا سيئة السمعة وكذلك من وصفته الأمثال بصفات الذباب لا بدّ من أن يكون سيئاً مثلها.

والغريب العجيب أن هناك أمماً قديمة اعتقدت بعبادة الذباب فعبدوه كما عبدوا الإله (بعل زبوب) بمعنى (إله الذباب)¹ ومع ذلك لم تحظ الذبابة بأي شكل من أشكال الاحترام أو التقدير في الأمثال الفلسطينية، وهي حشرة مكروهة ولكنهم أيضاً لا يعدونها نجسه فلم تدخل ضمن نجساتهم في معتقداتهم فقالوا في ذلك: "الذبابة مش نجسه لكنها بتغلث على المعدة"² بمعنى أن بعض الأمور التافهة قد تنعش رغد العيش وسيره.

¹ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص56.

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص24 (بتغلث: تغلب، تغرف).

وكذلك قال المثل: "الذبابه ما بتخنى لكن بتفرط" ¹ فهذه الذبابه بإلحاحها وطنينها المزعج كالذي يكرر كلامه وطلباته بإلحاح مفرط فيزعج من حوله، وكانت الذبابه عمل من لا عمل له، فإن سألت من لا يعمل عن نوع عمله عندها سيقول لك: "قاعد بكش ذبان" ² ومن لم تسأله عن نوع عمله ولم تزعجه، ولكن الضيق أنهك كاهله عندها سيكون حاله كقول المثل: "بقاتل في ذباب وجهه" أو "بشابط في ذباب وجهه" ³ .

ومن الأمور المزعجة التي تثير الأعصاب هو صوت طنين الذباب الذي لا ينفك يصدر ذاك الصوت وكأنه يحكي حكاية لا تنتهي ولا تتقطع وكذلك حال الثرثار يظل يردد كلامه مرات ومرات دون تعب، فينفر الناس منه، ويأتي المثل الشعبي ليجلده أمام سامعية بقوله: "زي خرافة الذبابه رد في ترديد" ⁴ . وتظل صورة التافه متعلقة بصورة الذباب، ولكن الجامع بينهما قلة القيمة والتقدير، والإزعاج الناتج عندها فقالت فيهما الأمثال واصفة التافه: "مثل الذباب ما بيهدي إلا على الوسخ" ⁵ وفي مثل آخر سخر المثل وكنى عن ذلك التافه الذي يضع نظره على شيء جميل بقوله: "مثل الذبان ما بيهدي إلا على الحلو" ⁶ فهذه الأشياء الجميلة لا بد لها من عيون تقدرها فتحفظ جمالها ولا يجب أن تكون مستباحة لكل تافه .

كما شبهت الأمثال ذلك التافه الذي لا قيمة له فلا يُغير ولا يتغير للأفضل ودائماً يقع في المصائب بالذباب الذي يقع في المصائد فلا يبتعد عنها حتى لو رآها فيقال: "إنت مثل حبل الذبان لا بتميل ولا بتعدل" ⁷ وهذا التافه الذي لا برأ ولا شفاء له إن أراد أن يُبدي رأيه في إحدى المجالس فإنه يُزجر ويُنهر بقولهم: "ما ظل وتبقى إلا الذبان المفقى" ⁸ .

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص121(بتفرط: تزعج وترهق، ويضيق صدري).

² - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص156(بكش: يصرف).

³ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص107 (بشابط: يقاتل) .

⁴ - المرجع السابق، ص224.

⁵ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص187 (بيهدي: يحط، الوسخ: القذر) .

⁶ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص72.

⁷ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص121(حبل الذبان: شريط لاصق يلتصق به الذبان فيموت) .

⁸ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص196(النفقس: الميت والتافه) .

ولتوطيد العلاقات بين الناس لا بد من رابط مقدس وهو الزواج لترسيخ تلك العلاقات وهنا كلّ يبحث عن شاكلته ليرتبط به، وكذلك الذباب يألف كل من هو على شاكلته وعلى منواله، فقال المثل في وصف نسب بين عائلتين حقيرتين: "دار الذبان بتدور على دار اللبان"¹ وقالوا أيضاً: "الذبان بيعرف ذقن اللبان"² فكما أن الذباب يعرف البيت الذي يُصنع فيه اللبن ويأتي على رائحة مائه (ميص اللبن)³ كذلك حال التافه يبحث عمّن يشاركه صفاته.

ومن أشهر أنواع الذباب، الأزرق الذي يعكس هذا اللون والذي أصبح الحديث عنه لمن غاب ولم يعد أو لمن أراد أن يُخفي شيئاً لا يعلمه أحد فيقال: "لأخلي الذبان الأزرق ما يشوفه"⁴ وكذلك يقال: "لولا سلامتك سبق كلامك لأخلي الذبان الأزرق يسمع تقريط عظامك"⁵ وكأن لهذا النوع من الذباب مِيزه خاصة في اقتفاء الأثر أو الوصول إلى الأماكن المستحيلة لذا يُضرب به المثل عن تهديد أحدهم بأن هذا الذباب الذي يمتاز بقدرات كثيرة سيعجز عن الوصول إلى الشيء المخبأ.

ولشدة كره الفلسطينيين للذباب أطلق على أول مطرة تسقط مع بداية الخريف اسم (مطر الذبابة) كناية عن شدة انتشار الذباب بعد هذه المطرة فقبل المطر يقول الفلاح الفلسطيني بإعداد المحصولات الصيفية استعداداً لتخزينها فيضع الفاكهة تحت الشجر لتجف وتصبح فاكهة مجففة صالحة للتخزين تأتي هذه المطرة فتبتل الفاكهة فيندفع الذباب بأعداد كبيرة عدد حبات المطر ليتكاثر فوقها فيفسدها⁶. ومن هنا حقّ للفلسطيني كره هذه الحشرة التي لا تجلب إلا المرض والخراب ورغم تباعد الأزمان إلا أن صورة الذبابة مازالت واحدة لن تتغير.

— النحل والدبور

يشكل نحل العسل أحد الكنوز الطبيعية التي حباها الله للإنسان عامة والفلسطيني خاصة، ولقد اعتنى بها الفلسطيني أيما اعتناء، وكان يهدف من تربيتها للوصول إلى الاكتفاء الذاتي،

¹ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص177(اللبان: من يصنع اللبن) .

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص118.

³ - ميص اللين: هو الماء النازل من تخمير الحليب ليصبح لبناً.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1015 (لأخلياالذبان لزرق ما يعرف طريقه) الحاجة أم نضال دويكات .

⁵ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص196(تقريط: صوت احتكاك العظام معاً).

⁶ - ينظر: المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص56.

من ذلك الشراب الحلو المصفى الذي فيه شفاء للناس فهذا الكنز الثمين هو نتاج طيب مبارك لهذه الحشرة (ليمونية اللون) فلولاها لظل رحيق الأزهار مهدورًا لا أحد يصل إلى هذه الثروة دون تلك الحشرة.

وقد نقلت الأمثال الشعبية صورة لهذه الحشرة التي استملحها الفلسطيني وأحبّ نتاجها، ولعله أولًا حبّه واحترامه لأنها ذكرت في القرآن الكريم وذكر عسلها فيه وكأنه دواء فقال المثل: "الشفّا في ثلاثة: آيه من القرآن، لعقه من العسل، جمرة من نار" ¹ وتعرف هذه الحشرة باجتهادها وتقانيها في عملها فكان نصيب كل مجتهد أن شبه بها فقالوا: "مثل النحلة بتنقل من زهر لزهرة" ².

كما شبه الخجول قليل الكلام بالنحلة التي لا تغادر ممتلكاتها إلا إذا رشّ عليها الفلاح الدخان وكأن هذا الكلام بحاجة إلى دخان كي يخرج فقال المثل: "الكلام مثل النحل ما بطلع إلا بالدخان" ³.

بالرغم من صغر حجم النحلة إلا أنها تحمل في نهايتها إبرة دقيقة تستخدمها عند الاعتداء عليها، بالرغم من أنها تعلم أنها ستموت بعد أن تغرس تلك الإبرة في أي معتدٍ عليها، ومع ذلك فهي لا تتأخر في غرسها في المعتدين وذلك لحكمة الله في أرضه فتموت النحلة بعد هجومها كي لا تنتقل الجراثيم الناتجة من الوخز إلى ذلك العسل الذي قال الله فيه أنه شفاء للناس، لذلك نجد أنّ كثيرًا يؤثرون عدم التعرض لقرصتها ولا يريدون مغنمًا منها فقال المثل في ذلك: "بعسلك يا نحلة لا تقرصينا" ⁴.

أما الدبور فهو من أقارب النحل وينقسم إلى دبور أحمر في وقت البرد لا يخرج، أما الأصفر أو ما يطلق عليه محليًا اسم الصمل وهو عدو النحل الأول حيث إنه يدخل الخلية بسهولة ولا يتأثر بالبرد ولا يتوانى عن قتل النحلات وقد شاع انتشار هذا الدبور في فلسطين، وإن كان هذا الدبور من نفس سلالة النحل إلا أنه غير محبوب شعبيًا وكانت صورته في أمثالها باهته اللون، سلبية عموماً .

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص170.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1017.

³ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁴ - زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص98.

ولعل ذلك يعود أن الدبور لا عسل فيه ليجنيه الفلاح فيقال: "فلان مثل الدبور ما فيه عسل" ¹ أي لا خير فيه وكانت سرعة الدبور وتعجله مثلاً يضرب لكل متعجل متسرع فيقال: "فاع زي المدبرة" ² وهذا المتسرع لا يجد إلا لغة الشكوى والكلام الفارغ فقال المثل ساخراً عليه: "مثل الدبور ع القزاز دايماً بطن" ³ فكان تسرعه وتعجله سبب هلاكه بعد أن كانت سلامته في سكوته فقال المثل: "دبور زنّ ع خراب عشه" ⁴ فهذا المتسرع لو ظل صامتاً لحصل على حاجته، ولم يجنِ على نفسه ولحفظ ماء وجهه.

الأخذ بالأسباب والتمسك بسبل النجاة هي من أهم طرق الوصول إلى الهدف المنشود فصحيح أن الأقدار مكتوبة ولكن لا بدّ من الأخذ بالأسباب والابتعاد عن التهلكة ولقد صاغ هذه الكلمات المثل في حكمه أطلقها فقال: "بيدير ظهره للدباير وبيقول تقادير" ⁵.

– البعوض

البعوض من الحشرات الصغيرة المزعجة التي تتغذى أنثاها على دماء الحيوانات والبشر أما الذكر منها فيقتات على رحيق الأزهار، وهذه الحشرة المزعجة صغيرة الحجم استخدمها الله عزّ وجلّ ليحاجج الكفار هل يأتون كخلقه بل هل يقدرّون على أن يستعيدوا ما يسلبهم إياه البعوض وبذلك بهت الكفار أينما كانوا وبهذه الحشرة حاجّ الله العلم الحديث وتحداه، فهو الكتاب الخالد المعجز فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا } ⁶ ولقد وجد العلم الحديث أن هناك حشرة أدقّ من البعوضة تعيش على جناحيها فسبحان الله رب العالمين. أما صورة البعوضة في الأمثال الشعبية فقد كانت صورة هزلية ساخرة لتقليل شأن من يحاول إعلاء شأنه فقال فيهم: "ناموسة نامت على شجرة صبحت تقلها بخاطرك، قالت الشجرة: وانت على أي

¹ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص167.

² – حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص170(فاع: انطلق وانتشر) .

³ – عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1014(لقزاز: الزجاج، دايماً بطن: دائماً يحدث صوتاً) .

⁴ – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁵ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص90(تقادير: أقدار) .

⁶ – سورة البقرة، آية26.

ورقة كنت" ¹ كما سخرت الأمثال الشعبية من ضالة حجم الناموسة التي تتحدى من هو أكبر منها وأقوى منها فقالت: "ناموسة هدت ع جاموسة" ² .

— الخنفساء

تعيش الخنافس في معظم البيئات، وهي أنواع كثيرة، لذا لم يكن من العجيب أن يصادفها الفلاح في حياته بل إنه أحياناً قد يجدها وقد تسلك إلى أكياس القمح والأرز وهذا المخلوق الذي صنفه الفلاح ضمن الآفات الزراعية كان مقدساً في مصر القديمة، وتقاءوا بوجوده في منازلهم ومعابدهم ووجدت منحوتات على هيئتها.

وقد ظلت الخنافس في الأمثال الشعبية محط سخرية الجميع من شكلها ولونها، ولم يكن لها قيمة في يوم من الأيام وكان لونها القاتم محط سخرية واستهزاء، خاصة إذا وقفت في مكان يظهر فرق اللون فقال المثل: "خنفسه شافت ابنها ع الحيط، قالت: يسلم لي بياضك ع سواد الحيط" ³ وبعبارة أخرى: "خنفسه شافت ابنها ع الحيط، قالت: حبة لولو بالحيط" ⁴ .

فبالرغم من سوادها وسخرية الآخرين منها إلا أن أمها تظل وفيه لها، صادقة المشاعر في حبها، وهذا يُذيب كل تلك الفروق بين لونها ولون الحائط فهي لا ترى أمامها إلا عروساً أحببتها فقالت: "الخنفسه عند إمها عروس" ⁵ .

وتبقى الخنافس مضرب المثل في القبح والشناعة، ولكن هذا لا يثنىها أن ترى نفسها فوق الكثير، فأصبحت مثلاً للحقير المعدم اجتماعياً يتكبر على غيره عندها تتكسر مجاديفه بصوت أحدهم يقول: "بتلقى المنافس على الخنافس" ⁶ ومهما رأت الخنافس نفسها فوق الكل إلا أنها تظل حشرة حقيرة قبيحة المنظر، وتخال أنها على حق وما هي إلا خنفساء ومهما حدث لن تقلب الموازين وتتغير نظرة الفلسطيني لها .

¹ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص199 (ناموسة: حشرة صغيرة من جنس البعوض) .

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص180 (هدت: نزلت) .

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص137.

⁴ - المرجع السابق، ص115

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1012

⁶ - أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص75 (المنافس: جمع نفس، وهو الكبير).

– الفراشة:

وفي مقابل الخنفساء القبيحة تأتي الفراشة الرقيقة المزدانة بأبهى الألوان التي تبعث في النفس الراحة والسكينة، وهي تتراقص وتتمايل هنا وهناك، تقفز من زهرة إلى أخرى لتزداد عباقاً من رحيق الزهرات، ولكنها تنجذب إلى النور الذي قد يكون نهاية كل شيء حتى نهايتها، فهي كالعاشق الولهان الهائم في محبوبة يمضي قدماً إليها ولكنه يفنى دون الوصول إليها وكذلك هذه الفراشة التي قال فيها المثل الشعبي: "مثل الفراشة بتحوم حول السراج تاتحترق"¹ وأسفا على فراشه أحبت حتى الثمالة فماتت دون الوصول إلى معشوقها هذه هي نظرة الأمثال الفلسطينية إلى هذه الحشرة الرقيقة التي وهبت حياتها رخيصه لتحقيق المستحيل فكانت النتيجة متوقعه بالفشل .

ثانياً: الحشرات الزاحفة

– النمل .

المجتمع الإنساني يقوم على كثير من المقومات حتى يصل إلى النجاح وتشكيل ما يطلق عليه اسم مجتمع، وكذلك مجتمع النمل تلك الحشرة الصغيرة التي تعيش في مساكن تحت الأرض تلك الحشرة زجاجية التكوين سهلة التحطم كما الزجاج، تعيش في مساكنها بشكل منظم مقسم فهناك الملكة وهناك العلامات والجند والحاضنات كما النحل، هذه الحشرة فهم عليها سيدنا سليمان عليه السلام – ما قالت بعدما علّمه الله ذلك، لذا يعتقد أهل فلسطين أنه لا يجوز إيذاء هذه الحشرة أو تخريب بيوتها؛ لأنها تذكر الله وتسبحه، ولأنها تقترب من المجتمع الإنساني في التشكيل، أخذها الإنسان مثلاً يقال في كثير من الأوقات، وأهم ما يميز هذه الحشرة حبها للعمل وتقانيها فيه، ومواظبتها عليه، وقد مدحت الأمثال كل من يهتم بعمله بقولهم: "زي النملة دايماً مشغولة"² وكذلك كان النبراس الذي يحث الإنسان ويشجعه

¹ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص129.

² – عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1019(دايماً: دائماً)

هذه الحشرة التي تحمل أضعاف وزنها، تعطي الإنسان دفعة للعمل والحث عليه بمثابرة واجتهاد، وإصرار لذلك كانت محط أنظار الأمثال الشعبية للحث على العمل والصبر عليه فقالت: "ابن آدم مثل النملة ضعيف جبار"¹ ولكن الأمر المحزن أنّ اجتهادها وكدّها في سنوات، وأيام ذهب سدى بإسراف أحدهم وتهاونه، فصورت الأمثال شعور ذلك الضعيف المتعب بعدما شاهد ما أتلّفه غيره بسهولة، بقوله: "اللي بتلمه النملة بسنه بياخذه الجمل بخفه"².

القانون أساس حياة النمل وعمادها، فهو الموجه والمهذب لها، وشدة نظام النمل، وانسجام حركاته دفعت المثل الشعبي لوصفه وصفاً دقيقاً، فقال: "سطر نمل لا هيك ولا هيك"³ فلا نجد في ذلك الصف ميل ولا زيح.

وقد شبه المثل كل شيء صغير بالنمل، بل فاق التشبيه روعة وجمالاً عندما أراد التقليل من شأن أحدهم لصغره ووضاعته، بقوله: "زّي الذّر"⁴ وهو صغير النمل. يعرف النمل بصغر حجمه، ونشاطه، كما يُعرف بنهمه وكثرة أكله، فيأكل كل ما يُصادف، وتجذبه الحلويات والساكر، ولقد استغل المثل الشعبي هذه الميزة للسخرية ممن لا يعرف قدر نفسه، فقال المثل يصفه: "ستي سكرة وأكلها النمل"⁵

أما المصاب بضعف الشهية، وكان ضعيف البنية، فوصفت الأمثال أكله "بياكل رجلين نمل"⁶ فبالرغم من صغر النمل إلا أن هذا الضعيف تشبّعه أرجلها فقط. الأمثال في النمل كثيرة أشهرها تلك التي تُضرب في البخل، عندها تظهر براعة الأمثال في الحديث عن البخل المقتر، فتصفه بصور هزلية يمتزج فيها إيجاز اللفظ مع إصابة المعنى المنشود، فتقول: "بحلب النملة"⁷

¹ - المرجع السابق، ص 1018

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 66 (بخفة: بسرعة وسهولة)

³ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 170

⁴ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁵ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص 133

⁶ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص 194 (رجلين: أرجل)

⁷ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص 141.

القناعة كنز لا يفنى قاعدة قالها القدماء بعد كدّ وعناء، فمن لا يرضى بما قسمه الله له، ويتمادى فيما يُعطى له يُهلك نفسه بيديه ويصبح حاله كالنملة التي لم ملّت المشي وآثرت الطيران فسألت الله أن يمنحها جناحين بعدما أصابها الغرور، عندما قال الله تعالى لسليمان الحكيم: اذهب إلى النملة وتامل طرقها وكن حكيماً مثلها، فلما علمت ذلك اغترت بحكمتها فاستجاب الله لها ومنحها جناحين فهلكت وصارت كلما أصاب الغرور إحدى النمل، وهبها الله أجنحة لتطير وتهلك وهذه القصة صاغها المثل الشعبي بقوله: "إذا أراد الله أن يمحى النملة خلق لها جناحين" ¹.

— العنكبوت:

من الحشرات المنتشرة بكثرة في العالم منها صغير الحجم ومنها الكبير، منها السام ومنها غير السام، وتمتاز هذه المخلوقات بأرجلها الكثيرة وعيوبها المتعددة، وهي لا تخشى من نسج بيوتها في البيوت وعلى الزروع، فأنتى شعرت بالأمان حاكت بيتها، ولقد كان لهذه الحشرة دور بارز في حمايته -صلى الله عليه وسلم- وقت الهجرة، فكأن هذه الخيوط الدقيقة كانت الدرع الحامي للدعوة الإسلامية في بذورها الأولى، ومع ذلك جاء وصف بيتها في القرآن الكريم بأنه من أوهن البيوت وأضعفها اجتماعياً حيث العلاقات الأسرية مفككة فبعد التزواج تقوم الأنثى بقتل الذكر، لذلك ربطت الأمثال الشعبية الفلسطينية بين هذا البيت المتداعي وبين تبدل الحال وتغيره، فبعد العزّ يتجرعون مرارة الذلّ والهوان فقال المثل: "بيت العنكبوت كثير على اللي بدّه يموت" ².

ووجدته في مصادر أخرى يأخذ منحاً جديداً مغايز حيث يقول المثل: "بين العنكبوت حيانه عليه يموت" ³ فهذا أسف على هدم بيت العنكبوت كناية عن بيت الكريم إن مات صاحبه يجب أن يظل مفتوحاً كريماً، والجامع بين المثلين في نظري أن بيت العنكبوت يرمز لتبدل الحال وتغيره.

— الدودة:

الدودة من الحشرات التي ينفر منها أهل فلسطين، فهي ناقوس خطر يُدق في شتى المواسم، فقال المثل عنها في موسم التين حيث تكثر رؤية الديدان داخل حبات التين بقولهم: "دوده من

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1018.

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص96.

³ - جبر، محمد كمال: الأمثال الشعبية الفلسطينية (من الخابية2)، ص148 (حيانه: خسارة وأسف).

عوده"¹ أي أن هذا الدود أصبح جزءاً من هذه الحبات وكذلك قالوا: "دود المش منه وفيه"² وقالوا: "دود الجين منه وفيه"³ كلها في موسمها فأصبحت هذه الديدان تُقال لمن أصبح الشر جزءاً أصيلاً فيه وقد وضحا المثل بصورة أبرز حين قال: "دود الخل منه وفيه"⁴ أي أنه من ابتلى بأسرته التي لا فكاك له منها عليه الاستسلام لها لأنهم لن يتغيروا.

ولأن هذه الدودة هي موضع استياء الفلسطينيين صور من يتصرف بشكل غريب غير طبيعي بصورة من أُلقي عليه مادة مخدرة من حشرة سامة فقالوا: "باخة عليهم دوده"⁵ وكذلك حال من يسير على غير هدى كمن يسير من غير نور يهدى به طريقه، فقال المثل: "زي الدودة العميا"⁶.

ومن رضي بما قسم الله له، وأراح نفسه من جلدها بالنظر إلى ما عند غيره، و حاول أن يعيش دوراً غير دوره ستصدمه النتائج ويرجع أسفاً على حاله كذلك هذه الحشرة التي ظنت انها قادرة أن تصبح أفعى تنهش كل ما يحيط بها، وتصبح قوية سخر منها المثل قائلاً: "ان اتقلدت الدودة للحية، اتقطعت"⁷.

ومع كل ضعف الدودة واحتقار الناس لها إلا أن رزقها ميسر فمن خلقها لا ينساها حتى لو كانت في قلب صخرة صماء في ليلة ظلماء، إن كان الله كفلاً لهذه الدودة رزقها وهي لا تعقل فكيف له عز وجل أن ينسى عبداً يدعو، وهذا ما قصده المثل بقوله: "الدودة جوات الصخرة الله ما يقطع فيها"⁸

ومهما كان من أمر فإن الأمثال لن تترك نظرة الاحتقار والإزدراء من تلك الحشرة ولن تكف عن الاستياء منها.

¹ - زيادته، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص190.

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص192 (المش: المشمش).

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص120.

⁴ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص192.

⁵ - زيادته، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص87 (باخة: أي تقثت ما في فمها من عصاره).

⁶ - المرجع السابق، ص225.

⁷ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص80.

⁸ - المرجع السابق، ص120 (جوات: داخل).

– القمل والبرغوث:

القمل من الحشرات صغيرة الحجم، طفيلية الأصل تحتاج إلى معيل كي تعيش، سواء كان جسد حيوان أم إنسان، وهذه الحشرة لا تترك مُعيلها إلا مريضاً يُعاني الأمرين ويتجرع الآلام منها، وهي سريعة الانتشار كثيرة التوالد، ولقد وصفتها الأمثال الشعبية بصفات سلبية فلم تُبد لها أي نوع من التقدير.

لذلك كانت القملة سريعة التكاثر مثلاً يضرب لكل شيء سريع، فكل إناء بما فيه ينضح فالطبيب يزداد طيباً والسيء يزداد سوءاً فقال المثل: "المال بيجر المال والقمل بيجر السيبان" ¹ ولقد أبدت الأمثال اشمئزاً منها حين نفرت من البدوي بوجود هذه الآفة فيه فقالت: "زي البدوي المقل" ².

أما المتجبر المتكبر فإن تغير به الحال سيكون محط شماتة الناس واحتقارهم له، فهذا الذي لانت طباعه بعد تكبر استحق سخرية المثل الشعبي والناس له فقال المثل: "زي القملة المقصوعة" ³.

أما الحشرة الأكبر من القملة هي البرغوث الذي يمتاز أيضاً بصغر حجمه وبقدرته على القفز والتقل بسرعة كبيرة، وهذا أيضاً كانت صورته في الأمثال الشعبية قاتمة، فعندما أراد المثل الشعبي وصف الضيق وسوء الحال بل منتهى السوء، أثر الحديث عن هذه الحشرة المتطفلة فقال عنه: "مثل البرغوث في اللبن" ⁴ وحين أرادت الأمثال وصف الثرثار الذي يُطعم كلامه بكذب مبالغ فيهن سخر منه المثل الشعبي قائلاً: "بفصل للبرغوث قميص" ⁵.

– الجندب والجراد:

ومن الحيوانات الحاصلة على الميدالية الذهبية في القفز الجندب الذي زوده الله بقدمين خلفيتين وكأنهما أداة للقفز، وهذه الحشرة كثيراً ما نلمحها في فصل الربيع تقفز هنا وهناك، ولكن الأمثال الشعبية الفلسطينية لم تقف إلى جانبه فقد أبدت استيائها من هذه الحشرة، فوصفت كل من لا

¹ – أبو فردة، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص41 (سيبان أو صيبان: هو صغير القمل) .

² – حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص169.

³ – زيادنه، صالح: موسوعة الأمثال الشعبية، ص234 (المقصوعة: المفروكة أو الميتة) .

⁴ – حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص179.

⁵ – عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص93.

يسير باتزان وكثير الحركة بالجندب دائم القفز فقالت: "بنط زي الجندب" ¹ وكذلك زجرت كل من يدعي الشجاعة بلسانه ولكن أفعاله لا تتم على شجاعته، فقالت: "قتل جنادب وعد رواح" ². ولقد عبرت الأمثال الشعبية عن ابن عمّ الجندب وهو الجراد الذي يأكل كل ما يُصادفه أمامه فلا يذر أخضرا ولا يابساً، وأينما حلّ نزل الدمار في البلاد وكان مرور هذه الحشرة نذير شؤم وإنذار بهلاك المحصول، فإن دخلت بلداً أتلقتها؛ لأنها تسير بأعداد مهولة وقد عبّر المثل الشعبي عن سوء هذه الحشرة قائلاً: "زي الجراد محل ما بطب بخرب" ³ لذلك كل من ينشر الشر كان يجلده المثل بوصفه بالجراد.

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص1013.

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص162 (بطب: يلمس، ينزل) .

المبحث الخامس: صورة الحيوانات البحرية في أمثالنا الشعبية الفلسطينية.

أرض كنعان أرض مباركة برّها وبحرها، وتمتلك أرض كنعان (فلسطين) مساحات مائية كبيرة، تتوزع في أماكن مختلفة منها، فهي تُشرف بسواحلٍ طويلة على البحر المتوسط، وبساحل قصير على مياه خليج العقبة وهذه الأماكن هي موطن أسماك المياه المالحة، وتتوزع البحيرات والبرك والمستنقعات في اليابسه، وهناك أنهار دائمة الجريان تعيش فيها أسماك المياه العذبة وهذه الأسماك جزء من غذاء الإنسان، ومع زيادة الوعي لتربية الأسماك في أحواض صناعية، إلا أن صناعة الصيد في فلسطين لم تجد دعماً حكومياً لذا ظلت بدائية ضعيفة .

فلم تكتف الأمثال الشعبية الفلسطينية بالحديث عما هو أمامها في البرّ، ولكنها اقتحمت ظلمات البحر كما فعل أجدادهم الأوائل الكنعانيون حيث أقاموا محطات تجارية عبر جزر البحر المتوسط وعلى سواحلها، وبذلك فقد اكتسب الصيادون معرفتهم بأنواع البحر وحيواناته المختلفة.

ولقد دخلت الأسماك في المأثور الشعبي لما تتمتع به السمكة من منظر جميل خلاب يسحر الناظرين، كما أنها متناسقة الأعضاء كالمرأة الفاتنة، فكان نصيب هذه الأسماك من الأمثال الشعبية وافراً وفرتها وقت تكاثرها، والملاحظ أن الأمثال الشعبية تناولت هذه الأسماك بتنوعها ككتلة واحدة لم تغص إلى تفاصيل تنوعاتها وأنواعها ولكن اكتفت بالحديث عن أنواعها باعتبارها جنساً من السمك، فلم تذكر سمك السردين أو التونا أو البوري أو المشط كلاً منها على حدا، ولكن تناولتها باعتبارها أسماكاً .

وإن مرّت على بعض الأنواع المختلفة البحرية مثل الحوت حيث يعتقد الفلسطيني أن الحوت الأزرق ما هو إلا حوت يونس وأن هذا الحوت باقٍ إلى يوم القيامة ولحجمه وضخامته أخذ الفلسطيني يصف كل ضخم بالحوت فقالوا: (مثل الحوت)¹ ومن الحيوانات البحرية المشهورة عند الفلسطيني الدلفين أو (الدرفيل) في اللهجة الشعبية.

ذلك السباح الماهر الذي يعتقد الفلسطيني أنه لا يجوز صيده ولا ذبحه لأنه يقوم بإنقاذ الغريق فقال المثل: (زي الدرفيل)² للقوي النشيط السريع، أما على النقيض من الدلفين نجد (القرقعة) باللهجة

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص164.

² - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الفلسطينية وهي سلحفاة البحر التي ترمز للفلسطيني للبطيء الكسول، قبيح الخلقة فقالوا فيها: "زي الفرقعه"¹.

حتى تلك الأنواع التي ذكرتها الأمثال جاءت بعمومية لم تغص إلى تفاصيل تلك البحريات ويبقى الجامع بين الأسماك التي استزادت منها الأمثال وتلك البحريات الأخرى علاقتها بالماء جوهر حياتها وموطنها، لذلك شعر الفلسطيني بهذه العلاقة بين السمك والماء فوجود الأول يعتمد بالضرورة على الآخر، وهذه العلاقة هي التي استشعرها الفلسطيني عامة واللاجيء خاصة حين تحدث عن وطنه فلسطين وعن بلاد أحبها وأخلص لها فقال مشبهاً نفسه بالسمكة: "زي السمك إن طلع من المية مات"². تمتاز السمكة بصفات جمالية تستهوي الناظرين، لذلك أسقطت الأمثال الشعبية صفات تلك الجمالية على المرأة البشرية فقال في انسيابيتها وتناسق أعضائها: "فيهاش دهن زي السمكة"³ وكذلك وصف جمال (فيها) ودقته حينئذ شبهها بالسمكة دقيقة الفم فقال: "ثمة زي ثمة السمكة الفايتة"⁴. وتمتاز الأسماك بحراشف تجعل الإمساك بها صعباً جداً لذلك وصفوا الحذر الذي لا تستطيع أن تثبت عليه شيئاً بالسمكة فقال المثل: "زي السمك، كيف ما مسكته بمزط"⁵ وكذلك فإن هذا الحذر يقيس خطواته قبل الإقدام على الأشياء فقال المثل: "زي السمك بنزل ع الصنانير بذيله"⁶. والشخص المحظوظ أو كما يقال باللهجة الفلسطينية (الشاطر الفهلوي) "ارميه بالبحر بطلع وبتمه سمكة"⁷ أي بالرغم من الظروف الصعبة التي تحيط به إلا أنه قادر على تحويلها من محنة إلى منحة يكسب فيها مكاسب متنوعة.

¹ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني ، ص163.

² - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص997.

³ - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص163.

⁴ - المرجع السابق، الصفحة نفسها (ثمه، ثم: فم، الفايتة: صغير الحجم)

⁵ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص997.

⁶ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁷ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص57 (ارميه: ألقه، بطلع: يخرج، بتمه: في فمه) .

والبحريات كغيرها من الحيوانات البحرية لها إيجابيات كما مرّ آنفاً ولكن لها أيضاً سلبيات وأول ما يصادفنا من سلبياتها رائحة السمك الفاسد وهذه الرائحة المنتنة شبهها المثل برائحة الأخلاق الفاسدة التي تُفسد المجتمع وتضر صاحبها ومن يحيط بها، فقال المثل: "ريحتها طالعة مثل زفرة السمك"¹. ولا يقتصر فساد المجتمع على صغارها، فأحياناً يكون مصدر الفساد من الرأس كما يقول المثل: "نتن السمكة من رأسها"² فالفساد يأتي من رأس القوم "السمكة بتفسد من رأسها"³ فكما الرأس موضع الفساد كذلك كبير القوم إن صلح صلح المجتمع كله.

وإذا غاب النظام والقانون أصبح القوي يفتك بالضعيف ويبطش به، كما هي شريعة الأسماك يأكل بعضها بعضاً فقال المثل في ذلك: "مثل السمك بولكل بعضه البعض"⁴ ويزيد المثل في تحديد الضحية والفريسة حين قال: "السمكة الكبيرة بتاكل الصغيرة"⁵ فهذا ديدن الأسماك يأكل كبيرها صغيرها وهذا حاصل في المجتمع البشري القوي يهضم حق الضعيف .

ولكثير الكلام قليل الفعل قال المثل في انتاجه أنه كمن يشتري السمك في الماء لا يحصل إلا على الكلام ولن يجني إلا الخسارة، فقال المثل: "بشتري سمك في بحر"⁶ فسمك البحر مشاع للجميع ليس حكراً على أحد كل يغترف منه أنى يشاء، ويقال أيضاً لمن تورط في عمل ما ولم يحصل على شيء. البُخل صفة ملازمة للئيم لن يحصل منها على شيء جيد وقد ضربت الأمثال أروع الصور في تشبيه من طلب من اللئيم شيئاً، فقال المثل فيه: "من طلب من اللئيم حاجة، كان كمن طلب السمك من المفازة"⁷ فلا سمك في الصحراء ومن طلب السمك فيها لن يحصل إلا على هباء.

¹ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص97 (زفرة: الرائحة السيئة) .

² - حسونه، خليل: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ص163 (نتن: رائحة سيئة نتيجة فساد).

³ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص134.

⁴ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص998.

⁵ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص134.

⁶ - حجازي: أحمد توفيق، موسوعة الأمثال الفلسطينية، ص142.

⁷ - عراف، شكري: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية، ص998 (المفازة: الصحراء) .

ومن البحرّيات التي ذكرتها الأمثال الشعبية أنواعاً قليلة من البرمائيات منها الضفادع التي تمتاز بلسانها الطويل حيث ترمز إلى الثثرة فقال المثل: "قالوا للضفدعة: ليش ما بتحكي؟ قالت: تمى مليون"¹ فهذه الضفدعة كثيرة الكلام لكنها مشغولة في أمور أخرى فيقال هذا المثل.

ومن البرمائيات الأخرى السلطعون الذي يمتاز بمشيته الجانبية هكذا خلُق وعلى هذه المشية فُطر وكل من يتعامى ويتغابى وكأنه لا يعلم سبب هذه المشية يكون كمن يرى الشيء فينكره عندها يأتيه ردّ مُخرس من السلطعون نفسه حين يقول المثل: "قالوا للسلطعون: ليش بتمشٍ أعرج قال شب وبيليق لي"² فهذه السخرية كفيلة بإسكات كل متحذلق.

هذه كانت نظرة الأمثال الشعبية الفلسطينية للحيوانات البحرية ،وهي نظرة مزدوجة تختلط فيها السلبيات والايجابيات .

¹ - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص173 (تمى: فمي).

² - عباس، فؤاد: معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص173

أهم النتائج

- 1- الأمثال الشعبية هي نتاج تراكمات فكرية، فمع تقادم الأزمان عليها إلا أنها مازالت تحتفظ بعبق الماضي وحكمته وأصالته، فأصبحت كالأحفورة التي لا تنمحي من الأذهان، كما أن كل هذه العصرنة لم تُنسنا ترداد نشيد الأمثال الأخاب.
- 2- إن كانت الأمثال تتسم بالايجاز، إلا أنها لاتعدم روح الفكاهة والسخرية، كما أنها صيغت وغُلفت بصور وتشبيهات، أضفت عليها قبولا ورحابة عند المتلقين.
- 3- لأرض كنعان ميزات وخصوصية شرفتها وميزتها عن بقية الأصقاع، فتعاقب الرُّسل عليها وتبدل الأقوام على سكانها مدّهم بروافد فكرية، صاغوها بكلمات موجزة مقتضبة، ما أنعش مخيلتهم لتفسير بعض الظواهر الغريبة، و تحليل ما عجزوا عن فهمه من تصرفات الحيوانات التي تحيط بهم.
- 4- من أهم ما يميز الأمثال الشعبية الفلسطينية ازدواجيتها، فكل مثل يحمل في طياته مدح لكل خلق جيد حميد، وذم لكل سلوك مستنكر شائن، فنجدها تمدح هذا الحيوان أو ذاك وما تلبث أن تسخر منه.
- 5- لقد فرّق المثل الشعبي بين أجناس الحيوانات، فلم يكن الميزان هو فائدتها له، أو مدى تحملها أعباء العمل، أو صبرها؛ وإنما كان يُشرك اعتبارات أخرى عند النظر إليها ووصفها، فتارة ينظر إلى أصل الحيوان، وأخرى نراه يهتم بشكله الخارجي، وثالثة يُعنى بجنسه.
- 6- لقد تفاوت حظ الحيوانات التي ذكرتها الأمثال الشعبية الفلسطينية فما ألفه ودخل في صلب حياته كان من الطبيعي أن يكون حظه وافرا منها على عكس تلك التي ظلّ يخشاها.
- 7- لم تكن نظرة الفلاح للحيوانات الأليفة واحدة، فنراه يبالغ في مدح إحداها مُتجاهلا كل سلبياتها فقد ظلّ يُكن لها الودّ والوفاء، مثال ذلك الفرس فقد تغافل عن زهوه وخيلائه ونظر إليه على إنه رمز للعز والفروسية، وكذلك الجمل فبالرغم من حقه إلا أنه ظلّ سفينته الوفية التي تحمله إلى برّ الأمان.
- 8- نجد الأمثال في بعض الأحيان متحيزة لجنس من الأجناس بالرغم من قلة منافعه على عكس أنثاه، مثال ذلك: الثور أو الديك لو قارنا بين فوائد الذكر مقابل الأنثى لوجدنا الأخيرة أكثر

منفعة، إلا أن الفلاح نظر إلى تلك الإناث نظرة دونية منتقصة لعل سببها يعود إلى السلطة الذكورية التي تسود المجتمع.

9- لقد استفاد الفلسطيني من كل معطيات الطبيعة التي تحيط به، وأخذ يتقمص صورها ويسبغ عليها صفات إنسانية، تحاكيه وتواكب رغباته ونزواته، فنراه يأخذ صبر الجمل وجلده ويفتخر بها، وأخرى نراه ينفر من حقه، وتلمحه يسمُ نفسه بالحيدرة، وينفر إن قال عنه أحد: (كلب داير ولا سبع نايم).

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، منشورات دار مكتبة الحياة ، ج2 ، بيروت ، 1987.
3. الأشهب، رشدي: الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، جمعية الدراسات العربية، ص219.
4. الباش، حسن، السهيلي محمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل، دم، 1980.
5. البيهقي، أبو بكر أحمد بن محمد الحسين بن علي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994،
6. جبر، محمد كمال: سلسلة التراث الشعبي الفلسطيني "من الخابية" 2 ، المثل الشعبي الفلسطيني: يتضمن تفسير المعاني، ومناسبة المثل، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012
7. حجازي، أحمد: موسوعة الأمثال الشعبية مع باقة من الشعر والأغاني التراثية، ط1، دار أسامة - عمان، 2002.
8. حسونة، خليل ابراهيم: عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني، ط1، دار خلدون-غزة، 2002.
9. حسين، طه: في الأدب الجاهلي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1977.
10. الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا العربية : وهو بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1955 .
11. الخادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964.
12. دانا، يوسف: موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال، مجمع القاسمي للغة العربية اكااديمية القاسمي، مكتبة كل شيء، حيفا 2014
13. ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، 223-321 هـ، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1926، مادة "مثل"، 50/2.

14. الديميري ، محمد بن موسى بن عيسى: **حياة الحيوان الكبرى**، دار الفكر : مكتبة الرياض الحديثة بيروت ؛ الرياض ، د.ت
15. -الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، 2001
16. راك، إي، ف: **أساطير مصر القديمة**، محمد العلامي، مراجعة نادر قاسم،
17. الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت -لبنان، مادة "مثل".
18. الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجليل، بيروت، 1972.
19. الزمخشري، جار الله أبو القاسم: **المستقصى في أمثال العرب**، ط2 بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
20. زيادنه، صالح: **من الأمثال البدوية طائفة من أمثالنا الشعبية** ، ط1، د. م، 1997.
21. زيعور، علي: **العقلية الصوفية ونفسانية التصرف**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979.
22. **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977.
23. سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني** ، ط2، البنك العربي المحدود، عمان، 1989.
24. السناد، جلال غربول: **المثل الشعبي ودلالاته الاجتماعية**، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ، 1992م.
25. ابن سيده: **المخصص - السفر السابع -**، مجلد 2 ،دار الفكر بيروت، د.ت.
26. السيوطي، جلال عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، بيروت، دار الفكر، د.ت.
27. شابيرو ،ماكس: **معجم الاساطير**، ترجمة حنا عبود، دار علاء الدين، دمشق، 1999.
28. شكر، شاكِر هادي: **الحيوان في الادب العربي**، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب ، 1985م.
29. شلبي، سعد اسماعيل: **الأصول الفنية للشعر الجاهلي**، ط2، مكتبة غريب، القاهرة، 1982.
30. أبو صوفه، محمد عبد اللطيف: **الأمثال العربية ومصادرها في التراث**، مكتبة الأقصى، 1982.

31. الصياصنه، مصطفى عيد: ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب وأثارها في تربية الجيل المسلم، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، 1992م.
32. طه، جمانة: موسوعة الأمثال الشعبية العربية (الجمان في الأمثال دراسة تاريخية مقارنة)، الدار الوطنية الجديدة، السعودية، ط1، 1999م
33. عابدين، عبد المجيد: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائر في الأدب السامية الأخرى، ط1، مكتبة مصر، الفجالة، 1956.
34. عبد الحكيم، شوقي : موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ،مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1990.
35. مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، د.م.
36. عراف، شكري، وآخرون: المثل الشعبي بين المتحفية والاستمرارية ، مطبعة فحول، 1996.
37. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الاشبيلي، أحكام القرآن، دار الفكر بيروت، د.ت،
38. العسكري، أبو هلال: جمهرة الأمثال، تحقيق إبراهيم وقطامش، 7 / 1
39. أبو علي، محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية دار النفائس، بيروت، 1988.
40. العنتيل، فوزي: الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1987.
41. عودة ،أحمد عبد الحميد " هشام عودة" : الأمثال الشعبية الفلسطينية : قراءة معاصرة، دار الجندي للنشر والتوزيع، فلسطين، 2015
42. فؤاد، عباس وآخرون: معجم الامثال الشعبية الفلسطينية ، دار الجليل للنشر ، عمان – الأردن، 1989،
43. أبو فرده، عايد محمود: الأمثال الشعبية الفلسطينية، د.ن، عمان، 1995.
44. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية ، بيروت 1987 295/1
45. كرايمر، صموئيل: أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1974،

46. ابن ماجة، محمد بن يزيد الربيعي القزويني، سنن ابن ماجة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : دار الكتب العلمية القاهرة، بيروت، 1987.
47. المبيض، سليم عرفات: ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2006.
48. الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فلسطين، 1993.
49. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مطبعة مصر، القاهرة، 1960.
50. محمد، زكريا: ذات النحيين: الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
51. المزين، عبد الرحمن: الفكر الأسطوري الكنعاني وأثره في التراث الفلسطيني المعاصر، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012.
52. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1972.
53. المصري، محمد العبد: الأمثال الشعبية الفلسطينية، د.ط، الاسكندرية منشأة المعارف، 2008.
54. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
55. الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
56. وارنغ، فيليبيا: معجم المعتقدات والخرافات، ترجمة رمضان مهلهل سدخان، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

الدوريات والرسائل الجامعية :

1. حمدان، عمر: الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع3، م1، 1974.
2. خلف، نورمان علي: (هنا القدس: فراس الطويل 2014/11/8 مجلة آفاق البيئة والتنمية)

3. العربي، مصطفى بوخال: *الحيوان في التفكير الأسطوري*، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، ع3، 2014
4. عوض، سعود عوض: *أمثال بدوية فلسطينية*، مجلة التراث الشعبي العراقية، ع5، 1980.
5. القيسي، زهير: *الحيوانات والأشعة*، مجلة التراث الشعبي، ع43، 1981.
6. المالكي، فرزدق جبار: *المعتقدات الخرافية في القبائل البدائية*، مجلة التراث الشعبي، ع5، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976.
7. الناصري، أدبية: *حياة الحيوان بين التوحيدي الدميري والجاحظ*، مجلة التراث الشعبي، ع3، 1980.

الرسائل الجامعية:

1. الشلة، لنذا مصطفى علي: *صورة الفرس في الأدب الفلسطيني*، إشراف احسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2016
2. طه، غالب طه: *صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات*، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2003.

An-Najah National University
Faculty of Graduate studies

The Image of Animal in The Popular Palestinian Proverb

By
Israa Mustafa Ahmad Asseede

Supervisor
Prof. Ihsan Al-Deek

**This Thesis is Submitted in Fulfillment of the Requirement for the
Degree of Master of Arabic Language and the Literature, Faculty of
Graduate Studies, An-Najaha National University, Nablus, Palestinian.**

2018

The Image of Animal in The Popular Palestinian Proverb

Prepared by Israa Mustafa Ahmad Asseede

By

Israa Mustafa Ahmad Asseede

Supervisor

Prof. Ihsan Al-Deek

Abstract

This study attempted to analyze what settled in the popular Palestinian mind about the proverbs which embodied images of those creatures that the Palestinians have mastered, and those that have been brutal. The study tried to explore the Palestinian popular position of the various animals and their various factions to show the positive or negative attitude of this animal in the Palestinian popular proverbs.

This study aimed to show the image of the animal in the Palestinian popular proverb and to stand on its negative and positive image. In addition to restoring the Palestinian popular proverb to its place in the people's mind and their lives, especially with regard to the linguistic resistance in the face of the occupier who makes an effort to steal our heritage and what is related to it. The nature of this study required to follow the survey methodology to investigate the popular Palestinian proverbs that talk about the animal. And then describe these proverbs and describe the animal image using the descriptive approach, in addition to the analytical approach to analyze the image of these animals and to show their positive and negative aspects and their relation of the Palestinian with this animal through the popular proverb. This study concluded that the popular Palestinian proverb described the pet that is close to the human being accurate description, while these proverbs

didn't have this description when they talked about the predatory animal because of the human fear of these animals. The popular Palestinian proverb has painted a positive image of the animal that people can benefit from and a negative image for the animal which is considered an enemy. The image of some animals is also double in terms of negative and positive depending on the position embodied by the proverb. In addition, the Palestinian popular proverbs favor some animals for their male gender at the expense of female gender, although the latter is more useful and beneficial depending on the nature of the male society.